نحو تأصيل إسلامى للتاريخ

أوربا
منذ أقدم العصور
(اليونان)

تأليف

د. جمال عبد الهادى
الاستاذ المساعد
بكلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز
جدة

د. وفاء محمد رفعت
الإستاذ المساعد
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الملك عبد العزيز/مكة المكرمة

دار الشروق
جدة



بسم الله الرحمن الرحيم

((قد خلت من قبلكم سنن ، فسـيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيـان للناس وهدى وموعظة للمتقين)) .

((صدق الله العظيم))



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مقدمة

شاء القدر ــ وقد بدا للبعض أن شمس الاسلام قد آذنت بالمغيب ، أن يكون تاريخ البشرية بالصورة التى عليه الآن . مكتوبا بأيدى ومناهج غريبة عن الأمة المسلمة ، وقد نجم عن هذا أن أصبحت البشرية عامة والأمة الاسلامية على وجه الخصوص تنظر الى نفسها والى سواها بعدسة صنعتها أيد أجنبية عنها ، أجنبية عن عقيدتها وتاريخها ، أجنبية عن مشاعرها وادراكها ، أجنبية عن اهتمامها بالأمور واحساسها بالحياة وتقديرها للأشياء .

ثم هى بعد ذلك كله ــ مغرضة ــ فى الغالب ــ تبغى لها الشر لا الخير. لأن مطامحها ومطامعها ومصالحها الخاصة وأهدافها القومية كلها تدفع بها دفعا لأن تبغى الشر للأمة المسلمة ، لأن خير الأمة المسلمة وخير البشرية لا يتفق مع أطماعها ، ولأن مصالح الأمة المسلمة ومصالح البشرية تعطل مصالحها .

كما أن أخطاء المنهج الغير اسلامى الذى اتبع فى كتابة تاريخ البشرية وتاريخ الأمة الاسلامية كانت كفيلة بأن تشوه الحقائق التاريخية فى غير صالح الأمة المسلمة . وهذه جريمة ترتكب فى حق الأمة المسلمة التى من صالحها أن ترى حقيقة دورها فى تاريخ البشرية وأن تعرف مكانتها فى خط سير التاريخ وأن تتبين قيمتها فى العالم الانسانى . وليست فائدة هذا فائدة نظرية فكرية مجردة بل أنها أكبر من ذلك وأشمل ، فعلى ضوئها يمكن أن تحدد موقفها الحاضر .. ودورها المستقبل . وأن تسير فى أداء هذا الدور

على هدى ومعرفة بالظروف والعوامل العالمية المحيطة بها بمقدار الطاقة التى تواجه بها هذه الظروف والعوامل .

والمؤسف حقا أن دور العلم التى أنشئت أساسا لتربية الشباب المسلم ــ لبنات المجتمع المسلم دأبت على تلقين الأجيال تاريخا اسلاميا مشــوها وتاريخا أوربا مضخما لا عن مجرد خطأ غير مقصود ولكن عن نية خبيثة من الاستعمار الغربى الذى يهمه ألا تجد الأمة الاسلامية فى تاريخها ما تعتز به .. وأن ترى أوروبا على العكس هى صاحبة الدور الأول فى التــاريخ الانسانى .. فاذا يئست الأمة الاسلامية من ماضيها بعد أن استعرضت دورها فى حياة البشرية .. وامتلأت نفوسها مع ذلك اعجابا بالدور الذى قامت به أوروبا واكبارا للرجل الأبيض .. سهل قيادها على الاســتعمار ، وذلت رقابها لهم .

ولذلك فانه احقاقا للحق ، وازهاقا للباطل ، لا بد من اعادة كتــابة تاريخ البشرية بمنهج اسلامى ،لأن ذلك هو السبيل الوحيد لكشف هذه الأباطيل واثبات حقيقة الدور الذى أداه الاســلام والدور الذى أدته الحضارة الأوروبية .. بعد ما يصور طبيعة الدين الاسلامى وطبيعة النظام الذى ينبثق منه ومدى ما منح البشرية من الخير والتقدم ، وضخامة الدور الذى أداه لبنى الانسان .

وسوف يكون لهذا التصحيح قيمته فى حســاب المصلحة الانسانية العامة .. فكم لأخطاء التاريخ من أثر فى اقامة الحواجز بين بعض الأمم وبعض العناصر وبعض الكتل ، وكم لها من أثر فى سوء تقدير الجماعات للجماعات والأجناس للاجناس والأفراد للافراد فضلا عن سوء التقدير للأفراد والمبادىء والحضارات .. وكل هــذا يؤذى البشرية فى حاضرها ويؤذيها فى مستقبلها .

ومن واجب القادرين ازالته وازالة آثاره والتصحيح الواجب والتعريف المستنير .. لأنه ليس من مصلحة الانسانية أن ترى الحياة كلها من زاوية

واحدة لا تكشف عن كل جوانبها وأن تسودها فكرة خاطئة عن ماضيها وحاضرها وأن تجهل الدوافع الكاملة لسيرها وتحركها والقيم الأساسية لحياتها وحضارتها .

وان هذا الجهل لينشىء أخطاء عميقة الأثر لا فى التصور والتفكير فحسب ولكن فى علاقات الأمم بعضها ببعض وفى علاقات الكتل الدولية، بعضها ببعض ؛ كما ينشىء أخطاء بعيدة المدى فى تكييف سياسة كل أمة وتوجيهها .

هذه الأخطاء ينشأ معظمها عن سوء دراسة التاريخ البشرى وسوء تقدير الدور الذى قام به الاسلام والذى يمثله العالم الاسلامى ، هذا العالم الذى يمثل وحدة انسانية شاملة لها كل خصائصها المستقلة ، ويمثل قوة انسانية ثابتة لا يؤثر ضعفها العسكرى الطارىء الا تأثيرا عارضا فى وزنها الحقيقى .

على أن يوضع فى الاعتبار أن التصحيح لا يمكن أن يطلب الا من كاتب مسلم صاحب عقيدة سليمة ، أى أن تكون له عقلية اسلامية فى صميمها ، مشربة بالروح الاسلامية ، لكى تدرك العناصر الأساسية فى هذه الحياة .. وتحسها وتتجاوب معها فتستكمل كل عناصر التفسير والتقدير المحكم على هذه الحياة .. وبذلك يمكن للحياة الاسلامية أن تعطى كل أسرارها واشعاعاتها وتنكشف بكل عناصرها ومقوماتها .

لا بد أن يكون الباحث مسلما يعيش بعقله وروحه وحسه فى جو الاسلام كعقيدة وفكرة ونظام وفى جو الحياة الاسلامية كقطعة من حياة البشرية الواقعية حتى يستطيع ادراكها ادراكا حقيقيا داخليا متجاوبا معها بكل ذاتيته ، عائشا فى جوها بكل مؤثراتها وايحاءاتها . . ذلك لأن مقومات الحياة ــ حاليا ــ تختلف فى كثير من أنواعها وماهياتها عن مقومات الفترة الحاضرة وبخاصة فى العالم الأوروبى .

لا بد أن يكون الدارس للحياة الاسلامية مدركا ادراكا كاملا لروح

العقيدة الاسلامية ولطبيعة فكرة الاسلام عن الكون والحياة والانسان . . ومدركا كذلك لطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة بل وطريقته الى الاستجابة للحياة كلها فى ظل تلك العقيدة .

هذا الكاتب المسلم لابد أن يضع فى الاعتبار انه هنالك جوانب لابد من ادراكها عند كتابة تاريخ البشرية . .

لا بد من ادراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس فى ظلال الحياة التاريخية الاسلامية وعلاقة هذه البواعث بالحوادث والتطورات ولابد من ربط هذا كله بطبيعة الفكرة الاسلامية . لا فى شكلها الخارجى وخطواتها العملية فحسب ولكن فى تفسيرها للعلاقات الكونية والعلاقات الانسانية والعلاقات الاجتماعية . . . وفى تصويرها لنظام الحكم وسياسة المال وطرق التشريع ووسائل التنفيذ . . . الخ وهى كلها من مقومات الحياة .

ان المعارك الحربية والمعاهدات السياسية والاحتكاكات الدولية . . انها محكومة بعوامل أخرى هى التى يجب أن تبرز عند كتابة التاريخ . . هذه العوامل هى التى يختلف الباحثون فى ادراكها وتقديرها ، كل يخضع للفلسفة التى تسيطر على تفكيره وتقديره أى لطريقة ادراكه للحياة فى عمومها .

وللباحث المسلم مزية هنا فى دراسته للحياة الاسلامية . لأن طريقة ادراكه للحياة تمت بصلته الى حقيقة هذه العوامل المؤثرة فى سير التاريخ ومن ثم فهو أقدر على التلبس بها واستنباطها ، والاستجابة لها استجابة كاملة صحيحة .

وعلى ضوء ادراك الباحث المسلم لطبيعة العقيدة الاسلامية وطريقة استجابة البشر والمسلمين وغيرهم لها ، يستطيع أن يزن دوافع الحياة الاسلامية لتلك الفترة التاريخية ، والقيم الانسانية الكامنة فيها ، وأسباب

النصر والهزيمة فى كل خطوة وأن يتصور الحياة الظاهرة والباطنة لتلك الجماعات الانسانية فى مهد الاسلام الأول وفى البلاد التى انساح فيها .

وبذلك يضم الباحث المسلم الى الجوانب الظاهرة التى لا يدرك الغير مسلم سواها فى الغالب .. كل الجوانب الروحية الخفية التى يعدها الاسلام واقعا من الواقع ، ويحسب لها حسابها فى سير الزمان وتشكل الحياة فى كل زمان ومكان .

وتهدف دراستنا لتاريخ بلاد اليونان الى :

أولا : التعرف على تاريخ أوروبا .

ثانيا : اثبات أن أوروبا لم تكن صاحبة الدور الأول فى تاريخ البشرية ، وأنها ليست جديرة بأن تكون المحور الذى يجب أن يتحرك العالم من حوله . . وانها ليست صاحبة أعظم تراث فكرى أو مادى عرفته البشرية . . وأن التراث الأوروبى (اليونانى والرومانى) لا يشكل أعظم ميراث ورثته البشرية بل على العكس من ذلك يمثل نكسة فى تاريخها الطويل لعدم التزامه بالهدى الالهى .

ثالثا : ان الحضارة الأوربية (ممثلة فى التراثين اليونانى والرومانى) ليست المصدر الذى انبثقت عنه الحضارة أو الديانة الاسلامية .

رابعا : لكى يمكن للدارس أن يدرك حقيقة دور الاسلام وطبيعته ، لا بد من الالمام بالصورة التى انتهت اليها تجارب الانسانية ممثلة فى المجتمع اليونانى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم . لا بد من الالمام بالحالة التى صارت اليها المجتمعات البشرية فى ظل الحكم اليونانى وبخاصة من ناحية العقائد الدينية وسائر ما يتعلق بها من أفكار وفلسفات ونظريات . . ومن ناحية الأوضاع الاجتماعية وما يتعلق بها من نظم الحكم وسياسة المال وعلاقات المجتمع والأخلاق والعادات والأفكار ، كما تتبين على ضوئها حقيقة دور الاسلام وطبيعته . ولكى يمكن تفسير استجابة

العالم للنظام الإسلامى قبولا أو رفضا ، وتصور أسباب الصراع وعوامل النصر والهزيمة كاملة وعناصر التفاعل والتدافع والتلاقى والانعكاس على ممر الأيام ؟

خامسا : تتبع خطى رسل الله الكرام وجهودهم فى دعوتهم الى اسلام الوجه لله وحده بلا شريك .

سادسا : تتبع رواسب خط توحيد الله فى حياة الدولة اليونانية .

سابعا : تتبع أعمال الهدم والبناء التى قام بها الاســلام فى المجتمع الأوروبى والبلاد التى كان يستعمرها ، ومدى تفاعل الاسلام مع الأفكار والعقائد التى كانت سائدة فيه ومع النظم الاجتماعية التى كانت تظللها ومع الظروف الاقتصادية والمخلفات التاريخية والملابسات الانسانية . ان دراسة هذه التفاعلات فى ضوء المنهج الاسلامى كفيلة بأن تنشىء صورة للعالم الانسانى وخطواتى السمتية مختلفة قليلا أو كثيرا عن الصورة التى اعتاد الغير مسلمين أن يرسموها والتى اعتدنا نحن أن نراها .

ثامنا : ان المجتمع الأوروبى الحديث الشارد عن الهدى الالهى ما هو الا صورة للمجتمع الأوروبى الوثنى منذ أقدم العصور . . اشراك بالله . . نتحية شريعة الله عن حيــاته . . انحراف فى السلوك . . الخ لا يمكن له الحياة بدونه وان اختلفت وسيلته وأسلوبه .

تاسعا : ان عداء أوروبا للاسلام وأهله ليس وليدا للماضى القريب ، بل هو عداء قديم جدا وان اختلفت وسائل الكيد والدس له ولأهله فى عصرنا الحديث ، وان أبعاد أهله عنه والتنكيل بمعتنقيه له صور مماثلة فى الأمس البعيد .

عاشرا : ان الوجود الأوروبى يحس أن استعمار الشعوب والسيطرة على مقدراتها ضرورة لازمة لوجوده .

حادى عشر : التعرف على المنهج الغير اسـلامى المستخدم فى تدوين أحـداث التاريخ الأوروبى منذ أقدم العصور ، وتقييمه فى ضوء التطـور الاسلامى للدراسات التاريخية ويؤدى ذلك الى الحذر الكامل لا من تولى هذه الدراسات على علاتها ، بل من تولى المنهج الذى قامت عليه أو محاولة اتباعه فى الدراسات الاسلامية كلها .

ثانى عشر : ان النظرة والبحوث الأوروبية لتفسير الأحداث التاريخية فى ضوء المذاهب السياسية والاجتماعية (كالفاشستية) فى ايطاليـا ، والوطنية فى المانيا والشيوعية فى روسيا ، التى أخذت تتصارع فيما بينها فى أوروبا ، تحوى تفسيرا خاطئا وناقصا للأحداث التاريخية وسبب ذلك أن كتابها غير مسلمين . والكاتب الغير مسلم لا يؤمن بالغيب ، ومن كان ينقصه الروحية الغيبية فانه يتلقى الحادثة بادىء ذى بدء وهو معطل الروح والفـكر والحس ــ عن عمد أو غير عمد ــ وهـذا التعطيل يحد من الاستجابة المعيقة للحادثة التاريخية أى أنه يحرم صاحبها عنصرا من عناصر ادراكها وفهمها وتفسيرها وتصويرها على الوجه الأكمل وما يترتب على ذلك من تقويم غير سليم وحكم غير سليم .

ثالث عشر : ان الصراع بين الحق والباطل ، صراع أزلى ، وأنه مهما قدر لدولة الظلم أن تقوم وأن تستتر ، فهى حتما الى زوال . . وهكذا كانت دولة اليونان .. لقد قامت على الطغيان والظلم .. ولكن فى النهاية كان لابد أن تنهار .. لأن الظلم لابد أن يؤدى باذن الله بصاحبه الى الدمار « وكأى من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد » « أفلم يسـيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

تاريخ وحضـــارة الاغريق

بيئة بلاد اليونان (١) :

تتكون بلاد اليـــونان من الجزء الجنوبى لشـــبه جزيرة البلقان (٢) أى أنها تقع فى طرف أوروبا الجنوبى الشرقى ، ويحدها من الشرق البحر الايجى الذى يفصـــلها عن آســـيا الصغرى ، ويحدها من الغرب البحر الادرياتى والبحر الايونى اللذان يجريان بينها وبين شبه الجزيرة الايطالية وجزرها . وتطل كذلك فى جنوبها على البحر الأبيض المتوسط . ويرتبط ببلاد اليونان مجموعات من الجزر التى تبرز من مياه البحر الايجى وبحر اليونان والبحر المتوسط كقمم الجبال ومن أشـــهر هذه الجزر مجموعة كيكلاديس واسبورادس وجزيرة كريت (٣) .

وبلاد اليونان لم تزد مســـاحتها عن ٧٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ولم تكن تتعدى حدود تساليا ، ولم تكن تشمل مقدونيا ولا طراقيـــا ، وان ارتبطت بمجموعة من المستعمرات بشاطىء آسيا الغربى ، وشاطىء ايطاليا الجنوبى وشاطىء افريقيا الشمالى .

ويتضح من الوصف السابق أن بلاد اليونان تقع على أبواب آســـيا وتواجه مصر وساحل افريقيا الشمالى فى جنوبها ، مما أتاح لها فرصـــة الارتباط بعلاقات تجارية وسياسية مع هذه البـــلاد حيث بزغت شمس حضارات مصر وبلاد الشام والعراق وبعثة الجزيرة العربية التى نسج أهل

---

(١) بلاد اليونان هى بلاد الاغريق ويسميها أهلها هلاس ، وتعرف حضارتها باسم الحضارة الهيلينية نسبة الى الهيلينيين .

(٢) وشبه جزيرة البلقان هى المنطقة المحصـــورة بين البحرين الادرياتى والايونى ، من ناحية الغرب والبحرين الاسود والايجى من ناحية الشرق .

(٣) يبلغ عدد الجزر ٤٨٣ فى البحر الايجى و ١١٦ فى البحر الادرياتى وبحر اليونان .

اليونان على منوالها وأضافوا اليها ونقلوها الى بقية بلاد أوروبا ، وهذا يعتبر من أهم أسباب شهرتهم وأعظم مهمة قاموا بها .

وأرض هذه البلاد تغطيها الجبال الشامخة التى تصل الى ثلثى مساحة البلاد وتتخللها الأودية الضيقة والسهول الصغيرة — التى لا تزيد عن خمس مساحة اليونان وأنهارها ليس لها اتصال بالبحر . وتتميز بلاد الاغريق بطول سواحلها وكثرة تعاريجها وخلجانها وصلاحية بعض موانيها لاستقبال وابحار المراكب مما ساعد على شهرتها كدولة بحرية تجارية تجرى سفنها على البحار التى تطل عليها .

وجوها فى جملته كمناخ البحر المتوسط أى أنه حار جاف صيفا ، معتدل مطير شتاء ، وفى أوديتها يزرع القمح والكروم والزيتون وينمو الغار (1) حيث تكثر المياه ، وعلى المرتفعات تنمو الأعشاب وفى الأرض القليلة المياه ينمو العوسج وشجيرات ذات شوك لا تحتاج كثيرا للمياه .

وأهم مناطق بلاد اليونان هى :

فى الشمال :

١ — منطقة تساليا وهى سهل خصب فسيح تحيط به الجبال من جميع جوانبه تقريبا ويعزلها عن مقدونيا وشمال بلاد الاغريق جبال أوليمبوس وسلسلة جبال بندوس . ويفصلها جبال اسا وبيليون عن البحر الايجى ، ويحيط بها من الجنوب جبال اتريس وفى وسطها يجرى نهر بينوس فى واديه الضيق على شكل نصف دائرة مارا بمدينة لاريسا .

٢ — منطقة ابيروس وهى تطل على ساحل البحر الأدرياتى ممتدة فى اقليم كثير الجبال فعلى حدودها الشرقية نجد سلسلة جبال بندوس التى تعزلها عن تساليا . وفى جنوب تساليا وابيروس تمتد فروع من جبال

(1) الغار شجر أخضر ينمو صيفا وشتاء ، له حب مر اسود وكان يعمل منه تيجان تعطى لعظماء الرجال عندهم .

بندوس نحو الشرق بين خليج كورنتوس (كورنثه) ومجازافيا حتى لا يكاد الانسان يرى ممرا على ساحل البحر ، وفى هذه الجهة يوجد مضيق ترموبيلاى الشـــهير الذى يربط الجزء الشمالى من بلاد الاغريق باغريقية الوسطى . وكان يقطن بعض جبـــال هذه المنطقة بعض القبائل المتبربرة ومنها قبيلة غراى كوا المشتق منها اللفظ اغريقى .

أما اليونان الوسطى فهى تنقسم الى عدة أقاليم :

١ - أكارنانيا التى تقع بين خليـــج اكتيوم وخليج كورنثة وهى منطقة منعزلة .

٢ - ايتوليا وتقع فى الجنوب الشرقى من آكارنانيا .

٣ - لوكريس وهى تشغل المنطقة بين خليج ماليس وخليج كورنثه .

٤ - فوكيس وهو الاقليم الذى يتكون من المنطقة الوسطى من سهل كيفيسوس وشريط من ساحل الخليج الكورنثى ، الى الشرق من خليج كريســـا وينقسم قسمين : الوادى الأعلى لنهر كيفيسوس ، وسلسلة جبال برناسوس ، وأهم مدينة فيه هى دلفى .

٥ - بويوتيا أو حوض بحـــيرة كوباليس ، ويكاد يكون محصورا بين الجبال وهو كثير المستنقعات وأهم مدنه طيبة التى تســـيطر على وادى نهر اسوبوس وتتوسط الممرات المتفرعة من جبلى كيثايرون وبارنيس ومن مدن هذا الاقليم أيضا خيرونيا .

٦ - ايوبيا وقد ربط هذا الاقليم منـــذ القرن الخامس بقنطرة باقليم بويوتيا .

٧ - اتيكا وهى أرض تغطيها الصخور والتلال المرتفعة تقطعها أودية صغيرة . وأتيكا عبارة عن شبه جزيرة مثلثة تبرز من جنوب بويوتيا

داخل البحر ويفصل بعض أوديتها جبال كيثايرون ويارنيس وأهم مدن هذا الاقليم هى أثينا .

وجنوب بلاد اليـــونان وهو المعروف باسم البلويونيز تقع الأقاليم التـــالية :

١ — اركاديا وهو عبارة عن هضبة تكثر بها المستنقعات .

٢ — آخيا فى شمال الهضبة ويمتد على خليج كورنته .

٣ — ايليس فى الركن الشمالى الغربى من البلوبو .

٤ — ارجوليس شبه جزيرة قاعدتها فى الداخل ورأسها يمتد نحو الجنوب الشرقى فى اتجاه البحر الايجى .

٥ — لاكونيا ويقع أقصى الجنوب وأهم مدنه اسبرطة .

وكان من أثر بيئة بلاد اليونان :

١ — تحول بلاد اليونان الى وحدات سياسية صغيرة تعرف باسم بوليس أى المدينة الحرة أو الدولة المدينة .

٢ — تباين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وما صاحبه من اختـــلاف الطباع وأساليب المعيشة ، ففى السهول يعيش الأهالى على الزراعة . وعلى المرتفعات يقـــوم الأهالى بالرعى ، وعلى الســـواحل يعمل الأهالى بالصيد والملاحة .

٣ — ظهور النزعات الانفصـــالية بين الأقاليم المختلفة لسبب صـــعوبة الاتصال بين أجزائها وقد ترتب على ذلك ضعف هـــذه الأقاليم وعجزها عن أن تصير قوى سياسية كبرى ، الا فى عهود متـــأخرة (عهد فيليب المقدونى والاسكندر الأكبر)

٤ - ترتب على صغر كل اقليم – كما يقول المؤرخون – وقلة عدد أفراده ، ازدياد الرابطة بينهم وبين الدولة والاهتمام بالشئون السياسية وازدهار الروح الوطنية ، وظهور رأى عام قوى ونظام حكم يتفق مع مصلحة كل اقليم وتعاون كبير لاستغلال كل موارد الطبيعة . ولكن ذلك لم يمنع ظهور نوع من المنافسات – بين أفراد الاقليم – كان يتحول أحيانا الى خصومات عنيفة .

٥ – نشوء التوتر فى العلاقات بين الأقاليم وبعضها نتيجة تلاصقها وقلة مواردها ، وقد صاحب ذلك كثير من الاحتكاكات والمنازعات والحروب .

٦ – اضطرار السكان الى الهجرة خارج البلاد وانشاء المستعمرات .

٧ – صار البحر طريق المواصلات الوحيد بين مدينة وأخرى وخاصة بين الجزر وشبه الجزيرة اليونانية .

* * *

أصل الشعب اليونانى

أول من سكن بلاد الاغريق هم البيلاسجيون Pelasgi وذلك منذ العصر الحجرى الحديث (٣٥٠٠ – ٢٠٠٠ أو ١٩٠٠ ق.م) .

وقد وفد على هؤلاء السكان مع بداية الألف الثانى قبل الميلاد ، مهاجرون جدد من الشعوب الهندو أوروبية امتزجوا بهم على مدار بضعة قرون ولقد أطلق هوميروس على هؤلاء المهاجرين الجدد اسم الأخيين Achaeans وفيما بعد أطلق هؤلاء المهاجرون على أنفسهم اسم هيللينين Hellenes (ابتداء من القرن السابع تقريبا وسماهم الرومان فيما بعد باسم الاغريق Greeks وعرفهم أهل الشرق باسم اليونانين نسبة الى الأيونيين ،وسماهم العرب اليونانيين .

وكان هؤلاء اليونانيين القدماء يتكلمون لغة هى صورة قديمة من اللغة اليونانية .

* * *

مصادر التاريخ اليونانى

يتفق القائمون على دراسة وكتابة تاريخ اليونان على أن هناك مصدرين أساسيين يعتمد عليهما المؤرخ لكتابة تاريخ هذه البلاد ، أولهما ، ما كتب باللاتينية أو اليونانية من قصص وخطب وأشعار ، وتراجم ومؤلفات وفلسفات وجغرافية ، تركها لنا الاغريق القدماء . وهو ما يسمى بالمصدر الأدبى . ثانيهما : ويشمل كل ما تركه لنا الاغريق القدامى من مخلفات ، كالمعابد والمنازل والمقابر والأدوات والآلات التى كانت تستعمل فى حياتهم اليومية وغيرها وهو ما يعرف بالمصدر الغير أدبى .

ولقد نقل لنا المصدر الأدبى بعض جوانب من تاريخ اليونان فى هيئة أقاصيص موضوعة فى شكل حكايات تعيد ذكرى العصور الخالية التى لا يعرف من حوادثها الا النزر اليسير . وهذه القصص تعزى أعمال أسلاف اليونانيين وما قاسوه من الشدائد وذللوه من الصعاب الى بعض أبطال من الأمة .

كما يحوى المصدر الأدبى أقاصيص عن أصل اليونانيين ، والجنس البشرى ، وأخرى عن الأجانب الذين وفدوا على بلاد اليونان ، وثالثة عن أعمال الأبطال اليونانيين ، ورابعة عن حروب اليونانيين وحملاتهم الشهيرة.

وأشهر حروب اليونان وأعظمها اثنتان : الأولى حملة الارغونفته ، والثانية حرب ترواس أو طروادة .

وقد عظمت شهرة هذه الحرب الأخيرة قصيدتان شهيرتان نظمهما الشاعر اليونانى هوميروس ، هما الالياذة والأوديسا .

وكما يقول المؤرخون : الالياذة ملحمة قتـال وحرب سجال وتزخر بصورة البطولة والشجاعة . ويمكن القول بأنها تمثل صورة ناطقة عن بلاد اليونان القديمة .

والأوديسا تصف الرحلات الجغرافية والعادات القومية بحيث ندرك منها كيف كان انتقال اليونان من دورها القديم الى دورها الجديد فى أوائل العصر التاريخى .

وتعتبر هاتان الملحمتان المصدر الذى استقى منه مؤرخو اليونان الذين لم نسمع شيئا عنهم قبل القرن الخامس قبل الميلاد .

وهاتان القصيدتان وغيرهما مع ما عثر عليه من الآثار القديمة ، تكشف لنا الكثير من خفـايا تلك العصور ، مع اماطة اللثام عن تاريخ ومـدنية وحضارة بلاد اليونان .

ولكن من هو هوميروس ؟

يقال أن هوميروس هو أكبر شعراء اليونان ، ولكن لا يعلم شيء ثبت عن نسـبه وحسبه . ولقد كثرت فى ذلك الأقوال المتباينة التى لا يمكن الأخذ منها بشيء مما وصفوه وما عول عليه هو ما قاله « هيرودوت » من أن هوميروس عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد .

وكما ـ يقال ـ تتبع قيمة هوميروس من الملحمتين الشعريتين اللتين خلفهما وهما الالياذة والأوديسا اللتان خلدتا فى بعض جوانبها حـرب طروادة . من الأجزاء الطريفة فيها القصة التى تتحدث عن حـرب طرواده وأسبابها التى تتلخص فى ان ملك اسبرطة « منلاوس » كان قد تزوج فتاة جميلة تسمى هلينى . وفى ليلة استضاف هذا الملك عابر سبيل طروادى الأصل يسمى باريس بن ملك طرواده . غير أن الأخير لم يرع حرمة مضيفه ، فاختطف زوجته هلينى وفر هاربا الى طرواده ، وعز الأمر على اليونانيين، فجمعوا جموعهم تحت قيادة أخ لملك اسبرطة وهو أجا ممنون ملك أرجوس

ووصلوا طرواده وحاصروها حتى دخلوها غيلة فأنزلوا بها أسوأ أنواع الانتقام ([1]) .. ويقول أحد المؤرخين : « ان شاعرا وصف حرب طرواده بهذه الحيوية الدافقة لا بد وأن يكون قد شاهد أحداثها » .

ويقول كيتو H.D.F. Kitto فى كتابه The Greeks :

« ان أشعار هوميروس كانت تكون قاعدة التعليم اليونانى والأساس لحياتهم الثقافية والفكرية الى حد ذهب القول معه بأنها انجيل اليونانيين . ولقد قيل أيضا أن هوميروس قد أثرى عقول اليونانيين الفنانين والمفكرين ، والرجل العادى لأجيال عديدة . وانه بالاضافة الى وحدة اللغة اليونانية فان تراث هوميروس المشترك هو الذى أعطى اليونانيين رغم التنازع والتناحر المقومات ليصيروا شعبا واحدا ذا طابع حضارى واحد» .

« ان بداية الالياذة ليست مقدمة سيئة عن هوميروس فكل يونانى ، لا بد وأن يكون قد حفظها عن ظهر قلب . انها نوع من المعرفة التى لابد وان تكون قد حفرت فى عقول مشاهير الرجال أمثال بيركليس Pericles والاسكندر والشعراء والفنانين والفلاسفة والسياسيين والتجار والعلماء وغيرهم » .

* * *

الملامح الرئيسية لتاريخ اليونان منذ أقدم العصور

يمكن تقسيم عصور التاريخ اليونانى الى قسمين رئيسيين :

الأول — عصر الأبطال أو اليونان الأولى وينتهى بانتهاء القرن السابع ق.م . ويطلق عليه أيضا عصر هوميروس على أساس الاعتماد على ملحمتى

---

(١) لو أن البعض الآخر يعتقد أن السبب يكمن فى الرغبة فى السيطرة على طروادة على اعتبار أنها تتحكم فى طرق القوافل التجارية وتشرف على المضايق المائية .

هوميروس كمصدر تاريخى عن عادات القوم ومشاربهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم .

ويدخل تحت هذه الفترة :

(أ) العصر الحجرى الحديث ٣٥٠٠ ـ ٢٠٠٠/١٩٠٠ ق.م ويطلق البعض على فترة منه اسم الحضارة الهللادية المبكرة .

(ب) عصر الحضارة الهللادية المتوسطة أو عصر البرونز المبكر (١٩٠٠ ـ ١٥٨٠) .

ويقال أن حياة اليونان اعتمدت فى العصر الحجرى الحديث على الزراعة وصيد الحيوان واستئناسه . وانهم صنعوا من الحجر ، شأنهم فى ذلك شأن أصحاب حضارات العصر الحجرى ـ أدوات مختلفة تستعمل فى شئون الصيد والدفاع والزراعة .

أما فى العصر البرونزى فقد استعمل الانسان أدوات من النحاس والبرونز جنبا الى جنب مع الأدوات الحجرية . كما أنه استخدم الصلصال المتوافر فى بيئته لصناعة الأوانى الفخارية .

ومنذ بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد ، بدأت تيارات حضارية تهب على بلاد الاغريق من قبل جزيرة كريت التى كان لها حضارة قديمة بدأت منذ عام ٢٩٠٠ ق.م أيضا . هذا التيار الحضارى شكل مع غيره جذور الحضارة اليونانية القديمة .

الثانى ـ العصر التاريخى ويبدأ ببداية القرن السادس ق.م . وقد لعبت كلا من اسبرطه وأثينا الدور الرئيسى فيه .

بذور حضـــارة بلاد اليونان

حضارة جزر البحر الايجى أو الحضارة الايجية :

لقد قلنا أنه منذ عديد من السنوات كان يعتمد المؤرخون على الأساطير اليونانية فى حديثهم عن التاريخ المبـكر للبلاد الايجية الى أن أتيحت الفرصة للأبحاث الأثرية أن تميط اللثام عن مواطن هذه الحضارة القديمة منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى . وفى البداية انشغل القائمون على الأبحاث الأثرية بالكشف عن معابد وتماثيل عصور اليونان التاريخية دون محاولة فك غموض عصور ما قبـل تاريخها ومع استمرار هذه الأبحاث كانت حصيلة هذه الاكتشافات التى تست فى مراكز الحضارة الهيلينية التى ترجع الى القرن الخامس والرابع والثالث قبل الميلاد قليلة بينما كثرت الاكتشافات التى ألقت الضوء فجأة على تاريخ العصور المبكرة وما يسمى بالحضارة الايجية أو الكريتية والميكينية ، التى لم يكن معروفا عنها شىء يذكر سوى اشارات غامضـة مستقاة من المصـادر الأدبيـة التى سبق حديثنا عنها .

وكان مركز الحضارة الايجيـة (المنيونية) جزيرة كريت وعاصمتها كنوسوس وانتشرت منها الى مواقع أخرى فى مناطق البحر الايجى وفى عدة أجزاء فى جنوب ووسط اليونان وسواحل آسيا الصغرى . ومنـذ عام ١٥٥٠ برزت مراكز حضارة أخرى كان أهمها : ميكيناى .

ماتسمى ب « الحضـار المنيونية »

نسبت هذه الحضارة الى مينوس Minos أقدم حاكم لهذه البلاد كما تقول الأساطير ومن أسماء تلك الحضارة : الكريتية نسبة الى جزيرة كريت ، كما سميت أيضا بالايجية على اعتبار انتشارها فى المنطقة الايجية . ويقسم المؤرخون عصور هذه الحضارة الى ثلاثة أقسام :

العصر المينوى القديم	٣٠٠٠ ـ ٢١٠٠ ق.م
العصر المينوى الوسيط	٢١٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م
العصر المينوى الحديث	١٦٠٠ ـ ١١٥٠ ق.م

وقد كانت معلومات المؤرخين ـ قبل الاكتشافات الأثرية ـ عن هذه الحضارة مستقاة من ملحمتى هوميروس : الالياذة والأوديسيا ومما ذكره بعض المؤرخين القدامى أمثال هيرودوت .

وما أن جاءت نهاية القرن التاسع عشر حتى نشطت الأبحاث الأثرية فى مدينة كنوسوس عاصمة كريت وأسفرت هذه الأبحاث عما يميط اللثام عن حضارة هذه العصور المبكرة التى وقعت بلاد اليونان تحت تأثيرها .

وكريت أكبر جزر اليونان وتقع فى ملتقى الطرق البحرية بين أوربا وآسيا وافريقيا . وقديما كانت تكون قاعدة بحرية تجارية تربط بين مواطن الحضارات فى بلاد الشرق الأدنى وشواطىء ايطاليا وأسبانيا وكان أسطولها التجارى يجوب البحر ناقلا السلع بين كريت ومصر وموانى فينيقيا وآسيا الصغرى بدليل ما عثر عليه من المصنوعات الكريتية فى تلك البلاد منذ القرن التاسع عشر ق.م. كما وجدت منتجات مصرية فى كريت ويرجع تاريخها الى الدولة الوسطى المصرية وهناك احتمال كبير أن حاكم كريت كان يعتمد على أسطول حربى كبير فى حكمه لجزيرة كريت وجزر البحر الايجى بدليل عدم العثور على تحصينات داخل الجزيرة ، وان هذا الملك كان يعتمد على أبنائه فى حكم الجزر الأخرى .

ولقد قام ارثر ايفانس بحفائر فى كنوسوس ، وجاءت هذه الحفائر بما يفيد العثور على آثار تدل على طابع حضرى واحد لمدنية هذه المنطقة ومن بين ما عثر عليه من آثار ثابتة ، القصور الملكية الكبيرة ؛ وأهمها قصر كنوسوس الذى يعتبر مدينة متكاملة لما كان يحويه من صالات ضخمة وحجرات ودهاليز عديدة ، ولما ألحق به من مخازن ومصانع ،

وقد زخرفت جدران القصر برسومات ملونة تعطى لنـــا فكرة عن الحياة الاجتماعية فى ذلك الوقت البعيد بما فى ذلك أزياء الرجال والنساء .

وبداخل هــذه القصور الملكية عثر على كثير من الأوانى الفخارية الفاخرة المزخرفة والملونة برسوم نباتية . وكذلك الأوانى الحجرية وعلى حلى من الذهب وآلات وأدوات من النحاس وتماثيل صغيرة من العـــاج مما يدل على قيام صناعات لتلك الأشياء بهذه البلاد .

ومن المدهش أن الأبحـــاث الأثرية أثبتت أن هــؤلاء الناس كانوا يمتلكون شكلين من أشكال الكتـــابة أقدمها التصويرية التى ترجع الى العصر المينوى الوسيط . وكانوا يستعملون علامات تمثل مقاطع من عدة حروف كما كان فى اللغة المصرية القديمة ، والثانية خطية وترجع الى القرن السادس عشر قبل الميلاد التى عثر عليها من خلال الوثائق المكتوبة بها فى كنوسوس وغيرها من مراكز الحضارة الايجية .

كما أفادت الأبحاث أنهم كانوا يعتقدون بحياة أخروية وأنهم كانوا يعبدون الأوثان . وكانت العبادة تتم فى هياكل تقام لهذا الغرض وتتميز بما كان يجرى فيها من احتفالات تشمل الرقص والألعاب من مصـــارعة وملاكمة وغيرها .

وبالاضـــافة الى ذلك فقد ألقت الأبحـــاث الأثرية ـــ التى جرت فى كريت ـــ الضوء على الجوانب الآتية فى حياة المجتمع الكريتى .

نظام الحكم :

فى البداية كانت السلطة يمارسها رؤساء الأسرات الكبيرة . وبعد ذلك تجمعت السلطة فى يد شخص واحد هو الملك . وكان الملك يستند فى حكمه للبلاد على جيش قوى وأسطول كبير . كما كان يعاونه بعض كبار الموظفين والكتاب .

الأحوال الاقتصادية :

كانت الزراعة عماد المجتمع الكريتى . ومن محاصيلها : الحبوب ــ البقول ــ كروم العنب ــ التين ــ الزيتون ــ السفرجل ــ الكتان ــ الزعفران ــ الخشخاش ــ والسمسم (وقد ترتب على ذلك قيام صناعة استخراج الزيوت) .

والى جانب ذلك قامت صناعات عديدة أهمها : صناعة الأوانى الخزفية وتزيينها ــ صب البرونز ــ صناعة الأسلحة ــ صناعة التماثيل والتحف .

الرياضة :

كان الكريتيون يمارسون المصارعة والجرى ومبارزة الثيران كما كانوا يسلون أوقات فراغهم بلعبة المربعات وهى شبيهة بلعبة الشطرنج فى الشكل.

وبالاضافة الى ما سبق أمكن التعرف كما يقول المؤرخون ــ على أحوال الناس الاجتماعية وكذلك على أزياء الرجال والنساء ووضع المرأة فى ذلك المجتمع الكريتى منذ أقدم العصور .

ولا يفوتنا أن نذكر أن قصر كنوسوس قد احترق عام ١٤٠٠ ، وان كان المؤرخون لا يعرفون السبب الحقيقى لذلك . وقد أعيد بناء جزء صغير منه على يد الأخائيين .

وفى عام ١١٠٠ ق.م اكتسحت القبائل الدورية جزيرة كريت فطمست ما بقى فيها من معالم حضارية .

ويذهب أحد المؤرخين الى أن السبب فى زوال حضارة كريت وانقراض دولة مينوس بعد انهيار قصر كنوسوس هو حالة التفسخ والانحلال الداخلى التى شملت المجتمع الكريتى .

وقد كان لهذه الحضارة أثر عميق فى كثير من البلاد المجاورة . ومن أبرز هذه الآثار نشوء حضارة ميكيناى فى شبه جزيرة البلوبونيز . ولقد قامت ميكيناى بنقل جزء كبير من تراث كريت الحضارى الى بلاد اليونان .

وفى ختام حديثنا لا يفوتنا أن نذكر أن التاريخ اليونانى يذكر أن صولون الأثينى وليكورجوس الاسبرطى قد استوحيا تشريعاتهما من التشريع الكريتى . الذى عثر على مجموعة منه مدونة على جدران مدينة غورتينا بجزيرة كريت (١) . ويقال أيضا ان النحاتين الكريتيين كانوا أساتذة لليونانيين فى مجال تخصصهم وبذلك أمكن القول بتسرب الحضارة الكريتية الى بلاد اليونان لتشكل جذور الحضارة اليونانية .

الحضارة الميكنية

نسبة الى مدينة ميكيناى وذلك لأن الحضارة الكريتية قد انتقلت الى اليونان عن طريق مدينتى ميكيناى وتيرنس فى شبه جزيرة البلوبونيز .

وبالاضافة الى ذلك فان الحضارة الميكينية قد كان لها نشاط تجارى ملحوظ فى البحر الأبيض المتوسط معتمدة على أسطول كبير .

وفى البداية كانت مصادر معلومات المؤرخين عنها منحصرة فى ملحمتى الالياذة والأوديسا وما ذكره بعض كتاب اليونان ، بالاضافة الى ما ورد عنها فى مصادر مصرية أو حيثية . ومع نهاية القرن الثامن عشر نجح هنرى شليمان فى جمع ثروة كبيرة لتحقيق ما كان يحلم به من تحقيق لمواقع وحوادث وردت فى أشعار هوميروس . ولقد قام بعدة حفائر كشفت بعض المواقع الأثرية فى طروادة (٢) وميكيناى وتيرنس (٣) أدت الى تزويدنا بمعلومات عن الحضارة الميكينية .

وقد ظهرت أقدم ملامح لهذه الحضارة فى مدينتى تيرنس وميكيناى ، الأولى كان يحيط بها سور يبلغ ارتفاعه ٢٥ ــ ٥٠ قدما من الحجارة الضخمة . وبوسط المدينة كان يقع قصر الملك الذى كان يشبه قصر كنوسوس

---

(١) ترجع الى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد .

(٢) فى الزاوية الشمالية الغربية من شاطىء آسيا الصغرى فى منطقة الهضبة التى تسمى حصارلق . وقد كانت تتكون من تسع مدن تحدث عنها هوميروس فى الالياذة .

(٣) تقع تيرنس على بعد ميل ونصف من شاطىء البحر الى الجنوب من ميكيناى .

بكثرة غرفه وممراته التى بنيت حول قاعة واسعة مسقوفة . وكان القسم الخاص بالحريم منفصلا عن أقسام القصر الأخرى .

أما مدينة ميكيناى فقد كانت مثلثة الشكل . وفى مرتفع منها كان يقوم قصر الملك الذى كان يحوى بهوا خاصا بالعرش ثم المعبد وقاعات الاستقبال والمخازن والحمام .

وبالقرب من أحد أبواب المدينة (باب السباع) عثر على مقبرة تحتوى على هياكل عظمية ، ووجدت على جماجم ا لرجال تيجان واقنعة من الذهب. وذلك غير الحلى والمجوهرات المعلقة عى صدور النساء . وبالاضافة الى ذلك عثر على كثير من الأدوات مثل الأوانى الخزفية وقدور من البرونز والفضة وخناجر وسيوف .

لقد ارتقت ميكيناى بمبانيها المعمارية وشاهد ذلك ما تركه لنا أهلوها من قلاع فى مواقع اختيرت بعناية على قمم الجبال المنعزلة وعلى الصخور والهضاب المرتفعة وذلك ليسهل الدفاع عنها وكانت هذه القلاع تبنى بكتل من الحجر بعضه فوق بعض بدون مونة أو من الطوب اللبن ، وفى نهاية عصرهم استعملوا كتلا مربعة منتظمة من الحجر لبناء بواباتهم وابراجهم . كانت جدران هذه القلاع تزين برسومات مناظر الصيد والقتال وغيرها .

تلك نماذج لما عثر عليه فى تيرنس وميكيناى وهو نتاج حضارة انتشرت فى بلاد اليونان وجزر بحر ايجه منذ حوالى ١٦٠٠ ق.م حتى ١٢٠٠ ق.م ، ويبدو انها أقيمت أو صنعت على غرار نماذج كريتية ، وأنها عاشت بعد تخريب كنوسوس حوالى مائتى سنة أخرى .

اما عقائد الميكينيين ، فيقول المؤرخون انهم كانوا يقدسون الحمام والآهة الأم وابنها الصغير ثم الأفاعى ، أى أنهم كانوا وثنيين .

وقد ورث أصحاب هذه الحضارة الميكينية عن كريت نشاطها التجارى البحرى مع سواحل افريقية الشمالى (مصر) وسواحل الشام (سوريا

وفلسطين) وآسيا الصغرى وسواحل ايطاليا وأسبانيا وقبرص حيث استقرت جماعات منهم هناك .

وفى نهاية حديثنا عن ميكيناى ، نود أن نذكر أن بعض المؤرخين ذكر أن، توسع الميكينيين فى شواطىء آسيا الصغرى قد جرهم الى الصدام مع مدينة طروادة التى كانت تسيطر على طريق القوافل وتحرس المضايق وتسيطر عليها . ونجم عن هذا الصدام ما يسمى بحرب طروادة التى وقعت فى أيدى اليونانيين وبسقوطها يبدأ التاريخ اليونانى .

ولقد انتقلت مظاهر الحضارة الميكينية الى بقية مدن جنوب ووسط بلاد اليونان ويعتبر المؤرخون تلك الحضارة بمثابة القاعدة التى بنيت عليها بلاد اليونان شخصيتها الحضارية المتميزة منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وقد انهارت مراكز هذه الحضارة فى ميكينيا وغيرها من المدن اليونانية على أيدى الهجرات (١) الدورية فى القرن الثانى عشر ق.م. وقد أدى ذلك الى هجرة بعض السكان تاركين بلادهم للغزاة ومحاولين البحث عن مراكز أخرى يحطون فيها رحالهم .

المجتمع اليونانى القديم فى عهد الابطال

(١٣٠٠ ـ ١١٠٠ ق.م)

كما تصوره الالياذة والأوديسا

كان المجتمع يتكون من قرى عديدة يتحد كل مجموعة منها برئاسة ملك أو أمير حول قصر حصين . كانت حياتهم تعتمد على الزراعة والرعى والصيد ومزاولة الكثير من الحرف مثل أعمال البناء والسراجة والنجارة(٢).

---

(١) وأصلها الشعوب الهندو آرية التى خرجت من بلاد القوقاز فى القرن الرابع عشر ق.م

(٢) د. محمد عياد ـ تاريخ اليونان ص ٩١ وما بعدها .

وكانت الأرض ملكا للعشيرة أو الأسرة وليس للأفراد . وكان الملك يستطيع تسخيرهم للعمل فى أرضه مدة من الزمن .

لقد كان المجتمع اليونانى فى عهد الأبطال أبعد عن النظام والقانون والقيود الأخلاقية . انها حياة فتوة وقوة لا تترك مجالا للبحث فى آداب السلوك والقواعد الأخلاقية . لقد كان لدى اليونانيين كثير من القسوة والعادات الوحشية فى حفلات حرق الموتى . وكانوا يقدمون ضحايا ليست من الحيوانات فحسب ، بل من البشر أيضا .

وكانوا اذا فتحوا مدينة يقتلون رجالها ويبيعونهم كأرقاء ويسبون النساء ويتخذوهن محظيات اذا كن جميلات أو خادمات مستعبدات . وكانت القرصنة تعتبر مهنة محترمة . فالملوك بأنفسهم كانوا يهيئون الغارات لنهب المدن والقرى وسلب السفن .

ولما سئل أوديسيوس : هل هو تاجر ؟ اعتبر ذلك تحقيرا له ، ولكنه كان يروى مفتخرا بأنه فى طريق عودته من طروادة ، عندما نقصت لديه المؤن . قد أغار على مدينة وشحن سفنه بالأرزاق ، ثم نهب الحقول الغنية وقتل الرجال وسبى النساء والأطفال الصغار .

كما كان الاخائيون يتصفون بالكذب ، والميل الى الخيانة والغدر (١) .

ويقوم المجتمع عند الآخائيين على أساس السلطة الأبوية المطلقة . فان رئيس الأسرة يستطيع أن يتخذ لنفسه من الجوارى بقدر ما يشتهى ويتصرف بأولاده حسبما يشاء فيحكم عليهم بالموت أو يقدمهم ضحايا للآلهة .

وكان للمرأة حرية التجول والاشتراك فى المناقشات العامة . وكان الزواج يتم مقابل مهر يحدد عادة بعدد من البقر يدفعه الخطيب الى والد الفتاة .

---

(١) وذلك يعنى أن المجتمع كان شاردا عن الهدى الالهى .

وكانت قصور الملوك تبنى على شاكلة قصور ميكيناى وتيرنس ، أما البيوت العادية فقد كانت تبنى من اللبن وتسقف بالقصب والطين .

أما نظام الحكم فكان يعتمد على سيطرة القبيلة التى ينتمى أفرادها الى جد واحد ويخضعون لرئيس مشترك ، يقيم فى قلعة حصـــينة تجمع حولها القرى التى نشأت عنها ــ فيمابعد ــ المدن .

وكان رئيس القبيلة يعتمـــد على مجلس شـــورى من رؤساء الأسر لاستشارتهم فيما يهمهم من أمور . وذلك غير المجلس الشعبى العام الذى يضم كل الرجال الأحرار . لرفض أو اقرار مقترحات مجلس الشورى دون أن يكون له حق مناقشتها .

واذا اتفق واتحدت عدة قبائل مع بعضها البعض ، فيختارون من بين رؤســائها أكثرهم قوة فيصـــبح ملكا عليهم ، على أن يكون باقيهم ممن يسمون برفاق الملك .

وكان لمجلس الشورى الحق فى اقصاء الملك ، وكان الملك وراثيا ينتقل الى أكبر أبناء الملك .

وكان الملك يمارس سلطات مطلقة فى المجال العسكرى والقضـــائى والدينى فكان هو القـــائد للجيش ، وهو الذى يقوم بمباشرة جميـــع السلطات التشريعية والتنفيـــذية . كمـــا انه هو الرئيس الدينى الأعلى ويرجعون بنسبه الى الآلهة (١) .. هكذا يقولون .

---

(١) وذلك يعنى أن الحاكم كان حريصا على صبغ حكمه بالصبغة الدينية ، كى يضمن استمراره فى الحكم .

المجتمع اليونانى القديم

من القرن الحادى عشر حتى السادس قبل الميلاد

وفى عام ١١٠٠ ق.م اجتاحت شبه الجزيرة اليونانية غزوة من قبل القبائل الدورية وهى ما تسمى بعودة « الهيراقليين » الذين :أحالوا المراكز الحضارية لشبه الجزيرة اليونانية الى أطلال حزينة ، وكان ذلك ايذانا بانتهاء عهد الآخائيين الذين شتتوا ليستقروا فى جزر بحر ايجه وشواطىء آسيا الصغرى .

ومنذ القرن الحادى عشر والسادس قبل الميلاد ، بدأت تتبلور الملامح الحضارية لشبه الجزيرة اليونانية . ففى هذه الفترة تمركزت القبائل المختلفة فى شبه الجزيرة اليونانية . وفى هذه المرحلة هاجر عدد كبير من اليونانيين لانشاء مستعمرات على شواطىء البحر الأبيض المتوسط — أصبحت بمضى الوقت تابعة للوطن اليونانى الأم وسبقته فى خلق الحضارة اليونانية وذلك بسبب اتصالهم المباشر بالأمم صاحبة الحضارات القديمة مثل المصريين والبابليين والحيثيين والفينيقيين .

وفى هذه الفترة نشأت المدن اليونانية وكلها عبارة عن وحدات اقتصادية وسياسية وعسكرية تتمركز حول معبد اله المدينة وأبطالها المقدسين . وفى كل مدينة توجد قلعة حصينة وساحة عامة للاجتماعات والأسواق التجارية . ويقال أن كل مدينة غالبا ما كان لها مرفأ على الشاطىء ييسر لها سبل الاتصال بالعالم الخارجى .

ولقد ترتب على حياة الاستقرار فى المدن ، تغير فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وكان التغيير الاقتصادى نتيجة لظهور منبع آخر للثروة وهو التجارة التى مكنت طبقة من الناس تسعى لشراء الأراضى التى لم يكن من المسموح انتقالها من شخص الى آخر الا عن طريق الوراثة .

وقد ترتب على بدء تفتت الملكية ، زوال العصبية وازدياد الفروق الطبقية . ومن هذه الطبقات يمكن تمييز :

١ -- طبقة النبلاء : صاحبة النفوذ السياسى والأراضى الواسعة .

٢ -- طبقة أصحاب المهن مثل الأطبـاء والعرافين والحدادين والخزافين وكانت دائما دون طبقة النبلاء فى المرتبة والحقوق السياسية (١) .

٣ -- طبقة العمال وتتكون من الأجانب والمتشردين والمقامرين . وقد قال عنهم هسيودوس « انهم لم يكن لديهم وسيلة للدفاع عن أنفسهم فى المجتمع » ، ولا يجدون شيئا من الرحمة عند الأغنياء ، أو من العدالة عند الحكام ولا يعرفون معنى الراحة والأمن .

٤ -- طبقـة الأرقاء وتتكون من أسرى الحـرب أو المسروقين وكانوا يباعون فى الأسواق كالحيوانات .

وبالنسبة للتطور السياسى فقد انهـار الحكم الملكى حوالى القرن الثامن قبل الميلاد وحل الحكم الجمهورى محله فى كل مكان ما عدا اقليم ابيروس . وفى اسـبرطة كان يتولى الحكم شخصان يتقاسمان الأعمـال ويراقب أحدهما الآخر .

وكان يتولى الحكم فى ظل الحكم الجمهورى الارستقراطى طبقة من النبلاء . وفى ظل نظام الحكم الجديد وحدت أعمال الموظفين وسلطاتهم ، وسنت القوانين اللازمة للحكم بعد أن كان اتباع قواعد العادة والعرف هو الوسيلة لحكم البلاد .

تاريخ وحضارة دولة اسبارطة (٢)

لا يمكن الحديث عن دول المدن اليونانية كوحدة واحدة ، لأن كل

---

(١) وذلك يعنى أن المجتمع الاوربى ـ منذ القدم ـ كان مجتمعا طبقيا .

(٢) وتعنى المشتتة وكانت تتكون فى الاصل من خمس قرى كبيرة اتصل بعضـها بالبعض الاخر وتشمل الآن قرية صـغيرة لا يزيد عدد سكانها عن أربعة آلاف نسمة .

منها تطور فى اتجاه خاص من ناحية أنظمته السياسية وأوضاعه الاجتماعية الخاصة وان كان ذلك لا يمنع وجود نوع من العلاقات الكثيرة والصفات المشتركة بينها .

ومن أهم هذه الدول . المدن دولتى اسبارطة وأثينا التى سنفرد لهما الحديث على الصفحات التالية .

تاريخ وحضارة دويلات المــدن اليونانية

تعريف : تقع اسبارطة فى وسط وادى نهر أوروتاس من مقاطعة لاكونيا الواقعة جنوب شرقى جزيرة البلوبونيز . ومدينة اسبارطة عاصمة هــذه المقاطعة تحيط بها الجبال الشاهقة من جميع الجهات ولم يزد عدد سكانها فى يوم ما عن سبعين ألفا من المواطنين .. وقد بدأت تلعب دورها منذ القرن التاسع قبل الميلاد .

وقد كانت تلك المدينة أعظم وأقوى مدينة محافظة فى شــبه الجزيرة منذ القرن السادس قبل الميلاد . فلقد حرصت منذ بداية تاريخها على عدم الاتصال بغيرها من المدن الأخرى أو فتح أبوابها للمؤثرات الخارجية .

وتتضح تلك الرغبة فى المحافظة على التقاليد ، فى نظام الحكم الذى كان ملكيا [1] حيث كان رؤساء الأسرات النبيلة هم أصحاب الأمر فى ادارة الحكومة والجيش ، ويقفون بالمرصاد لكل محاولة تهدف الى تغيير النظام الاجتماعى والسياسى .

ورغم هذا فان اسبارطة اجتازت مثل غيرها من المدن اليونانية مراحل متعددة من التطور مكنتها من الضرب بسهم وافر فى المضمار الحضارى .

وأهم مصادر التاريخ الاسبارطى الأدبية ما كتبه أرسطو عن دستور الاسبارطيين .

---

(١) وقد استمر ذلك حتى القرن السادس قبل الميلاد .

التاريخ الاجتماعى :

كان المجتمع اللاكونى مجتمعا طبقيا بمعنى أنه يتكون من ثلاث طبقات بيانها كالتالى :

١ — الطبقة الحاكمة الارستقراطية ، ولم تكن لها مهمة سوى التدريب على حمل السلاح واستعماله فى الحروب . ولم يكن لها أى نشاط اقتصادى بل كانت تعيش من جهود الأقنان (العبيد) .

ولم يزد عدد أفراد الطبقة العسكرية فى يوم ما عن (٣٢) ألفا من رجال ونساء وأطفال .

٢ — طبقة سكان الأراضى الدائرة (البريوكى) المحيطة بدولة اسبرطة والتى تؤلف حاجزا يحمى اسبارطة من الشعوب المجاورة ويسمون بالمواطنين الأحرار . وكانوا يتمتعون ببعض الحقــوق المدنية مثل التعامل (الاشتغال بالتجارة أو الصناعة) ويقومون بأداء الخدمة العسكرية . ولكنهم كانوا محرومين من الحقوق السياسية فلا يسمح لهم فى تولى وظائف الدولة العامة ، ولم يكن لهم حق التصويت . وغير ذلك لم يكن لهم حق التزاوج من أفراد الطبقة الحاكمة — وقد بلغ عددهم (١٢٠) ألفا .

٣ — طبقة الهيليوتيين (العبيد) وقد كانوا تابعين للدولة توزعهم على المواطنين الأحرار لخدمتهم ولفلاحة الأرض . ولم يكن للمواطن الاسبارطى الحق فى طرد أحد من الهيليوتيين من الأرض أو يطالبه بشىء من المحصولات تزيد عن المقدار المعين من الدولة .

وكان للعبيد بعض الحقوق ومنهــا حق الاحتفاظ بالمحصـــول الزائد والناتج عن تحسين فلاحة الأرض وزيادة محصولها ، كما كان لهم حق الاحتفاظ بالغنائم التى يسلبونها .

وعلى الجانب المقابل كان وضع الهيلوتيين من الوجهة الحقوقية (١) فظيعا جدا . ان قوانين اسبارطة لم تكن تتضمن أية حمـــاية لهم . ونرى الحكام يعلنون من حين الى آخر حالة الطوارىء التى يسمح فيها للسكان الاسبارطيين أن يصطادوا الهيلوتيين ويقتلوهم دون آيما سبب . كما أنهم كانوا دوما يراقبون من قبل الشرطة السرية التى يحق لأفرادها أن يقتلوا فى الحال كل هيلوت يشتبهون بأمره دون أية محاكمة (٢) .

التاريخ الاقتصادى :

أ ـ الزراعة :

كانت الزراعة تشكل جزءا من الاقتصاد القومى لدولة اســـبارطة ، وكانت الأراضى الزراعية تنقسم الى نوعين :

الأراضى الأميرية : وهى التى تقع حول اسبارطة مباشرة وكانت موزعة على الأسرات الاسبارطية . ولم يكن للاسرة حق تقسيمها أو بيعها ، فهى فى الحقيقة ليست ملكا خاصا وانما ملكا للدولة تهبها لرب الأسرة ليعيش من محصولها هو وزوجته وأولاده ، وعندما يموت تؤول الى أكبر أبنائه . وان لم يكن هنالك ورثة ، تعود الأرض الى الدولة .

أراضى البريوكى : وكانت ملكا خاصا للأفراد الذين كان من حقهم بيعها وشراؤها أو توريثها لأبنائهم . وكان يسمح أحيانا للأجانب بشراء هذه الأراضى والاقامة فيها . وكان للأسرة المالكة جزء منها ، وذلك غير جزء آخر موقوف على معابد الآلهة .

---

(١) د. محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٢) هذه هى صورة للمجتمع الاوروبى ! الذى رفض الاقرار بالعبودية لله وحده دون شريك فاستعبد الناس ، وجعلهم طبقات يعلو بعضها البعض .

ولقد حرص الاسبارطيون على أن تكون القوانين خادمة ومحافظة على هذا النظام الاجتماعى والاقتصادى ، واتبع الاسبارطيون فى معيشتهم تربية الأولاد على أساليب معينة تضاربت الأقوال بشأنها .

٢ ـ الصناعات :

منذ القرن السابع قبل الميلاد ، ويلحظ العلماء تقدما فى صناعة النسيج والخزف والمعادن وخاصة صناعة الأسلحة والأدوات الزراعية والمفاتيح من الحديد المتوافر فى مقاطعة لاكونيا .

الحياة الأدبية :

وعلى الجانب الآخر ، كان هنالك ازدهار فى الحياة الأدبية . وأهم شعراء ذلك العصر المدعو « آلقمان » الذى نشأ فى « ليديه » ويروى أنه كان عبدا ولكن الاسبرطيين أعجبوا بشعره وأحسنوا استقباله .. وقد انصرف « لقمان الى التغنى بالحب والخمر » .

ولكن هذه النهضة الأدبية لم تستمر طويلا ، وذلك بسبب النظام الطبقى للمجتمع الاسبارطى . هذا المجتمع وضع على كاهل ثلاثين ألفا من الأسبارطيين حكم (٣٤٤) ألفا من طبقتى البريوكى والهيلوتيين الذين كانوا ينتهزون الفرصة المواتية للثورة والتحرر .

وقد كان ذلك سببا لأن يوجه الاسبارطيون كل طاقاتهم للامداد العسكرى ليكونوا على أتم استعداد لاخماد الثورات أو خوض غمار الحروب حتى تكون لهم الكلمة العليا فى شئون البلاد .

وقد أدرك أبناء اسبارطة هذه الحقيقة فجاءت التشريعات التى وضعوها محققة لهذا الهدف ـ ومن هؤلاء الأبناء ليكورجوس .

ليكورجوس ودستور اسبارطة :

تعريف :

هو مجموعة من قواعد الاصلاح والعرف والتقاليد الموروثة نقحت ووضعت فى شكل قوانين وينسب ذلك الى شخص يسمى ليكورجوس[1] عاش فى القرن السابع قبل الميلاد .

ويعتبر المؤرخون ذلك الدستور أغرب الدساتير فى التاريخ وأكثرها ازعاجا للبشر .

ويقول هيردوت ان ليكورجوس قد تلقى الأوامر التى جعلها أساسا لقوانينه فى معبد (دلفى) . وقد وضع ليكورجوس احدى عينيه ثمنا لفرض هذه القوانين .

وبالاضافة الى ذلك فهناك روايات مضطربة ومتناقضة لمعرفة الأحكام التى كانت سائدة قبل عهد ليكورجوس ، والمواد التى أضيفت فى عهده أو بعده .

وسنتناول على الصفحات التالية النظام السياسى والاجتماعى فى الدستور الاسبارطى .

النظام السياسى :

يقال انه كان يجمع بين ما يسمى بأشكال الحكم الثلاثة : الملكية والارستقراطية والديمقراطية .

---

(١) هنالك أقوال متضاربة عن حقيقة شخصية ليكورجوس . ويقال أنه ولد فى الفترة ما بين (٩٠٠ ــ ٦٠٠ ق.م) وانه كان عما لملك أسبارطة خاريلاوس . وانه عندما اشتدت الاضطرابات بالبلاد غادرها راكبا متن الاسفار ليقف على عادات الامم الاخرى واخلاقهم ويستطلع آراء الحكماء ــ ويقال أنه تعرف على قوانين مينوس فى كريت وجمع أشعار هوميروس من آسيا الصغرى . وذكر أن الكهنة المصريين اعتبروه من تلاميذهم ، وأنه قد عاد بعد ثمانية عشر عاما الى اسبارطة ليعهد اليه من قبل أهلها وسدنة هيكل دلفى بوضع قوانين اجتماعية وسياسية لاصلاح أحوال البلاد .

ويقال ان ليكورجوس لم يغير شيئا فى شكل الحكومة الاسبارطية ونظامها السياسى الذى كان مشابها لغيره فى دويلات المدن اليونانية فى عصر الأبطال ونظامه كالتالى :

١ — الملكان : وقد حافظ الاسبارطيون على هذا النظام ظنا منهم أن التنافس الدائم بين الملكين يضعفهما ويمنعهما من الاستئثار بالسلطة . وكان الملك يقسم اليمين عند توليه العرش بأن يحكم حسب القوانين السائدة .

٢ — مجلس الشيوخ جيروزيا .

٣ — الجمعية العامة آبيللا

٤ — المراقبون الخمسة وكانوا يقومون بمباشرة بعض السلطات الادارية التى كان يتولاها الملكان من قبل .

ولم يكن هنالك اختصاصات محددة لكل من الهيئات الأربع مما ترتب عليه الكثير من الصراع وخاصة من جانب النبلاء الذين كانوا يحاولون دواما الحد من سلطة الملكين ، وكذلك عدم احترام الدستور ومحاولة هدمه لتكون لهم اليد المطلقة فى شئون البلاد .

وكل ما قام به ليكورجوس هو تحديد حقوق وواجبات واختصاصات الملكين ومجلس الشيوخ والجمعية العامة :

١ — الملكان : وظيفتهما شرفية ومنها النظر فى بعض قضايا التبنى وتزويج اليتامى ، واستقبال الضيوف وتأدية الاحتفالات الدينية وتقديم الضحايا .

٢ — مجلس الشيوخ : وكان يتكون من ثمانية وعشرين عضوا ممن لا تقل أعمارهم عن ستين سنة تنتخبهم الجمعية العامة وذلك بالاضافة الى عضوية الملكين بحكم الوظيفة . وكان على المجلس

النظر فى شئون الدولةالخارجية كما كان يعد المشروعات تمهيدا لعرضها على الجمعية العامة . وفيما بعد كان له حق الاعتراض على قرارات الجمعية العامة . كما كان من اختصاصاته النظر فى الحوادث الهامة والقضايا الجنائية والجرائم التى تتعلق بسلامة الدولة . كما كان له حق الحكم بالاعدام وأحكامه كانت قطعية لا يمكن نقضها. وقد منحه الدستور أعلى السلطات .

٣ — الجمعية العامة : تتكون من كل المواطنين الاسبارطيين الذين بلغت أعمارهم الثلاثين وكان يدعوها للاجتماع (نصف شهرى) المراقبون القائمون على ادارة الحكومة . وكان من اختصاصاتها رفض أو اقرار جميع الأمور المتعلقة بالحياة العامة والقوانين دون مناقشة — ولكنها لا تصبح نافذة الا بعد اقرار مجلس الشيوخ لها وكان من حقها انتخاب الموظفين وأعضاء مجلس الشيوخ والمراقبين .

ولما كان الملكان يخرجان الى الحرب أحيانا ، فكان لابد من قيام بعض الأفراد بعملهما لذلك كانت الجمعية العامة تقوم بانتخاب خمسة أفراد (المراقبين الخمسة — أو القضاة) يقومون بأعمال الملكين لمدة عام ومن السلطات التى كانت لهؤلاء الأفراد : الحكم بالاعدام ، والقبض على الأفراد دون الرجوع الى مجلس الشيوخ [1] أو الجمعية العامة وكان من حقهم أيضا :

— مرافقة ومراقبة الملكين عند قيادة الجيش .
— الفصل فى منازعات الملكية والارث والزواج .
— مشاركة مجلس الشيوخ فى النظر فى القضايا الجنائية .
— الاشراف على اعداد الشباب للحرب .

---

(١) وان كان مجلس الشيوخ هو الذى يقوم باختيارهم . وفى القرن السادس كانوا يمثلون ارادة طبقة النبلاء . وكان اول عمل يقومون به هو دعوة المواطنين الى حلق شواربهم واطاعة القانون .

— الاهتمام بشئون طبقة البريوكى .

— تعيين الشرطة السرية لمراقبة الهيلوتيين .

-- طرد كل أجنبى غير مرغوب فيه .

-- تعيين وعزل ومحاكمة الموظفين .

وكان يقوم على تنفيذ أوامر الحكومة ومقرراتها : الجيش والشرطة ، وذلك غير بعض الشباب الشديد البأس الذى كان يسلح من قبل المراقبين الخمسة ليستخدم كشرطة سرية (تسمى كريبتيا) .

ومن اختصاص الشرطة السرية :

--- التجسس على أفراد الشعب وعلى الأخص الهيلوتيين .

— حق قتل من يشتبه فى أمره .

النظام الاجتماعى :

يقال ان ليكورجوس قد ألغى النظام العائلى للمجتمع الاسبارطى واستبدله بنظام يقوم على التقسيمات الجغرافية . وانه قد قسم أراضى لاكونيا الى ثلاثين ألف حصة متساوية بين المواطنين الاسبارطيين . لأنه حرص على التسوية بينهم فى ملكية الأراضى . وحرم على الاسبارطى بيع أرضه .

كما منع المواطنين من الاشتغال بالتجارة أو الصناعة خوفا من نشأة طبقة من الأغنياء تقوم بانتزاع السلطة من حكام اسبارطة . وحرم الزخارف كما حظر استيراد الذهب أو الفضة وأمر بسك نقود حديديه ثقيلة حتى لا يقبل الناس على كنز الكثير منها كما حرم الاشتغال بالفنون والآداب حتى لا ينصرف الاسبارطيون الى أى عمل غير الحرب وادارة الحكومة . كما فرض على القوم الاشتراك فى ولائم عامة تتكون من طعام خشن ، كما فرض على المواطنين الاسبارطيين فى مجال اعداد رجال أقوياء أشداء

يدافعون عن الوطن ـ القيام بالتمارين الرياضية الشاقة . وذلك يعنى أن الحكومة كانت تعتقد أن كيان الدولة يقوم على صلاح التربية الأخلاقية وليست الفكرية .

ووكل تربية الأولاد الى الحكومة وحرم الضعيف والمشوه من الحياة وكان الاسبارطيون يتلقون تدريبا شاقا ويتعلمون استعمال السلاح واقتحام الأخطار والاستخفاف بالموت .

وحدد لدخول الاسبارطى الجيش سن العشرين وزواجه بسن الثلاثين (للفتاة فى سن العشرين) ويعفى من الخدمة العسكرية اذا بلغ الستين .

وأثناء السلم يشتغل الناس بالصيد والقنص ، وتجاذب أطراف الحديث فى الأماكن العامة .

كما حتم أن لا يكون تربية البنات الاسبارطيات أقل خشونة من تربية الأولاد وكان على كل بنت أن تشارك فى الألعاب الرياضية والمباريات . وكانت تسير فى موكب الاحتفالات والرقص وهى عارية الجسم ولو كان ذلك على مرأى من الشبان ويستمر الدكتور محمد كامل عياد فى كتابة تاريخ اليونان ص ١٨٨ ، ١٨٩ فيقول :

ويقول بلوتارخ ان الأسبارطيين لم يكونوا يجدون فى عرى الفتيات أى شىء يدعو الى الخجل . وكان الاسبارطيون يسمحون لشبابهم بمقدار كبير من الحرية فى المسائل الجنسية قبل الزواج ولذلك لم يكن هنالك أثر للبغاء عندهم . وكانت العزوبية تعتبر جرما فى اسبارطة فيحرم العزب من مخصصات الاعاشة . ويمنعون من مشاهدة الاحتفالات العامة التى يرقص فيها الفتيان والفتيات عراة الأجسام وكثيرا ما كانت جماعات من النساء تهاجم فى شوارع اسبارطة الرجال الذين يمتنعون عن الزواج وتمعن فى ضربهم وايذائهم والرجال الذين يتزوجون ثم لا يرزقون أولادا

يصبحون أيضا عرضــة للنقمــة فان أمثال هؤلاء لا يستحقون فى نظــر الاسبارطيين شيئا من الاحترام .

وكان الزواج بدون مهر ــ وبعد الخطوبة واتفاق الأسرتين كان على الشاب أن يخطف خطيبته التى كان عليها أن تبدى شيئا من المقاومة .

وفى أحوال أخــرى كان يجمع عــدد من الرجال ومثلهم من النساء ويحبسون فى غرفة مظلمة ليخطف كل واحد زوجة له .

وكان الاسبارطيون يفاخرون بأنه لا أثر للزنا بينهم . وربما كان هذا صحيحا لأنهم كانوا يسمحون للشباب بكثير من الحرية قبل الزواج [1] !!

وذلك يعنى ــ كما يقال ــ ان ليكورجوس أراد أن ينشىء جيلا من الشباب الصلب الذى لا يميل الى ترف الحياة وبهجتها ، فيصاب بالطراوة والميوعة ، ولقد نجح فى جعل الاسبارطيين أمة تجيد الشجاعة والاقــدام وتمتهن الاشتغال بالتجــارة . وقد كان كذلك ضروريا فى وسط أعداد عديدة ممن يتحينون الفرص للتخلص من نير استبدادهم وربقة استبعادهم وسنرى فيما بعد كيف أن هذا النظام قد نجح فى خلق جيل فرض سيطرة اسبارطة على جزء كبير من بلاد اليونان ، وحرم الناس من استنشاق عبير الحرية الصحيحة ، هذا المجتمع الغريب الذى كان ثلثا الشعب فيه عبيدا وجميع الحكام أنفسهم عبيدا لفكرة النظام المطلق والطاعة العمياء ، كان لابد أن يسقط .

الجيش الاسبارطى :

لم يزد الجيش الاسبارطى فى يوم من الأيام على عشرة آلاف جندى ، وكان الجيش الاسبارطى يتكون فى البــداية من خمس فــرق ، وكانت

---

(١) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ص ١٨٨ . العجيب ان الكاتب يسمى البغاء حرية. ويستمرىء هذه الفرية فيقول ان البغاء لم يكن موجودا ، لانهم كانوا يسمحون للشباب بكثير من الحرية قبل الزواج ! ! !

تضاف اليها فرقة سادسة من الكشافة والحرس والجنود المساعدين فى وقت الحرب . وفى القرن الخامس أصبح عدد الفرق سبعا . وبعد عام ٤٢٥ كان الجيش يتألف من فيالق وكل فيلق يتكون من فرقتين احداهما تضم المواطنين الاسبارطيين والثانية الجنود البريوكيين والهيلوتين .

وكانت الفرقة تضم أربع كتائب تتكون كل منها من أربعة أسراب يضم كل منها ٤٠ مقاتلا .

وكان المقاتل ينتظم فى الجيش منذ سن العشرين ويربى تربية معينة فى الثكنات حتى سن الثلاثين .

حروب اسبارطة ضد ميسينيا :

كان اقليم ميسينا غنيا ، ولا يفصله عن اقليم لاكونيا غير جبل تايتوس ولذلك كانت أنظار الاسبارطيين تنظر اليه بعين الطمع التى تحولت الى غزو مسلح لهذا الاقليم عام ٧٤٣ ق.م . وقد نجحت اسبارطه فعلا فى الاستيلاء على جزء من اقليم ميسينيا وضمه الى [١] لاكونيا .

ولما خضعت ميسينيا لاسبارطة ، فزعت الاقاليم المجاورة مثل اركاديا وايليس وارجوليس واخذوا يؤلبون الميسينيين ضد اسبارطه ، وقد ادى ذلك الى قيام حرب ثانية عام ٦٧٥ حتى ٦٦٨ ق.م بين اسبارطة ، وميسينيا . وقد كان النصر الى جانب اسبارطة التى شتتت شمل الميسينيين فأقلع بعضهم الى صقلية حيث أسسوا مدينة أخرى باسم ميسينيا ، وقصد البعض الآخر الى جزيرة رودس .

ولما استقام الأمر لاسبارطة قامت بالاغارة على اقليمى اركاديا واليس وهزمتهما ولكن لم تنزع شيئا من أملاكهما . وقد زادت هذه الانتصارات فى شهرة اسبارطة حتى هابتها دويلات المدن الاغريقية الأخرى . وأصبحت بذلك تتحكم فى أربعة أخماس البلوبونيز قبل الحروب الفارسية .

---

(١) أى ان الطمع فى مقدرات الدول الاخرى الاقتصادية هو الذى كان يسير جيوش أوروبا قديما ، كما يسيرها حديثا .

خيلون Chilon الاسبارطي وتأسيس الاتحاد البلوبونيزي :

يقال ان خيلون هو أحد أبطال حكماء اسبارطه الذين عاشوا فى القرن السادس ق.م. وانه قد اقترح اضافة مادة الى الدستور الأسبارطي يعطي الحق للمراقبين الخمسة حق خلع الملك اذا اقتضى الأمر ذلك .

وقد أدرك هذا الحاكم بعد أن قام الجيش الاسبارطي بالاستيلاء على مسينا أن قلة عدد الاسبارطيين لا تسمح لهم بالتوسع خارج حدودهم .

ولكن فى الوقت نفسه ، لاحظ ذلك الحاكم خيلون ان الحكم الأرستقراطي الذى كان سائدا فى المدن المجاورة قد بدأ ينهار ، ويحل محله حكما ديمقراطيا . وان المدن المجاورة تسعى الى تكوين اتحاد يقف فى وجه الخطر الفارسي . وحرصا على أن تكون اسبارطة سيدة الموقف ، وصاحبة الكلمة وأن يستمر كيان الحكم الارستقراطي فى البلاد المجاورة ، سارع الى تأسيس اتحاد الدول البلوبونيزية يستند على مبدأين أساسيين :

الأول : فى حالة نشوب قتال بين أى من دول الاتحاد ودولة أخرى يعقد لواء القيادة لاسبارطة ، على أن تقوم الدول بمد اسبارطة بالفرق العسكرية اللازمة للقتال .

الثانى : كل مدينة دولة لها الاستقلال المطلق فى شئونها الداخلية وسياستها الخارجية على شريطة أن لا يكون ذلك على حساب دول الاتحاد .

وكان مجلس الاتحاد يجتمع فى اسبارطة ويتخذ قراراته بأغلبية الأصوات وان كانت اسبارطة صاحبة الكلمة المسموعة فى هذا الاتحاد (فى الفترة من ٥٦٠ ـــ ٣٨٠ ق.م) .

ولذلك لا عجب أن الدول الارستقراطية التى كانت تخشى الثورة أو الاعتداء عليها ، كانت تستنجد باسبارطة بصفتها حامية حمى الارستقراطية وعندما بدأت ملامح الغزو الفارسى فى آسيا الصغرى ، استنجدت مملكة ليديا والمدن الايونية باسبارطة ولكن الأخيرة لم تلب النداء لأنها كانت لا تفكر فى مصلحتها الخاصة ، والمحافظة على نظامها الخاص والسيطرة على السكان المستعبدين .

تلك لمحة عن تاريخ اسبارطة ونظامها الذى اعتبره افلاطون المثل الأعلى للمجتمع الذى تصوره فى كتابه « الجمهورية » .

تلك هى اسبارطة التى امتدحها المؤرخ الاثينى اكسنوفون والمؤرخ « بلوثارخ » .

ولكن هل كان اكسنوفون وأفلاطون وبلوثارخ على صواب فى امتداح النظام الاسبارطى :

« يقول الدكتور محمد كامل عياد فى كتابه تاريخ اليونان ص ١٩٧ :

هؤلاء المفكرون كان من السهل عليهم أن يمدحوا اسبارطة ، لأنهم لم يكونوا مضطرين الى الاقامة فيها والعيش ضمن نظامها . فهم لم يشاهدوا عن كثب ما يتصف به الخلق الاسبارطى من أنانية ضيقة وخشونة جافة وقساوة فظيعة . كما أنهم لم يلاحظوا بأن النظام الاسبارطى انما يخرج جنودا فحسب . فهو يؤدى الى تقوية الجسم بينما يقتل جميع الاستعدادات والمواهب الأخرى وعلى الأخص العقلية . ولذلك لم يظهر فى اسبارطة أى فيلسوف أو شاعر أو كاتب أو فنان فالاسبارطيون الذين قطعت كل صلة بينهم وبين العالم الخارجى ومنعوا من السفر الى البلاد الأخرى والاختلاط بغيرهم وظلوا يجهلون العلم والأدب والفلسفة قد أصبحوا مجرد آلات حربية » .

اننا لا ننكر ما يتصف به الجندى من صلابة الخلق وروح الاخلاص والتضحية ولا ريب فى أن النظــام والطاعة من الشروط الضرورية لكل حياة سياسية ، ولكن ما قيمة كل هذا اذا لم يكن وسيلة لأهداف أسمى ؟..

تاريخ وحضارة دولة آثينـــا

عندما يتحدث المؤرخون عن الدولة الاثينية ، فذلك يعنى أيضا انها تشمل مقاطعة اتيكا Attika ، التى كان يطلق على ابنائها اسم الاثينيين وكانوا يتمتعون بحقوق المواطن الاثينى .

وتقع اتيكا وهى البلاد الساحلية فى وسط شبه جزيرة اليونان أى انها لم تكن بمعزل عن أقاليم شمال وجنوب اليونان ، بل انها كانت على اتصال مستمر بشاطىء آسيا الصغرى عن طريق جسر من جزر البحر الايجى ، الذى تطل سواحلها عليه .

وطبيعة القسم الاتيكى صخرية ، وتغطى أرضه التلال المرتفعة التى تقسمه الى أربعة سهول أهمها سهل أثينا وسهل ماراثون ويتميز مناخــه بالجفاف وان كان ذلك لا يمنع سقوط كمية قليلة من المطر تسمح بنمــو الكروم والزيتون والقليل من القمح الذى لا يكاد يكفى احتياجات ثلث السكان . ويضاف الى ثروة هذا القسم الزراعية ثروة حجرية ومعدنيــة تتمثل فى الحجر الجيرى والرخام والفضة .

وبالرغم من فقر التربة فقد أم ذلك القسم من زمن بعيد خلق كثير منهم :

١ — الفينيقيون الذين كانوا يبحثون عن الفضة .

٢ — الايونيون الذين استقروا فى ماراثون .

٣ — مهاجرو البلوبونيز الذين تركوا بلادهم على أثر هجرات الدوريين، حاملين معهم ثرواتهم . وقد غلب العنصر الأيونى هــذه العناصر

جميعا بعاداته وأخلاقه التى يميزها ذكاؤه الحاد الذى يشـــوبه الطيش .

ومن الناحية السياسية كان الجزء الأتيكى يتكون من عدة مدن كان يحكم كل منها ملك مســـتقل . ومنذ القرن السابع قبل الميـــلاد ــ على الأقل ــ أصبحت مدن أتيكا « دولة واحدة عاصمتها أثينا » .

نظام الحكم :

كان يحكم أثينا ــ مثل بقية المدن اليونانية الأخرى ــ ملك . وبمضى الوقت أنهار نظام الحكم الملكى تحت ضغط الطبقة الارستقراطية ــ التى كانت ــ كما يقال ــ ترجع بأنسابها الى الآلهة والأبطال الأمراء ، والتى كانت تشارك الملك الحكم فى البداية ، ولكن آثرت ــ عندما ازدادت قوتها ــ الانفراد بالسلطة فى حكم البلاد وحدها .

والطبقة الارستقراطية أو طبقة النبلاء تمتلك الأراضى الغنية الواسعة، والخيل والأسلحة اللازمة ويعيشون فى حصون فى الأرياف ، وبعد توحيد أتيكا ، واتخاذ أثينا عاصمة ، انتقل معظمهم الى العاصمة حيث كان مجلس الشـــيوخ الذى يستشيره الملك فى شئون الحـــكم ، ليتولوا الوظائف الكبيرة .

ومنذ عام ٦٨١ قبل الميلاد كانت هناك حكومة فى أثينا يقوم عليهـــا ثلاثة رؤساء :

١ ــ الحاكم (أرخون) (١) .
٢ ــ الملك (بازليوس) .
٣ ــ القائد بوليمارخ .
ينتخبون لمدة عام واحد .

---

(١) يترجمها البعض بلفظ « قاضى » .

ومن اختصاصات الحاكم الذى كان له المقام الأول فى الدولة :

(أ) رئاسة حفلات الأعياد .

(ب) النظر فى قضايا الارث والزواج والايتام .

أما القائد فمن اختصاصاته :

قيادة وادارة الجيوش .

النظر فى قضايا الأجانب القاطنين فى أثينا .

ومن اختصاصات الملك :

الاشراف على قصور ومعابد الاكروبوليس (الهضبة) .

الاشراف على الشئون الدينية .

وذلك يعنى أن لقب الملك فقد معناه الأصلى وأصبح حامله لا يزيد عن كونه موظفا حكوميا ينتخب لمدة عام مثل غيره من الموظفين .

٤ ـ المشرعون الستة :

وفيما بعد كان ينتخب ستة من المشرعين ، يزاولون أعمالهم التالية الى جانب الرؤساء الثلاثة :

تدوين المقررات والأحكام التى كان لها صفة قانونيـــة حتى يمكن الرجوع اليها عند الضرورة .

٥ ـ مجلس الحكام التسعة :

وكان يتكون من الرؤساء الثلاثة والمشرعين الستة ، وكان من اختصاصه ادارة شئون الحكومة فى عهد الحكم الارستقراطى .

٦ ـ مجلس الشيوخ (اريثوباجوس) :

وكان يضم الحكام سالفى الذكر بعد انقضاء مدة عملهم . وكان فى الأساس يشكل الدعامة الأساسية لحكم النبلاء وكان من اختصاصاته كما يقول أرسطو :

(أ) انتخاب الرؤساء الثلاثة والموظفين الآخرين .

(ب) النظر فى القضايا الجنائية .

٧ ـ مجلس الشعب :

وكان يحق لجميع المواطنين الاشتراك فيه . وكان من اختصاصاته المصادقة على القوانين .

طبقات المجتمع الاثينى :

كان هنالك ثلاث طبقات تعتبر من المواطنين الاثينيين رغم التفاوت الكبير فى حالتهم الاقتصادية :

١ ـ طبقة النبلاء :

(أوباتريد) وكانت تستخدم ادارة الدولة لتحقيق مصالحها وتأمين سيطرتها . ولذلك فانها سعت الى اسقاط النظام الملكى لكى تقيم بدلا منه حكم الأقلية الأرستقراطية مستأثرة بمناصب الدولة الكبرى . وكان الفصل فى المنازعات يجرى واضعا فى الاعتبار مصالح هذه الطبقة ، ولذلك فان الغبن كان يقع على باقى الطبقات التى قيل عنها « انهم مضطرون دوما الى الخضوع للأحكام المرتجلة المتقلبة التى كانت فى الغالب بعيدة عن الانصاف الرحمة » .

٢ ـ طبقة الصناع :

وكانت تشمل أصحاب المهن الذين يعملون بالملاحة والتجارة والصناعة لحسابهم الخاص .

٣ ـ طبقة المزارعين :

الذين كانوا يمتلكون قطعة صغيرة من الأرض يفلحونها لكسب قوتهم .

وعن هذه الطبقة ورد فى كتاب تاريخ اليونان (ص ٢١٨) : وكان هؤلاء المزارعون يجدون صعوبة كبيرة فى التخلص من طمع المرابين ومن اعتداء السادة النبلاء لقد كان الكثيرون منهم يملكون قبلا أراضى واسعة .

ولكن نساءهم كانت أكثر خصبا من الأرض فاضطروا الى تقسيمها بين أولادهم حتى أصبحت لا تكفى لاعاشة أصحابها الذين كان بعضهم يبيعها وينتقل الى المدن للاشتغال بالصناعة أو التجارة بينما صار الآخرون يشتغلون عند النبلاء الأغنياء ويفلحون الأرض فى نظير سدس المحصول .

أما الذين يحاولون الاحتفاظ بأرضهم ، رغم كل الصعوبات ، ويستدينون المال لشراء البذور والماشية فانهم يضطرون الى رهن هذه الأرض ثم يعجزون فى الغالب عن دفع الفوائد الفاحشة ، ناهيك عن تسديد الديون فيصبح من حق الدائنين أن يتصرفوا بهم وبنسائهم وأولادهم كما يشاءون .

وهكذا فقد انتقلت الأراضى — كما يقول أرسطو — الى عدد قليل من الملاك الكبار بينما كان الفلاحون يباعون هم ونساؤهم وأولادهم كأرقاء واقناء .

وعلى الجانب الآخر كانت هنالك طبقة رابعة وهى :

طبقة العمال المأجورين . وكانوا يعتبرون مواطنين أحرارا وان كانوا لا يتمتعون بحقوق المواطنين ولا يدخلون فى عداد قبائل أتيكا . وكانوا يقتاتون من عمل أيديهم .

تطور آتينا الاقتصادى والسياسى

فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد

كان الاثينيون يعتمدون على الزراعة وصيد الأسماك حتى أواخر القرن الثامن ، وبمضى الوقت ضاقت الرقعة الزراعية بأهلها ، مما اضطر معه المواطنون الاثينيون الى أن يهاجروا خارج البلاد راكبين متن البحار — بعد أن تعلموا صناعة السفن والملاحة من جيرانهم الفينيقيين — متاجرين بمنتوجات بلادهم من الخمر والزيت والأوانى الخزفية . وزاد نشاط التجار

الاثينيين بفضل استعمال النقود التى أخذها اليونانيون عن مملكة ليديا فى القرن السابع قبل الميلاد تقريبا ، وترتب على ذلك ظهور طبقة من الأغنياء الرأسمالية جنبا الى جنب الأغنياء من أصحاب الأراضى وأصحاب قطعان الماشية .

وكان النبلاء يشكلون القاعدة الكبيرة لهذه الطبقة الغنية (١) التى حرصت على استثمار أموالها فى الأعمال التجارية والصناعية كما حرصت على الاندفاع فى تيار الملذات الجارف وفى هذا قال صولون « ان الذين يملكون أكثر من الجميع هم الذين يريدون الزيادة ولا يقف طمعهم عند حد » وقال شاعر ميجارا « تيئوغنيس » بأنهم أصبحوا يفضلون المال على الشرف » .

ولقد ترتب على ذلك ان أصبح معيار المفاضلة فى المجتمع ، هو كمية المال التى يحوزها الفرد ، ولقد استتبع ذلك ظهور طبقات من الرأسماليين:

١ — الذين يبلغ دخلهم أكثر من ٥٠٠ مكيال فى العام .

٢ — الذين يتراوح دخلهم ما بين ٣٠٠ — ٥٠٠ مكيال .

٣ — الذين يبلغ دخلهم مالا يقل عن ٢٠٠ مكيال .

٤ — الذين لا يبلغ دخلهم ٢٠٠ مكيال وكانوا من طبقة المواطنين الاحرار.

ولقد ترتب على كل ما سبق :

(أ) اتساع المدن .

(ب) نشأة مهن جديدة وظهور طبقة قوية من التجار والصناع بدأوا يلعبون دورا خطيرا فى حياة الدولة . وأخذت هذه الطبقة المتوسطة تطالب بالمشاركة فى ادارة شئون الدولة ، كما انها أخذت على عاتقها قيادة الجماهير الفقيرة من الفلاحين والعمال للحصول على حقوقها

---

(١) كان من بينها الكثيرون من أفراد الشعب الذين نجحوا فى جمع ثروات كبيرة .

ومكافحة امتيازات طبقة النبلاء والتخلص من حكمهم .

(جـ) ساءت أحوال الفلاحين الذين عجزوا عن تسديد ديونهم وفوائدها ففقدوا ارضهم ، وأصبحوا يباعون هم انفسهم مع نسائهم واولادهم فى سوق الرقيق او يصبحون اقنانا مرتبطين بالارض يفلحونها لمصلحة النبلاء .

(د) الاستغناء عن طبقة العمال الأحرار ، لوفرة الأيدى العاملة من الفلاحين الذين فقدوا أرضهم وقد نجم عن ذلك أن فقد العمال الأحرار مورد رزقهم وأصبحوا عاطلين وكثيرا ما كانوا يموتون جوعا .

وبعد

تلك كانت الأوضاع الاجتماعية .. صراع .. فوضى .. اضطراب ـ ضياع نتيجة للتغيرات الاقتصادية وهى نتيجة ترتبت على عدم وجود منهج الهى يسير حياة البشر .. ونتيجة لجعل الحاكمية فى حياة البشر للبشر وليس لله رب العالمين .

كيلون Cylon والحكم الدكتاتورى

نجم عن حالة الفوضى والاضطراب التى عمت المدن اليونانية ، ظهور بعض الزعماء من الطبقة الوسطى وطبقة النبلاء ، كان لديهم الطموح فى الوصول الى كرسى الحكم ، ولتحقيق ذلك تحايلوا على الجماهير الكادحة وصوروا لها انهم سيتبنون مطالبهم ويقودونها للقضاء على النظام الارستقراطى الذى يقف عقبة كؤودا فى سبيل تحقيق مصالحهم .

ومن هؤلاء الزعماء كان الشاب الارستقراطى كيلون الذى حاول عام ٦٣٢ ق.م أن يسقط النظام الارستقراطى ويفرض نفسه ديكتاتورا (١) فى أثينا .

---

(١) حكم الفرد .

وتتلخص محاولة كيلون فى أنه استشار عرافى معبد دلفى للقيام بثورته فأقروه عليها وحددوا له ساعتها . كما أن حماه ديكتاتور ميجارا قد وعده بالمساعدة عند الثورة . وفى اليوم المحدد قاد كيلون جماعة من الشبان وبعض الجنود الذين أرسلوا من قبل حميه ، واستولوا على « الاكروبوليس » وأحس سكان أثينا بذلك واعتبروا أن محاولة فرض الحكم الفردى بمساعدة دولة أجنبية شيء غير مقبول فى المجتمع الأثينى . ولذلك نرى أحد الزعماء ويسمى ميجاكليس (١) يجمع بعض العمال والفلاحين ويحاصرون كيلون وأتباعه لفترة طويلة اضطر على أثرها اتباع كيلون الى التسليم بعد نفاد مؤنهم . وأثناء ذلك حاول كيلون وبعض اتباعه الهرب . ولكن حوصروا فى معبد « أثينا » وطلبوا الأمان فأجيبوا الى طلبهم اذا خرجوا من المعبد وبعد خروجهم غدر بهم وقتلهم الفلاحون والعمال اتباع ميجاكليس غدرا ، مما ترتب عليه قيام الحرب بين أثينا وميجارا ، وقد أصيبت أثينا بأضرار بالغة نتيجة هذه الحرب ، ولذلك نرى جماهير أثينا الشعبية ، تعتبر أن ما أصابها من أضرار نتيجة عدم مراعاة حرمة معبد أثينا وعدم الوفاء بالعهد وقتل كيلون وأتباعه، لذلك نراها تطالب بطرد أسرة ميجاكليس الالكيمونيدى كلها ارضاء للآلهة .

دراكون Dracon :

أعقب محاولة كيلون ، حالة من الفوضى والمنازعات والقتل والاعتداء والنهب والاضطراب داخل المجتمع الأثينى . وأحس الناس بحاجة ضرورية الى قوانين تحول دون استمرار هذه الحالة .

ومن هذا المنطلق عهد الى أحد رجال القانون وهو « دراكون » بالاسراع فى جمع وتنظيم وتثبيت القوانين اللازمة التى سبق للمشرعين ارساءها لمواجهة هذه الأحوال المضطربة . وتتصف قوانين دراكون :

---

(١) من أسرة الكيمونيدبد .

(أ) تجمع بين الشدة والرأفة .

(ب) تفرق بين جرائم العمد والجرائم الغير مقصودة .

(جـ) لا تفاضل بين الطبقات .

(د) حددت درجة القرابة التى يجوز لها المطالبة بثأر القتيل .

(هـ) حاولت انهاء النزاع بين الاسرات .

(و) تقوية سلطة الدولة ومحاولة جعلها هى الجهة المسئولة عن حماية حقوق الأفراد .

ومن الأساسيات فى قوانين دراكون : محاولة منع الاستمرار فى الأخذ بالثأر ، فاذا قتل أحد أفراد أسرة ما فليس من حقه أن يأخذ بثأره مباشرة ، بل عليه أن يلجأ الى الدولة لتأخذ له بالثأر ، أما اذا لجأ الى الأخذ بالثأر ، فقد رتبت القوانين عقوبات شديدة على مخالفة ذلك . اما اذا كان هناك مفاوضات على الصلح والدية بين أسرة القاتل والمقتول فلا بأس من الاتصال المباشر .

وبالاضافة الى ذلك نصت قوانين دراكون على انشاء محكمتين جديدتين :

الأولى : تتكون من ٥١ قاضيا ومن اختصاصها الفصل فى حوادث القتل غير العمد ، أو محاولة القتل أو القتل الأجنبى وعقوبتها النفى الموقت .

الثانية : تتكون من الملك ورؤساء القبائل ومن اختصاصها حوادث الموت التى تسببها الحيوانات وغيرها .

والآن نتساءل : هل كانت قوانين دراكون كافية للقضاء على حالة الفوضى والاضطراب التى شملت المجتمع الأثينى ؟

الاجابة طبعا بالنفى وليس أدل على ذلك مما قاله بلوتارخ فى وصف هذه الحالة اذ ذاك :

ان الفوارق فى الثروة بين الأغنياء والفقراء كانت قد بلغت منتهاها وان وضع البلاد أصبح فى خطر داهم وانه لم يكن فى الامكان انقاذها من هذه الحاله الا بفرض سلطة استبداديه (١) . وقد أصبح الكثيرون يتحدثون عن ضرورة قيام ثورة دموية ، عنيفة وتقسيم الأراضى والثروه بالتساوى بين الجميع .

على أن النبلاء الأغنياء الذين تمركزت الثروة فى ايديهم والدين اصبحوا لا يستطيعون استيفاء ديونهم وغضبوا لما كانوا يسمعونه من التهديد بالثورة ، قاموا يدعون الى احياء القوانين القديمة ويتهيأون للدفاع عن أنفسهم بالقوة ويبررون اضطهاد الطبقات الفقيرة بدعوى انها تريد تحطيم كل نظام والخروج على تعاليم الدين أى أن الأزمة قد بلغت منتهى الشدة .

صولون Solon :

هو أحد أبناء أسرة أثينية ارستقراطية أضاع والده ثروته فى أعمال الخير ، ولذلك فان صولون لجأ الى حياة الأسفار والاشتغال بالتجارة . وبعد جمع ثروة كبيرة عاد الى أثينا وأبدى رأيه فى أوضاع المجتمع الاجتماعية والسياسية .

وحينما تأزمت الأمور نرى الأمة الاثينية تعهد اليه بمحاولة انقاذ الأمة مما تعانيه .

ويقال ان صولون قد وجد ان أسلم وسيلة لتوحيد جهود الامة الاثينية واثارة حماسها ، هى دعوة لاسترجاع جزيرة سالاميس من الميجاريين ، فعهدت اليه الأمة بقيادة الحملة التى نجحت فى تحقيق ذلك الهدف .

---

(١) تاريخ اليونان ص ٢٢٧ .

(٢) ولكن رأى بلوتارخ لم يكن ليحل تلك المشاكل ، ان حل تلك المشاكل كان يكمن فقط فى العودة بالحياة كلها الى الله عز وجل يسيرها كما يشاء .

وفى عام ٥٩٤ انتخب صولون حاكما ولم يكن قد تجاوز الخامسة والأربعين من عمره . وقد اتفق النبلاء والطبقة المتوسطة تقليده سلطة ديكتاتورية مطلقة لانهاء حالة الحرب الاجتماعية داخل البلاد ، و[illegible] فضل ان يسلك طريق الحكم النزيه بين الطبقات والاحزاب لانتشال البلاد مما هى فيه من صراع .

ومن أبرز أعمال صولون :

١ — العفو عن جميع المنفيين لأسباب سياسية ، مع اعادة حقوقهم المدنية .

٢ — الغاء جميع الديون التى كانت للأفراد أو للدولة . كما أعاد الأملاك المرهونة الى اصحابها . كما حرر الافراد الذين اصبحوا عبيدا بسبب عجزهم عن سداد ديونهم .

٣ — اصدار قانون يحرم استعباد أى شخص فى حالة عجزه عن سداد دينه .

٤ — الغاء العادة المتبعة التى تقضى بضرورة زواج البنت الوارثة من أقرب رجل فى الأسرة حتى لا يخرج الميراث عن دائرتها . وذلك يعنى انه قد أصبح من حق البنت أن تتزوج بمن تريد وتتصرف بحرية فى ميراثها .

٥ — اعطاء الأولاد الغير شرعيين الحق فى وراثة تركة أبيهم اذ لم يكن هنالك أولاد شرعيون .

٦ — حرم على الآباء بيع بناتهم أو طرد أبنائهم أو قتلهم بعد بلوغ سن معينة .

٧ — النص على تقسيم تركة المتوفى بين أبنائه بالتساوى .

٨ — منع التسول وفرض عقوبة على من يزاوله .

٩ — الزام كل والد تعليم ابنه صناعة يكتسب منها ، وفى حالة المخالفة لا يجوز للوالد أن يطالب ابنه بنفقة فى شيخوخته .

وفى مجال الاهتمام بالزراعة :

— منع قطع أشجار الزيتون .

— شجع على قتل الذئاب — وفرض لذلك جوائز مالية — حتى لا تسطو على قطعان الحيوانات الأليفة التى أمر باحسان معاملتها وعين مراقبين لذلك .

— حفر ينابيع جديدة ونظم توزيع المياه .

وفى مجال الاهتمام بالتجارة :

— نظم الموازين والمكاييل .

— أمر بسك عملة أثينية جديدة ، كما خفض قيمة العملة النقدية .

ولكن ذلك لم يكن كل ما قام به صولون . فهناك الكثير من الأعمال التى نجمت عن مطالبة طبقة التجار وأرباب الصناعة بدستور جديد وقوانين عصرية تمكنهم من المشاركة فى حكم البلاد . ولتحقيق هذا المطلب احساسا من صولون بأهمية هذه الطبقة أعاد تقسيم افراد المجتمع الأثينى الى طبقات على أساس ما تحوزه كل طبقة من ثروة معينة . فكانت هناك طبقات أربع ؛ وفرض على كل من الطبقات الثلاث الأول ضرائب تتناسب طرديا مع ثرواتهم ، بينما كانت الطبقة الرابعة معفاة من أى ضرائب .

وبهذا التقسيم الجديد استطاع صولون أن يقضى على النظام القديم الذى كان يستند الى العصبة العائلية ، كما أتاح للطبقة الأولى أن تشارك فى مسئولية الحكم فانتخب منها الحاكم أو القائد أو الخازن . وأعطى الفرصة للطبقة الثانية أن تتولى الوظائف الثانوية وتشكل طبقة الفرسان فى الحرب ، كما أتاح لهم أن يكونوا طبقة المشاة ذوى الأسلحة الثقيلة فى

الجيش . أما الطبقة الرابعة . فقد كانوا يخدمون فى الجيش كبحارة أو جنود عاديين .

وفى مجال نظام الحكم ، اتسم دستور صولون بما يأتى :

مجلس الشيوخ : الأرئيوباجوس كان على رأس الحكومة . وأباح صولون لكل أفراد الطبقة الأولى البنتاكوسيوميونينى دخوله دون النظر الى أنسابهم .

مجلس الأربعمائة (١) : وقد استحدثه صولون . وتشارك فيه كل قبيلة من قبائل اتيكا الأربع بمائة عضو من أبنائها . ومن اختصاصه اعداد المشاريع قبل عرضها على مجلس الشيوخ .

مجلس الشعب (اكليزيا) : وقد أحيا صولون هذا المجلس الذى كان معروفا فى عهد هوميروس . وكان يشترك جميع المواطنين فى مناقشاته وأصبح من اختصاصات مجلس الشعب انتقاء الحكام ، محاسبة ومعاقبة جميع الموظفين والحكام والقواد . ومن العقوبات التى يستطيع فرضها منع الحكام والقواد من أن يصبحوا أعضاء فى مجلس الشيوخ بعد انتهاء مدة عملهم .

مجلس المحلفين أو مجلس القضاء الأعلى (هيلياى) : وقد أسسه صولون وكان يتكون من ٦ آلاف عضو يختارون بالقرعة من شمل جميع الطبقات .

وكان ينقسم الى عدة محاكم للنظر فى جميع القضايا ماعدا جرائم القتل . كما كان من اختصاصه النظر فى أى اعتراض على أى عمل من أعمال الموظفين .

---

(١) أو مجلس البولى .

وبعد

هذه لمحة سريعة عن اصلاحات صولون وقوانينه التى كتبت وعلقت فى مقر الحاكم ليعرف كل فرد ما له وما عليه . « أورد الدكتور محمد كامل عياد فى تاريخ اليونان ص ٢٣٥ » : لم يزعم صولون ، كما فعل قبله ليكورجوس أو مينوس أو حمورابى أن هذه القوانين قد أوصت بها الالهة . فان التقدم الفكرى فى آثينا بلغ درجة أصبح معها المشرعون لا يحتاجون الى الاستناد الى مثل هذه السلطة السماوية .

وكان بودنا أن نقول ان التشريع حق الله تعالى ! وان القدماء أمثال ليكورجوس وحمورابى لم يكونوا يجرؤون على ادعاء حق التشريع ! وان قلوب البشر نست بعد ذلك وزاغت فادعت الربوبية وكذلك حق التشريع للعباد .

وكان من الواجب على الدكتور محمد أن يقول ان هذه التشريعات الوضعية سواء التى وضعها صولون أو دراكون أو مينوس أو حمورابى أو كيلورجوس لم تحقق العدالة أو الراحة أو الطمأنينة فى حياة البشر ، لأنه لا يصلح لأحوال البشر الا ما وضعه خالق البشر ورب البشر .

أما أن التقدم الفكرى فى أثينا هو الذى أصبح معه المشرعون لا يحتاجون الى الاستناد الى مثل هذه السلطة السماوية فهذه قولة ينبغى على الكاتب أن يراجع نفسه عليها .

تلك هى التشريعات التى دونت فى عهد صولون أبرز حكماء اليونان والتى قال فيها الكاتب الرومانى شيشرون بعد خمسة قرون من وضعها : ان الأسس التى وضعها صولون وقام عليها دستور أثينا ظلت سائدة حتى عهده .

تلك هى تشريعات صولون التى يقال أنه بفضلها تمت اصلاحات اجتماعية واقتصادية وسياسية نجم عنها أن تقدمت أثينا فى مجال الصناعة

والتجارة وأن تحتل المقـام الأول بين جميـع الدول فى البحر الأبيض المتوسط .

واعتزل صـولون الحكم عام ٥٧٢ ق.م ، ورحل الى مصر وقبرص وآسيا الصغرى بعد أن أخذ العهد على رجالات الدولة أن يتبعوا قوانينه على مدار عشر سنوات ولكن عندما عاد الى أثينا شاهد انقلابا فى الحكم واتجاها الى حكم الفرد وتخليا عن مبادىء دستوره .

بيزيستراتوس :

بعد رحيل صولون ، أصبح فى أثينا ثلاثة أحزاب :

١ — حزب الساحل وكان يتكون من أصحاب السفن والتجار .

٢ — حزب السهل وكان يضم أصحاب الأراضى الأغنياء .

٣ — حزب الجبل ويتكون من تحالف الفلاحين وعمال المدن .

وقد كان يرأس حزب الجبل احد اقارب صولون المدعو بيزيستراتوس(١) وهو من أسرة أرستقراطية .

وللوصول الى كرسى الحكم ادعى فى مجلس الشعب أنه أصيب بجرح نتيجة لمحاولة اغتيـاله ، وطلب من المجلس تعيين حرس خاص لحمايته . وقد استجاب المجلس له وأمر له بحرس من خمسين جنديا ، ضمهم الى ما لديه من جنود مكنوه من الاستيلاء على الاكروبوليس وتنصيب نفسه ديكتاتورا عام ٥٦١ ق.م .

وقد ترتب على وصـوله الى الحكم خوف الطبقة الأرستقراطية من بطشه فهرب ميجاكليس مع جزء كبير من العائلات الى خارج البلاد ، كما

---

(١) ترجع شهرة هذا الرجل الى الحرب [illegible] وميجارا اذ أنه تولى قيادة الجيش فى عهد صولون واستطاع الاستيلاء على مرفا نزايا . كما أنه تبنى مطالب الطبقات الفقيرة ودافع عنهـا .

هرب ميليتاديس مع قسم آخر الى شبه جزيرة غاليبولى وأسسوا هنـاك مستعمرة تابعة لأثينا .

واستتب الأمر لبيزيستراتوس فى البـداية حينما اتبـع كغيره من الديكتاتوريين سياسة تخدم مصـالح الطبقة الفقيرة ــ هكذا يقـول المؤرخون ــ ولكن ذلك لم يستمر طويلا اذ أنه أجبر على الفرار بعـد اسقاط حكمه على أيدى تحالف من حزب السهل وحزب الساحل .

ولكن بيزيستراتوس لم يقبل بهذه الهزيمة ، ودبر الأمر فتزوج من ابنة ميجاكليس على أساس أن يعاونه فى العودة الى الحكم مستغلا الخلاف الذى احتـدم بين حزب السهل وحزب الساحل . وقد كان له ما أراد عام ٥٥٠ ق.م ولكنه لم يلبث فى الحكم سوى عام واحد هرب فى نهايته . ولكن هذا الديكتاتور لم يسلم بسهولة بالهزيمة ، فعاد بعـد ثلاث سنوات فى جيش قوى استطاع به الوصول الى كرسى السلطة وبقى فيه لمدة تسعة عشر عاما .

وقد نعمت البلاد فى عهده بالاستقرار ، ولم يقم بتغيير كبير فى دستور « صولون » .

وفى هذا الشأن يقال (١) : « ويمكن وصف حكمه بأنه ديكتاتورية دستورية . فهو قد حافظ على النظم والأساليب الديمقراطية وأبقى المجالس والوظائف التى أنشأها صولون على حالها ولكنه عرف كيف يستخدمها حسب مشيئته كما أنه لجأ الى بعض التدابير السياسية فى سبيل توطيد سلطته دون مخالفـة الدستور . ذلك أنه كان يستثمر نفـوذه الشخصى لمساعدة أنصاره وأقاربه على النجاح فى الانتخابات . . . وتولى المناصب الرئيسية فى الحكومة ــ ثم انه أحاط نفسـه بحرس قوى من الجنود المأجورين كذلك قبض على أولاد خصومه من النبلاء كرهائن لديه .

---

(١) تاريخ اليـونان ص ٢٤٠.

ومن أهم أعماله : توزيع أراضى النبلاء المنتفعين على صغار الفلاحين ، كما شجع على تعمير الريف بمنح اقطاعيات ومبالغ عينية لمن يرغب من العمال ممارسة الزراعة فى الريف . كما استطاع تأمين الحبوب اللازمة لاعاشة السكان .

وعلى الجانب الآخر عين حكاما يتجولون فى الأرياف للفصل فى المنازعات بين الفلاحين . كما قام برحلات تفتيشية لاستطلاع أحوال الرعية واجابة مطالبهم وشكاويهم .

وبالاضافة الى ذلك فقد قام بالكثير من المشروعات العمرانية مثل انشاء خزانات المياه وفتح طرق جديدة وتشييد المعابد الضخمة . وذلك غير استثمار مناجم الفضة فى جبل لوريون وتخفيض الضريبة المقررة على المحاصيل الزراعية من ١٠ الى ٥ ٪ .

أضف الى ذلك أنه نجح أكثر من صولون فى التوثيق بين مختلف الطبقات والأحزاب ، كما تقدمت أثينا تقدما كبيرا — كما يقال — من الوجهة الاقتصادية والعمرانية والثقافية . وذلك هو السبب — كما يقال — الى رضاء الجماهير الأثينية بالنظام الديكتاتورى الذى قام فى القرن السادس لانقاذها من الحكم الأرستقراطى الاقطاعى .

ولما توفى الزعيم بيزيستراتوس تولى ابنه هيبياس الحكم بعده عام ٥٢٧ ق.م .

ولكن هذا الابن وأخويه (هيبارخوس) (وتيسالوس) لم يقتفوا أثر أبيهم فى الحكم ، فعتوا وطغوا وتجبروا حتى ضاق الناس ذرعا بحكمهم فتآمروا عليهم ، ونجح الناس فى اغتيال أحد الاخوة . مما حدا بالأخوين الآخرين الى أن يعملوا فى مغتاليه ذبحا وتقتيلا مع بث الجواسيس فى كل ناحية للتجسس على طبقات الشعب .

وفى هــذه الظــروف وجدت احدى آسرات الأشراف وهى أسرة ميجاكليس الالكيمونيدى الفرصة مهيأة للوصول الى حكم البــلاد من المنفى ولتحقيق ذلك ابتاعوا الذمم ونثروا الذهب عند أقدام معبد بيتيا ليوعزوا الى الأسبارطيين لمساعدتهم فى تحقيق هدفهم .

وفى عام ٥١٠ ق.م نجح كليسثينيس بمعاونة جيش اسبارطة فى القضاء على حكم هيبياس الدكتاتورى ، وبقى مع أفراد أسرته خارج البلاد .

كليستنيس والديمقراطية فى أثينا :

حينما عاونت اسبارطة أثينا فى القضاء على حكم الديكتاتور هيبياس ، كانت تأمل آن تصبح عضوا فى الحلف البلوبونيزى ، وذلك يعنى عودة نظام الحكم الأرستقراطى الى أثينا مرة أخرى وهذا ما كان يدعو اليه أحد الأشخاص وهو ايساجوراس . ولكن ذلك أغضب كليستنيس الذى تبنى مطالب حزب الشعب ــ ليسهل عليه تحقيق مطامعه الشخصية وهى الدفاع عن دستور صولون والنظام الديمقراطى .

وكان حتميا أن يقوم الصراع بين ايساجوراس يعاونه جيش اسبارطة وبين كليستنيس الذى هزم وهرب بعد أن كان قد نصب نفسه ديكتاتورا شعبيا لمدة قصيرة . ولكنه سرعان ما عاد وهزم جيش اسبارطة واستولى على مقاليد الحكم عام ٥٠٧ ق.م .

أعماله الاصلاحية :

١ ــ أعاد تقسيم المواطنين الأثينيين الى مائة [١] جماعة لكل منها مجلس ورئيس (ديمارخ) [٢] . وتنتظم هــذه الجماعات المائة فى عشر

---

(١) وكان ذلك يعنى تقويض النظام الارستقراطى بابطال التصنيف القبلى القديم والذى كان على أساسه سكان اتيكا ينقسمون الى اربع قبائل بضم كل منها عددا من الاسرات الكبيرة تتوارث الزعامة . ومن هذه الاسرات كانت تتألف طبقة النبلاء التى تسيطر استنادا على أفراد أسرتها وثروتها على سائر أفراد القبائل الاخرى .

(٢) وكان من واجباته الاحتفاظ بجدول بأســماء المواطنين المنتسبين الى الجماعة مع تسجيل أسماء الناشئين باستمرار .

وحدات ادارية يمكن أن يطلق عليها تجاوزا لفظة « قبيلة » ، لأن كل قبيلة أصبح ينتظم فيها جماعات عشرة لا تربط بينها قرابة أو نسب ـ وتعيش فى مناطق مختلفة حتى لا يتاح لها فرصة التكتل أو انشاء أحزاب محلية مثل حزب الشاطىء وغيره .

وقد نجم عن ذلك زيادة عدد الناخبين ـ مما ترتب عليه ـ كما يقال تقوية الفكرة الديمقراطية .

٢ — ادخال تعديلات فى دستور صولون بيانها كالتالى :

(أ) تنتخب كل قبيلة قائدا من القادة العشرة يساعدون القائد الأعلى .

(ب) استبدل مجلس الأربعمائة بمجلس الخمسمائة BOULE على أساس أن يمثل كل قبيلة خمسون عضوا منتخبا وقد أصبح من سلطات ذلك المجلس على اعتبار أنه أعلى سلطة ادارية :

١ — مراقبة أعمال جميع الموظفين واصدار الأوامر والتعليمات اليهم .

٢ — الاشراف على مالية الدولة عن طريق عشرة موظفين يمثل كل منهم احدى القبائل .

٣ — اعداد المشروعات تمهيدا لعرضها على مجلس الشعب .

٤ — تأليف محاكم من أعضائه للنظر فى بعض القضايا .

٥ — فرض عقوبات مالية على الموظفين المقصرين .

٦ — الاشراف على الأعمال الادارية عن طريق تقسيم جميع أعضائه الى عشر لجان كل منها يتكون من خمسين

عضوا يمثلون احدى القبائل . وتتولى كل لجنة العمل بالتناوب لمدة خمسة وثلاثين يوما . وفى خلال مدة المباشرة كان يحمل هؤلاء الأعضاء لقب رؤساء وكانوا يتناولون وجباتهم الغذائية على حساب خزانة الدولة ويجتمعون فى بناية خاصة .

(جـ) خول مجلس الشعب حق النفى لأى شخص خطر على أمن الدولة بشرط أن يؤيد القرار ستة آلاف مواطن على الأقل . وقد كان ذلك وسيلة كافية للخلاص من الزعماء الذين كانوا يطمحون فى الوصول الى السلطة .

توسيع أثينا فى القرن السادس قبل الميلاد

لقد سبق لنا القول بأن تربة القسم الاتيكى فقيرة غير خصبة بوجه عام ، وأن محصول الحبوب ومعظمه من الشعير لم يكن يفى باحتياجات ثلث السكان ولذلك ذهب المؤرخون الى القول بأن هذه المشكلة هى التى كانت توجه السياسة الاثينية فى كثير من الأحيان . ولذا كان من المحتم على أثينا أن تستكمل النقص من (منطقة البحر الأسود) وقد استدعى ذلك محاولة تأمين خطوط المواصلات اليونانية على مدن الدردنيل والبسفور ، وقد عرف أعداء أثينا نقطة الضعف هذه ، ولذلك كثيرا ما كانوا يلجأون الى اتلاف المحاصيل الزراعية أو السطو على خطوط المواصلات تجويعا لهم حتى تستسلم لهم .

وغير ذلك فان أثينا تكاد تكون معزولة بالجبال عن وسط بلاد اليونان وجنوبها ، ولذلك لم تسع الى التوسع برا ، بل اتجهت الى التوسع بحرا ، لتنمية مواردها الاقتصادية عن طريق التجارة والاستعمار .

وحينما بدأت محاولة التوسع الاثينية خارج حدودها بحرا كان لابد أن يؤدى ذلك الى الاحتكاك بجارتها ميجارا حينما حاولت أثينا الاستيلاء على جزيرة سلاميس التى لم يكن يفصلها عن القسم الاتيكى سوى ميل تقريبا لتكون قاعدة انطلاقها الى خارج بلاد اليونان وقد استطاعت قوات أثينا بقيادة بيزيستراتوس الاستيلاء على الجزيرة عام ٥٢٩ ق . كما عرفنا ذلك من قبل .

المستعمرات اليونانية

أسباب الاستعمار اليونانى :

١ — ضيق المساحة وكثرة عدد السكان مع فقر التربة وعدم خصوبة الأرض بوجه عام ، مما ترتب عليه قلة الموارد ، وعدم توفر أسباب الرزق .

٢ — حبس العقارات على أسرات محدودة طبقا للقانون اليونانى فيما يختص بالعقار أنه « لا بيع لا وصية لا هبة » .

٣ — الاضطرابات والمنازعات السياسية والعسكرية وما يترتب عليه من هجرة البعض فرارا من اضطهاد المنتصرين (١) أو نتيجة لطردهم خارج البلاد .

أهدافه :

السعى وراء الرزق وتنمية الموارد الاقتصادية والاقامة فى مكان آمن بعيدا عن سطوة الآخرين .

وسيلته :

عندما يقرر مجموعة من المهاجرين — من مختلف الاماكن فى شبه الجزيرة اليونانية وجزر بحر ايجه وشواطىء آسيا الصغرى . وهم

---

(١) من أمثلة الاضطهاد ما كانت تفعله أسرة بنيليديس الحاكمة فى مدينة ميتلين عاصمة جزيرة لسبوس ، كان أفرادها يتجولون فى الشوارع ، وبأيديهم السياط يضربون المارة . فكان الذين يأنفون فى هذه الحالة يتركون موطنهم ويشتركون مع أمثالهم فى تأسيس مدينة جديدة .

ينتسبون الى كل الطبقات من النبلاء والمتشردين والفلاحين والتجار — السفر ، يختارون أحد الموانى الكبيرة للابحار منه بعد تأمير أحدهم . ثم يستأجرون احدى السفن لنقلهم الى المكان المراد استعماره وقد كان المهاجر أحيانا — لا يجد ما يسافر به ، فكان يرهن نصيبه فى المستعمرة مقدما واذا ما وصلت الجماعة المهاجرة الى البقعة المختارة على شريطة أن تكون صالحة للزراعة فيها مرتفعات لاستنبات الكروم والعنب والتين ، وفيها أشجار تمدهم بالأخشاب اللازمة للتدفئة والبناء وصنع السفن ، وأن تكون قريبة من المياه ، كانوا يقومون بتقديم القرابين الى الأوثان ، ويحددون المستعمرة مع تقسيم الأراضى الصالحة بين الأفراد بعد اختيار الزعيم ومقر الحكومة والميناء . وكانت المستعمرة تسمى باسم بطل أو وثن يونانى أو باسم احدى المدن اليونانية .

ويجدر بنا الاشارة الى أن الجماعات المهاجرة ، غالبا ما كانت تحصل على معلومات عن المكان المطلوب الهجرة اليه من هيكل دلفى ، وفى وقت متأخر كانت الدولة اليونانيــة تقوم بتنظيم الهجرة والاستعمار وتشــترك فى تأسيس المدن فتنيب عنها مع المهاجرين مرشدا يسمى أوكينست يرافقه عدد من الكهان والعرافين والمهندسين .

المدن المستعمرة :

١ — كورنثه وميجارا ومدائن جــزيرة أفيــا (كيمى — خلكيس — وارتريا — وأثينا) منذ القرن السادس فقط .

٢ — ميلتوس — وفقيا فى آسيا الصغرى .
أى الدول المتقدمة فى شئون الملاحة .

المناطق المستعمرة :

فى الشرق :

(أ) سواحل جزر بحر الأرخبيل وآسيا الصغرى ومن أهم مدنها : فقيا وكيمى وأزمير وميليتوس وساموس وهاليكرناسوس . وقد فاقت

هذه المستعمرات بلاد اليونان فى ثروتها وعمرانها .

(ب) تراقيا وبحر مرمرة وأهم مدنها بيزنطية .

(جـ) البحر الأسود ومن أهم مدنه هرقليا .

٢ ــ فى المغرب :

(أ) سواحل البحر اليونانى (وعلى الأخص جنــوب ايطاليا وصقلية) وأهم المدن تارنتوم ومسينى ونيابونيس (نابولى) وسيراكوزا .

(ب) غاليا وأسبانيا : وأهم المستعمرات مساليا (مرسيليا) .

٣ ــ فى الجنوب :

مدينة كيرينة ومكانها برقة .

نفزاتيس عند مصب النيل (فى مصر) وقــد أسسها الجنود اليونان الذين كانوا يعملون كجنود مرتزقة فى جيش بسمتيك الأول .

وكان نظام الحكم فى المستعمرات شبيها بنظــام الحكم فى المــدن اليونانية ولكنها سبقتها فى مجال التقدم الحضارى . فعلى سبيل المثال فان أقدم دساتير وأنظمة تشريعية يونانية وجدت فى المستعمرات (مثل قوانين زالويقوس فى مدينة لوقريس بجنوبى ايطاليا . وقوانين بيتاقوس فى جزيرة لسبوس وقوانين خاروندلس فى قاتانيا بصقلية) .

وفى المستعمرات ولد الشعر والأدب اليونانى ، وفيها نشأت العلوم الرياضية والفلسفة وبرز أول الخطبــاء والمؤرخين . وذلك يعنى أن فى المستعمرات نشأت وتطورت الحضارة اليونانية ، بسبب مجاورتها لمراكز الحضارات الشرقية القديمة . ومن هناك انتقلت الى الوطن اليونانى الأم .

تاريخ الاستعمار :

منذ عهد الهجرات الدورية (؟) حتى القرن السادس ق.م. على أنه يمكن القول بأن اليونانيين قاموا أيضــا بتأسيس نقطا حربية وسياسة منذ القرن الخامس ق.م وهى لا تشــبه المستعمرات فى أى وجــه من الوجوه .

وكانت معاملة اليونانيين للسكان الأصليين تتوقف على مدى قوة أو ضعف هؤلاء السكان ، فاذا كانوا ضعفاء أظهروا لهم الود والوفاء ، ويعقدون معهم المعاهدات ثم يغدرون بهم .

نتائج الاستعمار :

١ — اتساع موارد الرزق طبقا لتعدد ميادين العمل .

٢ — خروج زمرة من الكفاءات الاغريقية الى المستعمرات مما أتاح لها فرصة منافسة المدن اليونانية وظهور نوابغ فى مجالات العلوم والصناعات المختلفة فهناك هيرودوتس من هاليكرناسوس وفيثاغورس من ساموس وطاليس من ميليتوس .

الدول الشاردة عن الهدى الالهى تقاتل بعضها البعض من أجل الزعامة والانفراد بالخيرات الاقتصادية .

بلاد اليونان
قبيل الحروب الفارسية

٥١٠ — ٤٩٠ ق.م

كانت البلاد دولا مفككة منقسمة على نفسها ، بعضها يرحب بالفرس والبعض الآخر يتربص بغيره من الدول .

فمثلا تساليا فى الشمال أصبحت مسرحا للدعاية الفارسية — وأرجوس تتحين الفرصة للانتقام من اسبارطة التى اعتدت عليها . وأثينا كانت مشغولة بالمنافسة القائمة بينها وبين اسبارطة .

وزيادة فى الايضاح ، شاهدنا اسبارطة بعد عام ٥٢٠ ق.م وفى عهد حاكمها كليومينيس Cleomenes تهاجم أرجوس لاجبارها على

الانضمام الى الحلف البلوبونيزى واستولت على مدينتى ميكيناى وتيرينس .

كما أن كلبنومينيس قد ساهم فى اجبار جزيرة أجينة التى كانت تعد أقوى دولة بحرية فى بحر ايجه على عدم القيام بأية حركة معادية ضد أثينا عندما نزل الفرس فى سهل ماراثون .

أما أثينا فان الأحوال الداخلية كانت مضطربة لأن اصلاحات كليستنيس الديمقراطية لم تستطع أن تقضى سواء عى أنصار هيبياس الذين يميلون الى الحكم الفردى الديكتاتورى أو على الارستقراطيين الرجعيين .

ولجأ خصوم كليستينيس الى وسائل صغيرة للنيل منه ، وأقذرها التآمر مع الفرس والتمهيد لغزو بلاد اليونان.

ولما انتصر الخصوم على كليستينيس زعيم الحزب الديمقراطى ، وعاد الحكم الدكتاتورى مرة أخرى الى أثينا ، صدرت الأوامر الى الأسطول الأثينى الذى كان فى طريقه لمساعدة الثوار الايونيين بالعودة الى قواعدهم ، تاركين اخوتهم يواجهون قدرهم المحتوم .

وعندما وقعت ميليتوس التى كانت تعتبر بنت أثينا — فى أيدى الفرس — حزن الاثينيون حزنا شديدا .

وهكذا نرى السلطة فى اثينا نفسها يتنازعها الديمقراطيون والدكتاتوريون والارستقراطيون ، ولم تكن هذه المنازعات لتساعد على استقرار النظام أو السعى الى وحدة البلاد لمواجهة الخطر الاجنبى .

* * *

الحـــروب الفارســـية

تمهيـــد :

على هضبة ايران ظهرت قوة الماذيين خلال القرن السابع قبل الميلاد ، وقد استطاعت هذه القوة الغنية ــ متحالفة مع قوة بابل من اسقاط قوة آشور عام ٦١٢ ق.م واضعة اليد على مستعمراتها التى تمتد من المناطق الشمالية لبلاد العراق القديم حتى حدود آسيا الصغرى .

واستمر الماذيون فى التوسع حتى حدود دولة ليديا التى كانت عاصمتها ساراديس والتى كانت تأمل فى توسيع دائرة نفوذها على حساب جيرانها فى آسيا الصغرى .

ولقد نجم عن رغبة الماذيين والليديين فى التوسع صدام عسكرى انتهى بصلح بين الطرفين .

استمر الليديون فى توسيع رقعة بلادهم على حساب جيرانهم فى آسيا الصغرى والجزء القريب منها . وقد بلغوا أقصى قوة لهم عام ٥٦٠ ــ ٥٤٦ ق.م فى عهد مليكهم كرويسوس .

وفى عام ٥٥٥ ق.م قام الملك قورش باسقاط دولة الماذيين وتأسيس دولة الفرس (١) الأولى ، محاولا مد حدود دولته لتشمل ممتلكات الليديين فى آسيا الصغرى . وقد أحس الليديون بأطماع الملك الفارسى فقرروا تسيير الجيوش للقضاء على قوة فارس فى مهدها .

ووقع الصراع المسلح بين قوة فارس بقيادة مليكها قورش ، وبين قوة ليديا بقيادة مليكها كرويسوس ، وكانت النتيجة فى صالح قوات الفرس التى اجتاحت العاصمة ساراديس واسرت ملك الليديين عام ٥٤٧ ق.م .

---

(١) اسمها الدولة الاخمينية فى المصادر الافريقية والهخامنشية فى المصادر الايرانية .

لم تكن اطماع الفرس لتقف عند هذا الحد ، فقد كانوا يحلمون بالمستعمرات الاغريقية الأيونية الغنية، كما كانوا يأملون فى السيطرة على البحر الايجى كمعبر الى أوربا والبحار الغربية .

ولعل من الأسباب الرئيسية أيضا أن آسيا لم تكن لتتسع لدولة فارس من جهة الشرق (حيث صحارى التركستان وجبال الهند تشكل موانع طبيعية) لذلك كان لزاما على فارس ان تدير وجهها جهة الغرب حيث المستعمرات الاغريقية الغنية على شواطىء آسيا الصغرى (ميليتوس ــ فقيا ــ أزمير ــ هاليكارناس) .

ولقد شعرت المدن الاغريقية بأنها جميعا مستهدفة من قبل الغزو الفارسى وكان هذا الشعور يحتم عليها الاتحاد واعداد الوسائل المكافئة للوقوف فى وجه هذا المد الاستعمارى ، ولكن ذلك لم يحدث ، وعبثا ذهبت صيحة الفيلسوف الملطى طاليس بضرورة تأسيس اتحاد أيونى لمواجهة قوة الفرس .

وجاء المد الفارسى ليستولى دفعة واحدة على المدن الاغريقية على شواطىء آسيا الصغرى والجزر الغربية منها مقسما اياها الى مستعمرتين فارسيتين عاصمة الأولى فى ساردیس وعاصمة الثانية فى أدلسكيليون الاغريقية .

وبعد ذلك اتجه الملك الفارسى قورش الى اخضاع قوة بابل الكلدانية تماما عام ٥٣٩ ق.م . وتابع ابنه قمبيز (٥٢٩ ــ ٥٢١) غزو مصر وبعد موت قمبيز .

خلفه الملك الفارسى دارا :

وفى عهد هذا الملك حاولت المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى الثورة للتخلص من الاستعمار الفارسى بسبب الأضرار التى أصابت مصالح الاغريق الاقتصادية من جراء الفتح الفارسى ، وادراكا منهم أن الوقت قد حان للتخلص من الاحتلال الأجنبى .

وقررت المدن الأيونية الثورة (رغم معارضة المؤرخ الجغرافى هيكاتيوس) بزعامة هيستيئوس دكتاتور مدينة ميليتوس وابن عمه أرسطو غوراس .

وقد انتهز الثوار عودة أسطول الفرس من حملة حاولت الاستيلاء على جزيرة ناكسوس أغنى جزر البحر الايجى وقاموا باحتجاز السفن الفارسية .

وقد كان ذلك نذيرا باعلان الثورة فى عام ٤٩٩ ق.م ، وعلى أثر ذلك قام السكان بطرد وقتل الحكام الموالين للفرس ، وانتخبوا بدلا منهم قادة عسكريين من أبناء الشعب الاغريقى .

وقد حاول قادة الثورة الحصول على مساعدة اسبارطة وأثينا ورفضت اسبارطة تقديم العون ، أما أثينا والمدن اليونانية الأخرى فلم تقدم سوى ألفين من اليونانيين وخمسة وعشرين سفينة وذلك يعنى أن المدن اليونانية الأم لم تقدم المساعدة الفعالة اللازمة للوقوف فى وجه المد الفارسى، كما أن الكثير من المدن الأيونية على شاطىء آسيا الصغرى لم تشارك فى الثورة التى أعلنها ميليتوس ، بلى والأنكى من ذلك أنه لم تتناسى خلافاتها القديمة .

وطار لب الفرس لما حدث ، وأرسلوا قواتهم الى ميليتوس ضاربين الحصار حولها . ووصلت بالقوات الاثينية المساعدة الى ساردیس وهاجموا ليجبروا القوات الفارسية على فك الحصار عن ميليتوس ، وانسحب الاثينيون بعد فك الحصار عن ميليتوس وفى الطريق اصطدموا بالقوات الفارسية .

ولقد أسفر ذلك الصدام عن هزيمة الثوار وحلفائهم من الاثينيين أمام قوات الفرس عام ٤٩٨ ق.م .

ولذلك نرى فيما بعد أن الاثينيين أحجموا عن ارسال قوات أخرى مساعدة رغم طلب الايونيين المتكرر .

وهكذا كانت مساعدة الاثينيين للثورة تافهة جدا ، ولكن مهاجمتهم لساردیس وحرقها أثار عليهم حفيظة الملك الفارسى دارا فأقسم على الانتقام منهم .

ومع ذلك فالثورة لم تتوقف ، وامتدت الى قبرص ثم الى جهات الدردنيل ، ولذلك نرى الملك الفاسى يجهز ثلاثة جيوش وأسطولا كبيرا ، استطاع بها أن يخمد الثورة وأن يستعيد عام ٤٩٦ المدن التى كانت قد تحررت من الحكم الفارسى ماعدا ميليتوس .

وفى عام ٤٩٤ حشد الفرس قوات كبيرة لمحاصرة ميليتوس برا وبحرا ، وقد نجح الفرس فى دخولها عنوة فخربوها وقتلوا القسم الأكبر من الرجال وفرضوا الرق على الباقى من النساء والأطفال .

وفى صيف ٤٩٣ كانت جميع المدن الثائرة فى آسيا الصغرى قد أعيدت مرة ثانية الى حظيرة الحكم الفارسى .

وبعد ذلك بدأت أنظار الملك الفارسى دارا تتجه صوب شبه الجزيرة اليونانية نفسها ليؤدب أثينا وغيرها جزاء اشتراكهما فى معاونة أخوتهم الثوار وحرق ساردیس ، وقد كان ذلك ايذانا ببدء ما يسمى بالحرب الفارسية .

الحروب الفارسية الأولى

(٤٩٠ ق.م)

أسبابها :

١ — رغبة الملك دارا فى الاستيلاء على بلاد اليونان ، لتوسعة رقعة الامبراطورية الفارسية .

٢ — تأديب المدن اليونانية التى عاونت المدن الايونية فى ثورتها ضد الفرس ، وما يترتب على ذلك من ضمان عدم اشتراكها فى ثورات أخرى ضد الحكم الفارسى .

حركة الحملة الفارسية :

تحركت الحملة الفارسية المكونة من ٦٠٠ سفينة و ٢٠٠٫٠٠٠ مقاتل التى أعدها الملك دارا فى ربيع عام ٤٩٠ ق.م من كيليكيا بمحازاة شواطىء آسيا الصغرى متجهة الى الشمال حتى وصلت جزيرة ساموس ومنها الى جزيرة ناكسوس التى فر بعض أهلها ، واستعبد الباقين وحرق الفرس معابدها وبيوتها .

وبعد ذلك اجتاحت الحملة الفارسية جزيرة ديلوس ، ومدينة ارتيريا التى اشتبكت مع الفرس فى معركة عنيفة ولكنها استسلمت بعد سبعة أيام بسبب خيانة بعض قادتها . وقد أنزل بها الفرس أسوأ أنواع الانتقام من حرق المعابد والبيوت وفرض العبودية على السكان .

ثم انتقلت القوات الفارسية الى ميدان المعركة الأخيرة فى سهل ماراثون وقد أشار على الملك الفارسى باحتلال هذا السهل ، أحد أبناء أثينا الخونة وهو الديكتاتور هيبياس بن بيريستراتوس .

ميدان المعركة الأخيرة :

سهل ماراثون الذى يقع على بعد ٣٥ كم شمال شرقى أثينا ويتحكم فى الطرق اليها . وقد كان لهذا السهل ميزة استراتيجية لصالح اليونانيين اذ أنه محاط بالمستنقعات على جانبيه كما أنه ينحدر انحدارا كبيرا فى اتجاه البحر .

المعركة :

لقد استهدف الجيش الفارسى القضاء على نفوذ أثينا وسلطانها على المدن اليونانية وعلى الفور اجتمع القواد الاثينيون العشرة بزعامة ميلتياديس (١) واختاروا جيشا من عشرة آلاف مقاتل يمثلون القبائل **الاثينية ، تعاونهم قوة من مدينة بلاتيه تبلغ ألف مقاتل .**

---

(١) كان من معاونيه كاليماخوس وأرستيدس وثيمستوكليس — وكذلك الشاعر استخيلوس .

ولما كانت القوتان غير متكافئتين ، فقد رأى القائد ميلتياديس أنه لابد من الحيلولة بين القوات الفارسية وبين انزال قواتهـا فى القسم الاتيكى . وتثبيت أقدامها هناك حتى لا تجبر القـوات اليونانية على التراجع أمام تيارها الجارف فتحاربها فى أثينـا نفسـها . ولذلك قام ميتلياديس بالمرابطة مع قواته فى سهل مارانون .

وما ان وصلت القوات الفارسية وبدأت فى النزول من السفن الى سهل ماراثون حتى اندفعت القوات الاثينية فى اتجاهها من قمـة تل فى السهل مستفيدة من الميزة الاستراتيجية للموقع وهو الانحدار ناحية البحر بصورة أذهلت الفرس ، وسببت الارتباك بين صفوفهم الأماميـة التى لم تستطع الصمود ، وأثناء اندفاع جناحها الأيمن والأيسر ويسـار السهل وقعا فى المستنقعات حيث هلك عدد كبير منهم ، ولم يصـمد غير الوسط الذى دارت بينه وبين القوات الاثينية التى وصلتها الامدادات من المدن اليونانية الأخرى (اسبارطة وبلاتيه) معركة اضطرت على أثرها القوات الفارسية الى الهروب وانتهت هذه المعركة بانتصار اليونانيين ، وقد سميت هذه المعركة معركة ماراثون .

النتـائج :

١ — هزيمة الفرس على أيدى اليونانيين .

٢ — فقد اليونانيون ١٩٢ جنديا ، أما الفرس فقـد قتل منهم ٦٤٠٠ **مقاتل .**

٣ —ازدادت ثقة اليونانيين فى أنفسهم وصاروا يوقنون أن كثرة عـدد الجيش الفارسى لا تعنى أبدا أنه القوة التى لا تقهر .

٤ — كما كان من نتائج الحرب الفارسية الأولى على المجتمع الأثينى :

(ا) ازدياد مجلس الخمسمائة ، وأصبح الحكام (أرخـون) ينتقون من بين أعضائه الخمسمائة المرشحين بالقرعة بدلا من

أن يقتصر الترشيح على أصحاب الكفاءات . وقد ترتب على ذلك أن فقد منصب الحاكم أهميته السياسية .

(ب) أصبح الشعب كله يشترك فى انتخاب القادة العسكريين العشرة بعد أن كانت كل قبيلة تقتصر على انتخاب قائد يمثلها وقد ترتب على ذلك زيادة فى نفوذ هؤلاء القادة العسكريين.

(جـ) لما كان الدستور الاثينى ينص على أن يتولى كل من القادة العشرة القيادة على التوالى فى كل حملة عسكرية فقد أدرك الاثينيون الخطر الذى يمكن أن ينجم عن ذلك ، ولذلك قرروا أن يقوم مجلس الشعب عند التنصيب بالموافقة على تسيير حملة بتسمية أحد القادة رئيسا لها .

(د) قام القائد ميلتياديس بقيادة حملة بحرية ضد جزيرة باروس المشهورة بمناجم الذهب بحجة أنها أحسنت استقبال الجيش الفارسى ولكنها فشلت وجرح القائد ، وعندما عاد الى أثينا قدم الى محاكمة بتهمة حاكها خصومه من رجال الحزب الديمقراطى بأنه خدع الشعب . وقد حكم عليه بالغرامة ، ومات متأثرا بجراحه .

ظهور تمبستوكليس :

ابن رجل من طبقة الصناع ، ويقال انه كان من أسرة غير معروفة ، وأنه قد توصل الى أكبر المناصب فى أثينا (حاكما ــ ارخونا) ، ولم يتجاوز الثلاثين من عمره (٤٩٣ ــ ٤٩٢) ، وأنه كان وحده يسيطر على سياسة أثينا ، كما أنه انتخب قائدا فى الثانية والثلاثين من عمره .

ومن أهم أعماله نقل ميناء أثينا من موقع « فاليرون » الى مرفأ بيريه العميق الذى تم تحصينه على يديه . كما انه كان يحرص على بناء أسطول قوى للدولة الاثينية . وذلك حتى يمكن تأمين احتياجات الدفاع عن القسم الاتيكى، وتأمين الاحتياجات من الحبوب . وخاصة بعد ان أصبحت مقاطعتى

بيوثيا وتساليا معاديتين لأثينا ، كما ان آسيا الصغرى والمسالك الى البحر الأسود كانت فى آيدى الفرس ، ولذلك لم يجد الاثينيون بدا من الالتجاء الى ايطاليا وصقلية .

اثينا واسبرطة تتهيآن للدفاع عن بلاد اليونان :

لما كثرت الشائعات عن استعدادات الفرس لغزو بلاد اليونان واقتراب موعد هجومهم ، أدرك الاسبارطيون والاثينيون ان المصلحة المشتركة تفرض عليهما توحيد الجهود للوقوف فى وجه الخطر الفارسى .

وانعقد لذلك مؤتمر فى معبد بوزايدون عند خليج كورنته وجه الدعوة اليه اسبارطة . وقد حضره احدى وثلاثون مدينة يونانية .

وقد اسفر المؤتمر عن تصفية الخلافات ، والقسم من قبل المندوبين على القيام بواجب الدفاع المشترك عن بلاد اليونان . كما أسفر عن تحديد عدد القوات التى يجب ان تقدمها كل مدينة لتشارك فى الجيش اليونانى .

ويقال آيضا ان اثينا قد قلدت أحد أبناء أسبارطة وهو ليونيداس منصب القائد الأعلى فى البر ، كما سلمت بأن يكون القائد الأعلى فى البحر آحد الملكين الاسبارطيين وهو أوريبياديس .

وعلى الجانب الآخر قامت أثينا باعلان العفو عن المواطنين المنفيين الذين لم يثبت خيانتهم لبلادهم . ومن هؤلاء كان اريستيديس .

الحرب الفارسية الثانية (٤٨١ ــ ٤٨٠) :

(أ) موقعة ترموبيلاى :

لقد توفى الملك الفارسى دارا (فى خريف ٤٨٥ ق.م) ولم تكن فارس قد أحرزت انتصارا واحدا ضد بلاد اليونان ، وتولى بعده ابنه اكسركسيس الذى كان يمقت اليونانيين مقتا شديدا وبدأ الملك الفارسى يعد للحملة على بلاد اليونان عام ٤٨٣ ق.م على مدار ثلاث سنوات بتحريض من عمه وابن عمه وصهره ماردونيوس ، وانه أمر بتهيئة جميع الوسائل التى

تكفل نجاح الحملة ، كما سعى الى عزل شبه جزيرة اليونان عن جيرانها ومنع وصول النجدات اليها .

ثم أرسل الملك الفارسى رسلا الى جميع البلاد اليونانية عدا اسبارطة وآثينا ، يطالب فيها التسليم والطاعة . وقد أحسنت تساليا استقبال الرسول الفارسى وتعهدوا بمساعدة الفرس ضد اخوتهم فى الوطن . وكذلك كان الحال بالنسبة لطيبة . اما ارجوس فا ثرت الانتظار لحين وصول الجيش الفارسى . وان كانت تنوى التسليم له بالطاعة . وكان الجيش الفارسى (١) يجمع اشتاتا من المصريين والفينيقيين والأرمن والاحباش والاشوريين وغيرهم كما كان تسليحه متباينا أيضا ، وتحرك الملك الفارسى الى ساردیس فى آسيا الصغرى فى خريف عام ٤٨٠ ق.م. وكانت خطته تعتمد على الهجوم البرى والبحرى . وقد عبرت القوات الفارسية مضيق هيلليسبونت (الدردنيل) بواسطة كوبرى كبير من السفن . وبعد أن نقل الجيش بأكمله الى تراقيا لحق به الأسطول هناك .

واستولى الجيش الفارسى على تراقيا ومقدونيا دون مقاومة ، وواصل مسيرته فى اتجاه بلاد اليونان حتى وصل الى حدود تساليا . فدخلها محتلا ، وادى بنيوس بدون مقاومة أيضا . واستمرت القوات الفارسية فى تقدمها جنوبا الى أبواب بويوتيا وأفريقية الوسطى حتى مضيق الترموبيلاى .

وقبل أن نستمر فى سرد أحداث المعركة لا يفوتنا أن نذكر أن أهالى تساليا حينما أحسوا بالخطر رغم وعدهم بالتسليم والطاعة للفرس ارسلوا الى المدن اليونانيـة الأخرى تحت ضغط بنى وطنهم يعلنون استعدادهم للوقوف أمام القوة الفارسية اذا وصلتهم مساعدات من هذه المدن . وعلى الفور عقدت المدن اليونانية مؤتمرا فى كورنثه بزعامة اثينا واسبارطة

---

(١) يقول هيردوت أن عدد المشاه كان ١٫٧٠٠٫٠٠٠ وعدد البحارة ٥١٧٫٠٠٠ ، وعدد الخيالة ٨٠٫٠٠٠ يضاف لهم ٣٢٤٫٠٠٠ من الجنود اليونانيين . وذلك غير ١٢٠٧ سفينة .

(عام ٤٨١ ق.م) ، وقد أسفر الاجتماع عن ارسال جيش من عشرة آلاف مقاتل لمعاونة تساليا فى صد هذا الهجوم . وكانت قيادة القوة الاسبارطية فى يد ليونيداس والقوة الاثينية تحت قيادة تميستوكليس . وحينما وصل الجيش[١] اليونانى الى تساليا لاحظ قواده كثرة الممرات التى تؤدى الى سهولها ولم يكونوا يعرفون أى منهـا سيسلكها الجيش الفارسى ، ولذلك فان القواد اليونانيين اعتقدوا أنه اذا وصل الجيش الفارسى الى منطقة سهول تساليا ، فلن تستطيع القوات اليونانية الصمود أمام هذه الجحافل الفارسية ، ولذلك قررت القوات اليونانية الانسحاب تاركة تساليا تواجه قدرها المحتوم . والوقوف عند ممر ترموبيلاى لمنع تقدم الفرس فى اتجاه أتيكا ثم البلوبونيز .

ميدان المعركة :

للوصول الى اغريقية الوسطى من تساليا ، لابد من اختراق مضيق الترموبيلاى[٢] الذى يقع بين جبل ايتى عند حدود تساليا من الجنوب وبين الساحل عند المكان المقابل للطرف الشمالى من جزيرة اقيا ويربط شمال بلاد اليونان بوسطها وطول هذا المضيق حوالى ١٥٠٠ متر وعرضه حوالى ١٥ مترا ، ويتحكم فى مدخله بابان لا يسمح كل منهما الا بمرور مركبة واحدة .

المعـركة :

احتشدت القوات البرية اليونانية المتحالفة (٦٠٠٠ جندى) بقيـادة ليونيداس ملك اسبرطة فى مدخل ممر ترموبيلاى ، أما الاسطول المكون من ٢٧٠ سفينة يونانية فقد كان يحمى الشـواطىء . وقد قامت القوات الفارسية على مدار يومين بعدة هجمات محاولة معها اقتحام هذا المضيق ولكنها لم تنجح فى ذلك وتركت أبناءها صرعى ففزع اكسركسيس من ذلك

---

(١) كان لا يزيد على ١٠,٠٠٠ مقاتل بالاضافة الى ٣٩٦ سفينة .

(٢) أى أبواب المياه الساخنة ، نظرا لاحتوائه على عدة ينابيع مالحة وكبريتية .

لأنه خشى أن يتكرر يوم ماراثون قبل تحقيق أهـداف فى اختراق ذلك المكان المنيع . ولقد واتته الفرصة حينما تطوع أحد ابناء تراقيا بخيانة بنى وطنه فأرشد الملك الفارسى الى طريق فى الجبل كثير المنعطفات يمكن أن يعبره ويطوق جيش اليونان من الخلف . وعندما أحس القـائد اليونانى ليونيداس بما حدث ، سرح الجنود من حلفاء اسبارطة وبقى هو وجنود اسبارطة فقط ــ يقاتلون الجحافل الفارسية حتى قتلوا .

النتـائج :

١ ــ خسرت اسبارطة حوالى ٤٠٠٠ جندى وقائد شجاع هو ليونيداس ، كما خسر الفرس حوالى ٤٠٫٠٠٠ جندى .

٢ ــ أدرك الفرس أن الطريق لغزو اليونان ليس سهلا مهما بلغ عدد قواتهم وعتادهم .

٣ ــ أدرك اليونانيون أنهم يتعرضون لخطر الابادة ، وان نجاتهم يكمن فى اتحادهم فتناسوا خلافاتهم وكونوا نوعا من الوحدة ، ساهموا فيها بكل ما يستطيعون للدفاع عن وطنهم وانفسهم .

٤ ــ صار الطريق مفتوحا أمام الفرس لمهاجمة اتيكا والبلوبونيز وتحطيم أثينا . الهدف الأول للقائد الفارسى . فتوجه الجيش الفارسى الى اغريقية الوسطى مستوليا على الفوكيس وبويوتيا ودمرهما واحرقهما بعد أن سلبهما الجنود ثرواتهما . ثم توجه بعـد ذلك الى القسم الأتيكى ودخل أثينا وقتل من تبقى فيها من الشيوخ ذبحا . وأشعل فيها النار بعد أن دمرت المعابد والمبانى والمساكن (وذلك فى عام ٤٨٠) .

٥ — قرر الأثينيون ترك مدينتهم الى البحر فى محاولة لهزيمة العدو فى معركة بحرية ، فهاجر الأطفال والنساء الى البلوبونيز (١) ، بينما امتطى الرجال سفنهم متجهين الى جزيرة سالاميس .

(ب) معركة آرتيميزيوم :

فى أثناء احتدام المعركة البرية عند ممر الترموبيلاى فان المعركة كانت مستعرة بين الأسطولين الفارسى واليونانى عند رأس ارتيميزيوم . وأسفرت عن خسائر كبيرة بالنسبة للطرفين . وحينما وصل الى علم قائدى الاسطول اليونانى تيمستوكليس واوريبياديس ان الجيش اليونانى قد هزم عند ممر الترموبيلاى قررا سحب الاسطول فى جنح الظلام الى الجنوب قاصدا ميناء بوجون فى شبه جزيرة البلوبونيز ، ولكنه توقف عند سالاميس لتقرير الخطة الواجب اتباعها .

(ج) موقعة سالاميس البحرية (٤٨٠ ق.م) :

الواقع أن قرار الأثينيين بشأن جر الفرس الى معركة بحرية ، لم يكن قرارا اجماعيا ، بل كان قرارا فرديا وان صاحبه هو تيمستكليس ، ولكنه وجد معارضة شديدة من بنى قومه رغم أن الخطة كانت لها ما يبررها ، اذ لو نجح الأسطول اليونانى فى تحطيم الاسطول الفارسى ، فان ذلك يعنى قطع الأمدادات والذخائر عنه وقطع سبيل العودة عليه ، وأن أفضل مكان يستطيع منه الاسطول اليونانى التغلب على العدو هو مضيق (سالاميس) ، حيث لا يجد الفرس متسعا للحركة والالتفاف . ولذلك قام هذا القائد الاثينى باتخاذ اجراء منفرد ، اذ أرسل الى الملك الفارسى يخبره بأن اليونانيين ينوون الهرب ليلا ، فاذا أراد توجيه ضربة قاصمة ضدهم فعليه أن يقوم الأسطول الفارسى باغلاق مضيق اليوسيس من الجانبين ، وان يهاجم فى الحال .

---

(١) وذلك بناء على القرار الذى اتخذه تميستوكليس مع زملائه بشأن اخلاء أثينا من سكانها ونقلهم بالسفن الى سالاميس واجينه وانه سيدفع لكل فرد مبلغ من الخزينة لاعاشته.

وقد كان يهدف من وراء ذلك الى الدخول فى معركة بحرية قد يوفق فيها الأثينيون بفضل مهارتهم البحرية فى القضاء على الاسطول الفارسى ، أو يرفض اكسركسيس اقتراحه ويواصل زحفه الى البلوبونيز ، حينئذ يكون قد كسب مودته .

وعلى كل فان الملك الفارسى قرر المواجهة البحرية ، وكان اسطوله يبلغ حوالى الف سفينة من الحجم الكبير ، بينما تميزت السفن اليونانية بصغر الحجم وسهولة الحركة وادارة دفتها فى أى اتجاه . يضاف الى ذلك أن اليونانيين كانوا على دراية بحركات المد والجزر فى المنطقة والتيارات البحرية وسرعة الرياح واتجاهاتها ، ولذلك فانهم لم يبدأوا فى الهجوم الا عندما تأكد لهم أن اتجاه الريح فى مصلحتهم . وعندئذ اندفعت سفنهم الى منتصف اسطول العدو ، فاختل تشكيله ونظامه ودار القتال فى الطرفين ، قتل أثناءه أخو الملك الفارسى .

وهنا أرسل القائد الاثينى تيموستوكليس رسالة أخرى الى الملك الفارسى يخبره فيها بعزم اليونانيين على هدم القناطر المقامة على مضيق الدردنيل وحبس الملك فى أوروبا .

وعلى الفور هرب الملك الفارسى بجزء من جيشه فعبر مقدونيا وتراقيا تاركا ماردوتيوس على رأس قوة من الجيش (٣٠٠ ألف مقاتل) وعبر مضيق الدردنيل فى قارب صيد بعد أن ذهبت الرياح بالقنطرة وكذلك بآماله فى النصر على اليونانيين .

النتائج :

١ — منى الجيش والاسطول الفارسى بخسارة كبيرة . انسحب على أثرها الملك الفارسى الى سارديس فى آسيا الصغرى .

---

(١) تمتد جزيرة سالاميس فى البحر بين اتيكا وميجارا يفصلها عن البر مضيق لا يزيد عرضه فى الطرفين على كيلو متر واحد أو كيلو مترين .

٢ — ازداد اليونانيون ثقة فى أنفسهم ، وفى قيادتهم ، كما زاد أصرارهم على القتال لمواجهة الغزوة الفارسية .

٣ — بقى ماردونيوس بقواته فى تساليا على أمل الانتقام مرة أخرى من اليونانيين .

٤ — عاد الخلاف بين اثينا واسبارطة فى أعقاب معركة سالاميس ، كما أن القيادة السياسية قد تغيرت ، فاستبدل تستوكليس عام ٤٧٩ برجلين من أكبر منافسيه هما ارستيديس لقيادة الجيش وكسانتيبوس لقيادة الاسطول .

(جـ) موقعة بلاتيه Plataea (٤٧٩ ق.م) :

عرفنا أن بعض الجيش الفارسى آثر البقاء بقيادة ماردونيوس فى اغريقية منتظرا الوقت المناسب للانتقام ولذلك فقد انسحب بجيوشه الى تساليا ، حيث عسكر لحين حلول فصل الربيع مستغلا الوقت فى اعادة تنظيم قواته .

ولذلك فقد قام الأثينيون بالعودة الى أثينا وقاموا باعادة تعميرها وبعد ذلك قام القائد الفارسى بارسال انذار الى الأثينيين بالانسحاب من التحالف اليونانى والتصالح معه ، على أن يقوم باعطائهم الأراضى الواسعة والأموال اللازمة لاصلاح مدينتهم . وكان يهدف الخبيث من وراء ذلك الى تفتيت وحدتهم ولكن خاب أمله ورد الأثينيون رسوله خائب المسعى .

وبناء عليه قام الملك الفارسى باحتلال أثينا مرة أخرى فتركها أهلها قاصدين جزيرة سالاميس وارسلوا الرسل يطلبون مساعدة اسبارطة والا سيضطرون الى قبول شروط القائد الفارسى .

وبعد أن تباطأ الاسبرطيون ، ارسلوا قوة من خمسة آلاف مقاتل اسبارطى ومثلهم من البريوكيين بقيادة بوسانياس Pousanias

ولما أحس ماردونيوس بذلك انسحب بجنوده الى بيوثيا حيث يتسع ميدان المعركة متخذا من ثيبه قاعدة رئيسية له فى الوقت الذى عاد فيه الأثينيون الى أرض الأتيكى ، وقد تقابل الفريقان ، ١٠٠ ألف مقاتل يونانى فى مقابل ٣٠٠٫٠٠٠ فارسى فى مدينة بلاتيه ، ودارت رحى المعركة واستمرت الى أن قتل القائد الفارسى وفر جنوده الى معسكر كانوا قد ابتنوه للتحصن فيه اذا دعت الحاجة الى ذلك . وتعقبهم الاسـبرطيون ولكن لم ينجحوا فى اقتحام المعسكر الا بعد ان لحق بهم اخوانهم اليونانيون الذين فرغوا من محاربة ابناء جنسهم من الثيبيين الموالين للاعداء . وهنالك أجهز الجميع على الجيش الفارسى ذبحا وتقتيـلا ، حتى أنه لم يتبق منه غير ٤٠ ألف فروا نحو الشمال .

النتـائج :

١ — هزم الجيش الفارسى هزيمة تامة ، تاركا غنائم لا حصر لها فى أيدى اليونانيين .

٢ — وبعد معركة بلاتيه ، كان الاسـطول اليونانى يهاجم معسـكرا وأسطولا للجيش الفارسى على الشاطىء عند جبـل ميكالى مقابل جزيرة لادى Lade فى بحر ايجه وقد أسـفر هذا الهجوم عن قتل القائدين الفارسيين وحرق سفن الاسطول الفارسى .

٣ — وقد ترتب على هذه المعركة الاخيرة قيام المدن اليونانية فى بحر ايجه وفى آسيا الصغرى باعلان استقلالهابعد طرد الحكام المعينين من قبل فارس .

وبعد ذلك عقدت معـاهدات بين آثينا وبين المدن الايونية بآسـيا الصغرى ، تنص على مساعداتها فى حالة تعرضها لأى اعتداء خارجى .

بلاد اليونان فى اعقاب الغزوة الفارسية الثانية :

اذا ألقينا نظرة سريعة على بلاد اليونان بعد نجاحها فى التصدى للقوات الفارسية والحاق اضرار فادحة بها ، نجد أن هنالك قوتين رئيسيتين هما قوة اسبارطة وقوة أثينا .

أما القوة الأولى وهى قوة اسبارطة [1] فقد خسرت كثيرا من الرجال أثناء الحرب وحل بها الكثير من الاضطرابات عندما قامت بتسريح جيشها .

أما القوة الثانية فهى أثينا التى صارت لها الكلمة المسموعة فى بلاد اليونان بل القوة المسيطرة وذلك اعتمادا على كونها الدولة التى تزعمت المدن اليونانية فى نضالها ضد الفرس ، ولذلك كان من الطبيعى أن يتجه ولاء المدن اليونانية لأثينا كما حدث وأعلن ذلك من قبل معظم المدن الايجية التى لم تتوان أيضـــا فى تقديم الأموال اللازمة لأثينا لاعادة بناء عمائرها ومعابدها وتجديدها .

وبالاضافة الى ذلك كانت هناك المدن الايونية على شـــاطىء آسيا الصغرى وكذلك مدن البحر الايجى التى اصيبت بكساد اقتصادى نتيجة للحربين السالفتى الذكر .

---

(١) ومن الملاحظ ان اسبارطة بعد موقعة ميكالى ــ بدأت تحسد أثينا لتفوقها ــ البحرى كما أنها كانت تخشى استبداد أحد ملكيها ، لو تيسرت له القوة العسكرية وانتصر على الفرس ورفع الى مصاف الابطال نتيجة لانتصاره ضد الاعداء وقد صح حدثها حينما انتصرت قوات اليونان بقيادة بوسانياس ، وبدأ يطارد فلول الفرس فى تراقيا وانتصر عليها مستوليا عـــلى بيزنطية هناك فتن بوسانياس حديث الاسرى عن الترف الشرقى وبلاط الملك الفـارسى فنسى مهمته التى خرج من أجلها وشرع فى طلب يد ابنة الملك الفارسى اكسيركسيس مقابل تنـازله عن آمال الشعب الاسبارطى وحينئذ لم يجد الاسبارطيون بدا من استدعائه والقائه فى السجن وبعد فترة هرب ليلجأ الى هيكل أثينا حيث بدأ يلفظ أنفاسه الاخيرة وفى أعقاب ذلك انسحبت اسبارطة من بين المتحالفين ضد الفرس ولم يعد لها دور تؤديه .

وقد انتهزت بعض المدن الكبيرة فى البلوبونيز فرصة ارتباك الاحوال الداخلية فى اسبارطة فأعلنت التمرد .

وقد أحس الأثينيون وقتذاك أن بقاءهم مرهون بامتلاك أسطول حربى وتجارى كما أحست أثينا بأنها فى مأمن لاستكمال نهضتها وتوسعها الا اذا قضت على النفوذ الفارسى تماما فى آسيا الصغرى .

وقد عاش فى أثينا فى ذلك الوقت رجال وعوا ماذا ينبغى أن يفعلوا لتحقيق أهداف، أوطانهم . ومن هؤلاء اريستيديس[1] الذى سعى الى توحيد صفوف اليونانيين ضد الفرس ، فاقتنع سكان سواحل آسيا الصغرى وجزر البحر الايجى بضرورة التحالف مع أثينا وعقد اتفاقية لصد هجمات كل من تحدثه نفسه الهجوم على أثينا وغيرها من المدن اليونانية ومحاربة الفرس والقضاء على نفوذهم فى آسيا الصغرى .

وقد سمى هذا الحلف ديلوس DULES . وتنص بعض بنود اتفاقيته على عدد الجند والسفن ومقدار المال الذى تقدمه كل بلد الى قيادة الحلف على أن تودع الأموال خزانة معبد « ابولو » . فى جزيرة ديلوس ويقال ان أثينا قد أصبحت هى زعيمة هذا الحلف نتيجة لما قدمته من القطع البحرية، ولماضيها العريق .

ومن الشخصيات السياسية الاخرى التى بزغ نجمها على مسرح أثينا بعد اريستيديس كان كيمون (٤٧٦ — ٤٤٩ ق.م) ابن قائد القوات الأثينية فى موقعة ماراتون (ميلتياديس) . ولما كان أعضاء حلف ديلوس قد سئموا القتال فى وقت ما ، فقد بذل كيمون جهدا كبيرا لتحوير اتفاقية

---

(١) من القواد الاثينيين العشرة فى حربها ضد فارس (موقعة ماراتون) وقد كان من المؤيدين لعقد لواء الجيش الاثينى لميلتياديس . وحينما تولى تميستوكليس شئون أثينا خشى منافسة اريستيديس الذى اشتهر بالسلوك القويم فاستصدر قرارا بنفيه خارج البلاد وبعد عودته اشترك فى موقعة سلاميس البحرية وأبلى فيها بلاء حسنا . وقد عهد اليه بادارة الخزانة العامة . وكان عف اليد ، حتى أنه لم يوجد فى خزانته الخاصة بعد موته ما يكفى نفقات مأتمه (عام ٤٦٨ ق.م) .

حلف ديلوس على أساس أن تقدم دول الحلف الى آثينا السفن والأموال دون الرجال على أن تأخذ أثينا على عاتقها مهمة حرب الفرس (١) .

ويقول المؤرخون أن سياسة كيمون كانت مبنية على تحاشى الصدام الغزو الفارسية وقراصنة البحر ، وزيادة القوة البحرية لحلف ديلوس . مع أية قوة يونانية أخرى ، وكرس كل جهده ، كما رأينا للقضاء على قوات ولذلك لا نستغرب اذا كان يتجه بمشاعره الى اسبارطة وحرص جهده على أن تكون هناك علاقات طيبة بينها وبين آثينا وقد سبب له ذلك الكثير من المتاعب ، لأن الاثينيين لم يكونوا يتصورون أن انسانا مثل كيمون يحب الاخلاق اللاكونية ويعجب بالدستور اللاكونى يمكن أن يعتبر قائدا سياسيا نزيها .

ولذلك لا غرابة أن يتكون ضده حزب يسمى الحزب الديمقراطى ، الذى كان من أهم اشخاصه بيريكليس ، وكان هدف الحزب استبعاد أى تقارب مع اسبارطة مع تغيير القوانين ، وانهاء الحرب مع الفرس . وقد قاومهم كيمون وخاصة فيما يختص بمحاولة النيل من اسبارطة ، على اعتبار أنها قوة مؤاخية لأثينا ضد التدخل الاجنبى ، وقد زادت الامور تعقيدا ، عندما قام كيمون بقيادة قوة اثينية لتساعد اسبرطة ضد الهيلوتس الذين ثاروا عليها ، وعلى الجانب الآخر عند وصول كيمون الى اسبارطة استقبله الشعب بفتور فعاد الى اثينا التى اعتبرت سلوك الاسبارطيين اهانة موجهة لها وان السبب فيها هو كيمون ولذلك اصدرت حكما بنفيه عام ٤٦١ ق.م لمدة عشر سنوات .

---

(١) قاد كيمون بن ميلتياديس القوات الاثينية فهاجم حصون الفرس الغزاة فى تراقيا عام ٤٧٦ ق.م ثم احتل جزيرة سكيروس وقضى على القراصنة الذين كانوا يقطعون الطريق على تجارة أثينا . وفى عام ٤٧٠ قاد حملة أخرى لتحرير المدن اليونانية فى ليكيا وكريا ، وبامفيليا من السيطرة الفارسية وقد نجح فى ذلك وانتصر على الفرس فى معركة بحرية قرب سواحل كيليكيا-وفى عام ٤٦٦ قامت القوات اليونانية بقيادة كيمون بالاجهاز كلية على ما تبقى من القوة الفارسية فى موقعة نهر ايوريميدون .

وأثناء منفى كيمون ، ارسلت أثينا حملتين ، احداهما بحرية لمساعدة المصريين ضد الغزوة الفارسية ، وأخرى لمعاونة الهيلوتس ضد اسبارطة وخابت الحملتان عام ٤٥٧ ق.م وحينئذ تذكر الاثينيون فضل كيمون ، وأحسوا أنهم ظلموه ولذلك قرروا (بناء على اقتراح بيريكليس) استدعاءه من المنفى .

ولكن المنفى لم يغير من طبيعته شيئا فطلب عقد الصلح مع اسبارطة واستئناف القتال ضد الفرس . فأجيب الى طلبه وعقدت معاهدة مع اسبارطة لمدة خمس سنوات وقاد حملة بحرية فى اتجاه جزيرة قبرص لاستخلاصها من ايدى الفرس والفينيقيين وقد انتصر عليهم فى موقعة كيتيوم عام ٤٤٩ . وفى أعقاب هذه الحملة مات كيمون وقد كانت هذه الموقعة خاتمة الصدام بين فارس واليونان اذ ارتبط الطرفان بعدها بمعاهدة أهم بنودها :

١ — اعتراف الفرس باستقلال المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى .
٢ — اعتبار البحر الايجى بحرا يونانيا .
٣ — لا تتعدى حركة سفن الفرس الحربية سواحل ليكيا ولا تحاول الاقتراب من مدخل بوغاز البوسفور .
٤ — الا تقوم اليونان بمعاونة المصريين للتخلص من الاحتلال الفارسى والا تعكر صفو الملك الفارسى بالتعدى على املاكه ومستعمراته .

بيركليس يحكم أثينا

(٤٦٢ — ٤٢٩ ق.م)

بعد الحروب الفارسية بفترة طويلة ، استطاعت أثينا أن تتنسم عبير — ما يسمى — بالديمقراطية وذلك للاسباب الآتية :

طرأ تغيير كبير على الطبقات التى كانت تكون المجتمع اليونانى فقد هلك عدد كبير من أبناء الطبقة الارستقراطية والمتوسطة فى أثناء الحروب ،

كما أن الطبقة الغنية قد فقدت جانبا كبيرا من ثرواتها نتيجة استهلاكها فى بناء الاسطول وتسليحه .

وعلى الجانب الآخر كثرعدد أفراد طبقات الشعب الأخرى ، وازداد نفوذها وخاصة بعد اشتراك افراد كجنود فى الاسطول اليونانى . اعتبرهم الشعب كمخلصين للبلاد ومنقذين لها من الاستعمار الاجنبى .

وقد أدى ذلك كله الى نشـأة نفر من الناس طمعوا فى سلطة الحكم فانضموا الى الحزب الديمقراطى . وقد رأس هـذا الحزب اثنان هما افياليتس (١) وبريكليس (٢) .

وحينما انتخب افياليتس وبركليس من بين القادة العشرة وكان يضطرم فى صدر بريكليس رغبتان ، فيما يختص بالسياسة الداخلية :

الاولى : تحقيق الديمقراطية فى واقع الناس ، وتعويدهم على حكم انفسهم بأنفسهم .

الثانى : أن تصبح أثينا عاصمة لبلاد اليونان كلها ومركزا سياسيا وصناعيا وعلميا .

---

(١) ولد افيالیتس عام ٥٠٠ ومات عن ٤٣ عام وقد اختاره الحزب الديمقراطى رئيسا له لصلاحه ونزاهته عام ٤٦٢ ق.م. وقد كان يمقت كيمون مقتا شديدا وقد نجح – كما قلنا فى استصدار أمر بنفيه . وبعد ذلك بدأ يوجه جهوده للحد من سلطة الاريئوباجوس فيقف اختصاصه عند النظر فى جرائم لقتل فقط ، على أن يصبح لمجلس الشعب النفوذ والسلطان فى جميع شئون الامة . وقد كان ذلك كافيا لاثارة الحزب الارستقراطى والاشراف أو النبلاء ضده فاوعز رجاله بقتله عام ٤٥٧ ق.م .

(٢) تولى رئاسة الحزب الديمقراطى بعد اغتيال زميله افياليتس . وقد ولد عام ٤٩٤ق.م من أسرة عريقة ، وقد ربى تربية حسنة ، وقد كان خطيبا مفوها ، يعيش عيشة الكفاف رغم غناه . وقد اختاره الاثينيون بين القواد العشرة وأصبحت فى يده السلطة للتصرف فى أموال البلاد ، كما كان له القيادة على الجيوش البرية والبحرية والقول الفصل بالصلح او الحرب. ورغم ذلك فقد أثر ألا يتخذ لقب « ملك » بل كان كأحد القواد وكان يعـاد انتخابه كل عام بواسطة الشعب (٤٤٩ – ٤٢٩ ق.م) لحرصه على مصالح الدولة والشعب كما أن الجمعية العمومية تأخذ بآرائه لقوة حجته ومنطقه فى الاقناع .

وقد تحقق له ذلك حينما اتسعت قاعدة ملاك الاراضى من الفقراء بعد توزيعها عليهم وحينما أصبح من حق جميع أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم التقدم للترشيح لشغل وظائف القضاة التسعة التى كانت قاصرة على طبقتين فقط منذ ٤٨٨ ق.م وبعد ذلك كان على القضاة المنتخبين أن يجتازوا اختبارا امام مجلس الشعب ومجلس القضاء الأعلى .

وكان الحكام أو القضاة التسعة جنبا الى جنب القادة العشرة يمثلون السلطة التنفيذية . أما مجلس الشيوخ ومجلس الشعب فقد كانا يمثلان السلطة التشريعية وقد فرض بيريكليس أجرا عن حضور مجلس الشعب حتى لا يتخلف مواطن عن حضور جلساتها بحجة السعى فى سبيل الرزق .

وبالاضافة الى ذلك فقد قرر بريكليس تخصيص مرتبات لوظائف الدولة كلها ، حتى يتيح الفرصة امام الفقراء الاكفاء ترشيح انفسهم لها . وحتى يمكن للاغنياء الموظفين الذين فقدوا جزءا كبيرا من ثرواتهم أثناء الحرب أن يجدوا ما يعيشون منه بدلا من اللجوء الى الارتشاء .

غير أن أهم ما وفق اليه بريكليس هو أن تتكفل الدولة بمواطنيها فى حالة الاصابة أو العجز أو الفقر .

وقد تحقق الهدف الثانى حينما صارت أثينا مركزا للفنون والآداب ، يقصدها الناس من كل صوب وحدب ، وليس أدل على ذلك كما يقال من أن يجتمع فيها من الفلاسفة سقراط ، ومن الاطباء بقراط ومن الخطباء ليسياس ومن المؤرخين هيرودوتس وثوكيديديس ومن قبلهم افلاطون وارسطو طاليس ومن الشعراء سوفوكليس .

كما أن الأعمال الانشائية والفنية التى تمت فيها زادتها رونقا وجمالا ، وكانت نفقات هذه الانشاءات تؤخذ من ميزانية حلف ديلوس مما ألب دول هذا الحلف ضد أثينا ، وكذلك طبقات الشعب الاثينى التى كانت تعتبر ذلك ضربا من ضروب البذخ وسوء التصرف . ولذلك سنلاحظ فيما بعد أن الأصوات سترتفع تطالب بمناقشة بركيليس الحساب .

اما سياسة بيريكليس الخارجية ، فقد نجحت فى الوصول بأثينا الى مركز السيادة على دويلات حلف ديلوس . اذ ان قيادة القوة البريةوالبحرية قد آلت الى أثينا ، وصار اسطولها يذرع سواحل البحر المتوسط الشرقية للمحافظة على كيان الدول المتحالفة ضد من تحدثه نفسه الاعتداء على أى دويلة من دول حلف ديلوس وانشغلت المدن الأخرى فى تنمية صناعاتها وتجارتها وزراعتها بعد أن خفق السلام على ربوعها .

ولكن سياسة بريكليس الخارجية قد جانبها الصواب حينما اتخذ من جانبه خطوة الغاء مجلس حلف ديلوس الذى كان يتكون من نواب المدن والذين كانوا يجتمعون للنظر فى شئون دولهم ، كما طالب بريكليس باجتماع مندوبى هذه الدول فى أثينا اذا استدعت الضرورة ذلك كما أن أثينا نقلت خزانة الحلف الى الاكروبول فحرمت ديلوس من أهم ما تتمتع به .

وبالاضافة الى ذلك أحس كثير من مدن الحلف اليونانية ان أثينا تحاول التسلط والسيطرة عليها وانها تسعى لاحداث انقلابات ضد الأنظمة الارستقراطية بها . كما انها فرضت عليهم التقاضى أمام المحاكم الأثينية . وخاصة حينما ايقنوا أن الفرس قد خضدت شوكتهم وانهم ليسوا فى حاجة الى تواجد الحلف .

وكانت أولى حركات هذه المدن فى هذا السبيل ثورة جزيرة ساموس وعلى الفور وجهت اليها أثينا حملة عسكرية بناء على أمر بريكليس . فحاصرها الأسطول حتى استسلمت ثم هدمت أسوارها وتحصيناتها وأرغمت على دفع الجزية . حتى تكون عبرة لمن تحدثه نفسه الخروج على الجماعة التى تدور فى فلك أثينا .

وقد طلب أهل ساموس مساعدة اسبارطة (١) التى كانت تنظر بعين

---

(١) كان النفوذ الاسبرطى يشمل جميع البلوبونيز ما عدا آخيا ، وأرجوس ، كما كان يشمل ايتوليا ، أما المقاطعات المحايدة فهى : تساليا ، ومقدونيا وابروس ثم جزيرة كريت .

الحذر الى ازدياد سطوة أثينا ، واتخاذها مكان الزعامة ، وكادت تنشب الحرب بين أثينا واسبرطة لولا ان كورنته تدخلت لفض النزاع بينهما .

ولقد نتج عن ثورة ساموس اعتقاد راسخ لدى بريكليس ان أثينا لا يمكن أن تحتفظ بلواء الزعامة الا اذا دعمت قوتها العسكرية ، فأسست المستعمرات لتكون الثكنات (١) للجنود وتدريبهم ، ولتصريف التجارة ولرسو السفن التجارية والحربية .

الحروب البلوبونيزية

أو

الحروب الأهلية الكبرى

(٤٣١ — ٤٠٤ ق.م)

ان أخوة الوطن وأخوة اللغة واخوة المصير المشترك ، لم تمنع اخوة الوطن الواحد من التقاتل والتطاحن ، وهذا طبيعى فى المجتمع اذا كان شاردا عن الهدى الالهى ، لا يعترف بالألوهية والربوبية له سبحانه وتعالى ، ولا يخضع حياته لشرع الله ومنهاجه ، وتلك هى الأسباب التى تؤدى الى شقاء البشرية وصراعها مع بعضها البعض .. ولكن للمؤرخين رأى آخر فى الاسباب .

الأسباب التى أدت الى الحروب البلوبونيزية :

١ — نجاح الفرس بالدس وشراء الذمم فى التفريق بين أبناء المدن اليونانية .

٢ — تباين النظم السياسية بين المدن اليونانية ، اذ ان الحكم فى أثينا كان ديمقراطيا بينما كان فى أسبرطة ارستقراطيا ، وكان منتفيا أن

---

(١) منها خالكيس من مدن جزير افيا ، وبيزنطية على باب بحر مرمرة . وسينوبى على سواحل البحر الاسود .

يكون لكل منهما مدنا تدور فى فلكها وتسعى لبسط نفوذها ، أى ان العالم اليونانى انقسم الى شطرين مختلفين فى النظم والعادات والأهداف مما أوجب التنافر والعداء .

٣ — حسد اسبرطة للمكانة التى وصلت اليها أثينا سواء فى مجال السياسة أو الصناعة أو الأدب أو الفنون .

٤ — تسلط أثينا على دول حلف ديلوس وغيرها . مما أوغر صدورهم وأشعلها بالحقد والبغضاء .

٥ — كساد تجارة المدن الدورية امثال ميغارا (ميجارا) وكورنته نتيجة منافسة أثينا مما كان كافيا لاشاعة التذمر ضدها .

٦ — قيام كورنته بمهاجمة جزيرة كوركيرا ، فالتجأت الأخيرة الى أثينا حامية حمى الديمقراطية للاخذ بناصرها ، بينما لجأت كورنته الى اسبرطة تطلب معاونتها . قامت أثينا بتلبية نداء كوركيرا التى أعلنت الثورة سنة ٤٣٥ ق.م واستقلالها عن كورنته . وكانت أثينا فى ذلك الوقت تمتلك أسطولاً بحريا يعادل القوى البحرية للمدن اليونانية جميعها ، فأرسلت جزءا منه لمساعدة جزيرة كوركيرا فى ثورتها ، فى الوقت الذى أرسلت كورنته وميجارا اسطولها لاخماد الثورة ، وحدثت معركة بين الطرفين لم تكن حاسمة .

٧ — وفى عام ٤٣٢ ق.م امتنع أهل بوتيدياى الذين من أصل كورنتى عن دفع الجزية المفروضة عليهم لأثينا ، ولذلك فقد قام بريكليس بارسال قوة عسكرية لتأديبها ، وقد حاصرتها القوة الأثينية سنتين خسرت أثينا أثناءها الكثير ، وقد كان هذا الصدام بداية للمعارك العنيفة التى شملت بلاد اليونان من تراقيا فى الشرق الى جزيرة صقلية فى الغرب ، وفى نهايته لم يكن امام أسبارطة من مخرج الا طلب مساعدة الفرس .

١ ـ الفترة الأولى من الحروب البلوبونيزية :
(٤٣١ ـ ٤٢١ ق.م)

وتعرف بحرب العشر سنوات ، وقد اشتركت فيها قوات برية وبحرية وقد هاجم فيها الأسطول الاثينى مدن البلوبونيز الساحلية ، بينما اتجهت القوات البرية الاسبارطية الى مهاجمة القسم الاتيكى والاستيلاء على خيراته وتخريبه . ولما كانت مدن القسم الاتيكى ما عدا أثينا وبيرايوس غير محصنة فانها لم تصمد كثيرا وهرب أهلها الى أثينا للاحتماء بأسوارها . ولقد ترتب على ذلك ان ضاقت المدينة بمن فيها مما ادى الى تفشى الأمراض ووباء الطاعون على مدار ثلاث سنوات منذ عام ٤٣٠ ق.م . فهلك كثير من السكان وقد نجم عن ذلك نقص عدد الجنود المطلوب اشتراكهم فى الجيش وعلى الجانب الآخر قام الأسطول الاثينى بسلب ونهب كل ما يصادفه من مدن سواحل البلوبونيز وبيوتيا .

وانزعج الاثينيون لما اصابهم ، فبدأوا يوجهون انهاماتهم الى بريكليس ويطالبون بمحاكمته بصفته مسئولا عما اصابهم وقد حوكم بريكليس ووجهت اليه تهم كثيرة منها انه هو السبب فى هذه الحرب ، وأنه سبب الوباء ، وانه أسرف فى أموال الدولة بغير حساب . وقد أثبتت عليه هذه التهم الباقية منه ، فماتت أخته وبعض أولاده بالوباء ، وأصبح فى حالة نفسية سيئة وبعد فوات الوقت رجع اليه الاثينيون يطلبون صفحه والعودة الى منصبه ، ولكنه لم يستمر طويلا ، اذ كان المرض والمصائب قد انهكته فمات تاركا أمور أثينا فى أيدى اثنين من بعده هما :

نيكياس وكليون :

ولقد استمرت الحرب فى عهدهما وحاصرت القوات الاثينية بقيادة كليون جزيرة اسفاكتريا واجبرتها على الاستسلام وقد كانت نتيجة هذه المعركة ضربة قاصمة لجيش اسبارطة لأن القوات المحاصرة كانت تتكون

من خيرة أبناء اسبارطة ولذلك اضطرت الى طلب الصلح مع أثينا والتحالف معها فى مقابل الافراج عن اسراها .

ولكن الأثينيين رفضوا ذلك الطلب بنــاء على توصية واقناع كليون الذى كان له الدور الأكبر فى استمرار هذه الحرب بعد أن اقترح قانونا عام ٤٢٤ ينص على اعفاء الاثينيين من الضرائب اللازمة للحرب ، وقد كان ذلك يعنى أن تقوم الدول الأعضاء المتبقية فى حلف ديلوس بسدادها عن أثينا ، وبذلك ترتفع قيمة الجزية التى يدفعونها ، ليضمن كليون الحصول على التكاليف اللازمة لاستمرار نمو القوة العسكرية لأثينا . وقد وصل طغيان كليون الى حد الاستيلاء على الأموال المطلوبة من الأغنياء فى هذه المدن قسرا .

وكان من الطبيعى ان تثور الدول الأعضاء فى حلف ديلوس ، فقامت ثورة عام ٤٢١ ق.م فى ميتيلينى تهدف الى الانفصال عن أثينا ، واستنجدت ميتيلينى فى ثورتها باسبارطة . وكان الصدام بين ميتيلينى وقوات أثينا التى تلقت أوامر كليون بقتل جميــع الرجال فى ميتيلينى . واسر البعض الآخر حيث نفذ فيهم حكم الاعدام فى أثينا . وجاء الوقت الذى قتل فيه كليون فى ميدان القتال أثناء احدى المعارك بين أثينا واسبارطة فى الشمال . وحينئذ عرضت اسبارطة الصلح مرة أخرى وقبلته أثينا فى عهد تيكياس .

صلح نيكياس (سنة ٤٢١ ق.م) وبمقتضاه :

١ — قبلت المدن اليونانية المتحاربة ايقاف القتال ، وانهاء حالة الحرب .

٢ — يعيد كل طرف من الأطراف الأراضى التى استولى عليها الىالطرف الآخر .

٣ — تدخل المدن اليونانية فى حلف مدته خمسين عاما .

٢ ـ الفترة الثانية من الحروب البلوبرنيزية :

(٤١٥ ـ ٤٠٤ ق.م)

تعتبر صقلية مركز النزاع الجديد الذى أشعل هذا الدور من الحرب البلوبونيزية. اذ طلبت مدينة سيجستا عام ٤١٦ ق.م مساعدة أثينا ضد جارتهاسيلينوس التى كانت تعضدها سيراكوزا بجزيرة صقلية على أثر نزاع نشب بينهما . وقبل ان تقدم أثينا على اتخاذ قرارها بهذا الشأن ، أرسلت بعثة الى سيجستا لمعرفة :

أولا : مدى جدية الطلب .

ثانيا : هل موارد هذه المدينة تسمح لها بدفع النفقات التى ستتكلفها أثينافى اعداد هذه الحملة .

وعادت البعثة بأخبار مشجعة عن الخيرات الكثيرة التى تغص بها هذه المدينة، ولذلك كان من الطبيعى ان توافق أثينا على تلبية نداء سيجستا ، رغم معارضة نيكياس الذى كان يتوقع التكاليف الباهظة لهذه الحملة ، والذى كان من رأيه عدم الاندفاع وراء مخاطرة لا يعرف الى أى مدى سيستعر آوارها .

وكان الى جوار نيكياس قائد آخر هو الكيباديس الذى عرف بحماسه واندفاعه وكان من المؤيدين لاجابة نداء سيجستا ، لذلك استخدم كل ماأوتى من حجة لاقناع الأهالى بأن من وراء الحملة الاثينية الى صقلية مغانم كثيرة أهمها تحقيق الأمل فى تكوين امبراطورية أثينية فى غرب البحر المتوسط .

---

(١) احدى جزر شبه الجزيرة الايطالية . ويفصلها عن جنوب شبه الجزيرة مضيق سينا . وقد كانت صقلية مركزا لتجمعات اليونانيين الذين أنشأوا فيها الكثير من المستعمرات أكبرها سيراكوزا ، كما كان القرطاجيين فيها محطات تجارية .

المهم جهزت أثينا حملتها لمعاونة سيجستا ضد سيلينوس وكانت تتكون من ١٣٤ سفينة ، ١٣٠٠ من الرماة ، ٥١٠٠ من المشاه ، وكان قائدها الأعلى نيكياس .

وبينما كانت الحملة على وشك الرحيل عام ٤١٥ ق.م ، حدث أن استيقظت أثينا من نومها على حادث غريب أدى الى تأخير هذه الحملة وهو أن الأنصاب التى كانت موضوعة عند مداخل البيوت والمعابد فى أثينا وقعت من مكانها وتحطمت وقد كان ذلك بالنسبة للمواطنين الاثينيين فألا سيئا ، وكان لا بد من البحث عن كبش فداء فوجهت التهمة الى الكبياديس بأنه مسئول عما حدث على اعتبار أنه أغضب أعضاء الآلهة لأنه معروف عنه انه راغب فى اعادة الحكم الارستقراطى الى البلاد بدلا من الديمقراطية السائدة . ولذلك نرى الكبياديس — وهو يعلم أن وجوده فى قيادة الحملة ضرورى — يطلب محاكمته ، ولكن الأثينيين رفضوا ذلك ، وقرروا تأجيل محاكمته لحين الانتهاء من حملة صقلية .

بدأت القوات الاثينية تحركها فى اتجاه الغرب ، فوصل الأسطول الى ريجيون فى جنوب ايطاليا وهناك بدأت الأنباء السيئة تتوالى على الجيش وملخص هذه الأنباء :

(أ) ان الثروة التى منى الاثينيون بها أنفسهم فى سيجستا لم تكن سوى نقودا مزيفة ، وان هذه المدينة لن تستطيع ان تدفع أى نفقات لأثينا.

(ب) قوبلت الحملة بفتور من قبل ريجيون ، كما أن بقية المستعمرات اليونانية فى جنوب ايطاليا كانت تفضل موقف الحياد بهدف استغلال كلا الطرفين المتنازعين .

وعند هذا الموقف اجتمع قواد الجيش للنظر فيما يمكن عمله ، وقد كان هنالك عدة آراء مطروحة للبحث وأهمها :

١ — تفادى المعارك الكبيرة ، والاستيلاء على مايمكن الاستيلاء عليه

بدون مخاطرة وعمل مظاهرة عسكرية لارهاب مدينة سيراكوزا حينما ترى قوة أسطول أثينا .

٢ – محاولة اكتساب بعض مدن صقلية بالطرق الدبلوماسية ، ثم استخدام هذه المدن للضغط على سيلينوس للصلح مع سيجيستا

٣ – مهاجمة سيراكوزا أكبر مدينة فى صقلية وأغناها ، قبل ان تتم استعداداتها ، والاستيلاء على ثرواتها .

وقبل الاقتراح الأول وكان مقدما من قبل نيكيادس . وبدأ الأسطول الأثينى فى عمل مظاهرة بحرية فى ميناء سيراكوزا ، مستوليا على احدى سفنه للتدليل على سطوته وان لم يحاول الاشتباك فى معارك كبيرة .

فى هذه الأثناء حدث ما غير مجرى الأمور :

أثينا تطلب عودة الكبياديس لمحاكمته بتهمة اهانة أربابهم ، وكانت الأدلة والشهود قد أعدت ضد هذا القائد ، ولذلك خاف الكبياديس من العودة الى أثينا ، وقرر ان يلجأ الى اسبارطة عدوة أثينا حيث عين هناك بين أهم مستشاريها ، وكان لزاما عليه مقابل ذلك أن يضع نفسه فى خدمة اسبارطة . ولما كان أكبر أهداف اسبارطة القضاء على سطوة أثينا وانتزاع لواء الزعامة منها ، فقد اتجه الكبياديس بكل جهوده لجعل الفشل من نصيب حملة أثينا ضد صقلية . ولذلك لا نستغرب اذا عرفنا ان أثينا قد حاكمته غيابيا وحكمت عليه بالاعدام مع بعض اتباعه وأقربائه مع مصادرة ممتلكاتهم .

ورغم ما حدث ، فقد آثر القواد الاثينيون الآخرون الاستمرار فى الحرب ، وبدأوا بعض المناوشات التى استمرت عدة شهور وفى النهاية قرر نيكياس مهاجمة سيراكوزا ، فبدأت القوات الاثينية فى حصارها ، غير ان حلول فصل الشتاء اضطرها الى الانسحاب وتأجيل القتال . وبذلك منحت الفرصة لأهل سيركوزا ليحصنوا مدينتهم . ويقوموا باعداد الجيش اللازم للدفاع والهجوم .

والواقع أن الظروف والأحداث كانت تجرى ضد أثينا ، لأن الكيباديس أخذ يثير الشعور العام للاسبارطيين ضد أثينا ، ملقيا فى روعهم بأن أثينا تأمل فى العودة الى استئناف الحرب البلوبونيزية بعد الاستيلاء على الأقاليم الغربية وكسر شوكة قرطاجة ، ثم انتهى الى توجيه النصيحة لهم بأن على اسبارطة أن تقوم على الفور بارسال قوة عسكرية لمناوشة أثينا فى القسم الأتيكى ، فتنشغل بالغزو الجديد ، وما يترتب عليه من اخطار ، فلا تحاول ارسال المزيد من القوات الى صقلية ، بل تحاول أن تسحب جزءا منها اذا استدعى الأمر . كما وافق الكيبيادس فى اقناع اسبارطة لارسال أسطول حربى بالاشتراك مع كورنته عدوة أثينا الثانية الى صقلية ، لمعاونة سيراكوزا فى تحصين نفسها وتنظيم الدفاع عنها . وبالاضافة الى ذلك فان الكيباديس كان أدرى من غيره بعدد القوات الأثينية ونقط الضعف فيها .

وبذلك يمكن القول بأنه قد تحقق لسيراكوزا واسبارطة وكورنتة جميع العوامل التى تمكنها من القضاء على قوة أثينا المهاجمة . وقد تم ذلك حينما حاصرت هذه القوات المتحالفة اسطول أثينا فى ميناء سيراكوزا ودمرته كلية ، وبذلك قطعت سبيل الرجوع بحرا على بقية الجيش الأثينى.

ولما رأت بقية القوة الأثينية هذا الموقف ، بدأت تتخذ لها مواقع حصينة فى التلال الواقعة شمال مدينة سيراكوزا . كما حاولت أن تعزل هذه المدينة عن باقى مدن الجزيرة بقطع طرق المواصلات البرية ، ولكنها لم تفلح فى ذلك ، بل اضطرت فى النهاية أن تسلم نفسها لأعدائها بعد أن قتل القائد الأعلى (نيكياس) وغيره من الزملاء ، وأعداد كبيرة من الجنود ، وأخذ الباقى أسرى ، ليتركوا فى الجبال هائمين على وجوههم ليقضى عليهم المرض والجوع والعطش ، ومن نجا بعد ذلك بيع فى أسواق النخاسة .

والواقع أن نتائج هذه المعركة كانت كارثة محققة بالنسبة لأثينا ، اذ أنها خسرت فيها جيشها واسطولها ونصف سكانها تقريبا ، كما استنفذت

كل أموالها كما ان المدن اليونانية التى كانت خاضعة لها ، امتنعت عن دفع الجزية التى كانت تشكل جزءا كبيرا من ميزانيتها .

ومما زاد الطين بلة ، ان الكبياديس ، حث اسبارطة على ارسال جيش الى القسم الاتيكى وذلك على ديكليا Decelia شمال أثينا والتى تتحكم فى هذا القسم جميعه ماعدا أثينا . ولقد وافقت اسبارطة على ذلك ووفقت وبذلك أمكنها أن تحول بين أثينا وبين مناجم الفضة فى لوريوم لصك نقودها وأن تمنع الطعام عنها .

وبالاضافة الى ذلك قام الكبياديس – امعانا فى الانتقام – برحلة بين جزر البحر الايجى لاقناع الدول المتحالفة مع أثينا ماعدا ساموس بالانفصال عنها ، وذلك غير اقناعه ملك الفرس بالتحالف مع اسبارطة على أمل ان يثأر لهزيمة الفرس السابقة فى حروبهم مع المدن اليونانية وعلى أثر هذا التحالف قام الفرس بمد اسبارطة بالمال اللازم لبناء اسطولها الناشىء فى مقابل معاونتها للفرس على السيطرة على بعض مدن آسيا الصغرى اليونانية .

وياليت الأمر يقف عند هذا الحد ، فقد كانت الصراعات الداخلية – فى أثينا – بين الأحزاب السياسية المتعددة تطحن قواها .

ورغم هذا ، فان أثينا لم تستسلم ، وبقيت تصارع أعداءها على مدار ثمان سنوات أخرى ، وقامت تقتصد من أموالها وتجهز اسطولا جديدا ، ولم يكن قد مضى عام واحد على الهزيمة التى حاقت بها فى سيراكوزا .

وانتعشت آمال الآثينيين فى النصر ، حينما اختلف الكبياديس مع الاسبارطيين وطلب العودة الى أثينا ، فأصدرت الأخيرة عفوا عنه ، واستقبلته عام ٤٠٧ ق ٠ م – ليقود الأسطول الأثينى ضد الأسطول الاسبارطى ، فيهزمه فى معارك صغيرة ، مستعيدا سيطرة أثينا على البحر ومضايق الدردنيل والبسفور مما أمن لها موارد الطعام .

ولكن سوء الطالع كان ملازما لأثينا ، فعندما هزم جزء من اسطولها فى موقعة نوتيوم فى آسيا الصغرى على يد قائد اسبارطى يسمى ليساندر

ساورتها الوساوس فى اخلاص الكبياديس ، فقررت عزله من قيادة الاسطول وهنا ملأ الخوف قلب هذا القائد الذى قرر الهرب الى تركيا بحثا عن مغامرةأخرى .

ثم كانت الخطوات التالية : لقد اضطرت أثينا - نفسها - التى أصرت على أن تبحث عن أضحية تقدمها ولو كذبا الى المحاكمة كمسئولة عن سقوط تماثيل مداخل المعابد والمنازل - ان تصهر تماثيل أوثانها وقرابينها القائمة على الاكروبول وذلك للحصول على سبائك الذهب والفضة لبناء اسطول جديد .

كما رأت أثينا - لكسب قوى بشرية الى جانبها ، تحارب فى صفوفها - عتق الرقيق ليكونوا مواطنيين أحرارا ، وذلك بالاضافة الى منح حقوق المواطن للغرباء الذين يشاركون فى الدفاع عن أثينا .

وبعد ذلك تقابل الاسطول الأثينى الاسبارطى ليوقع الأول بالثانى هزيمة بحرية فى معركة بالقرب من ليزبوس احدى جزر بحر ايجه عام ٤٠٦ ق . م . ولكن ما فعلته أثينا لتكافىء قواد حملتها هذه كان غريبا ، لقد أصدرت حكما باعدام قادة النصر . لماذا ؟ لأنهم تركوا جثث زملائهم الذين قتلوا فى المعركة فى البحر دون أن يستعيدوها من أفواه الأسماك الجائعة ، وهذا مخالف لدياناتهم الوثنية وبذلك خسرت أثينا قوادها فى وقت هى فى مسيس الحاجة اليهم .

ورغم ذلك فقد اتجه الأسطول الأثينى نحو الشمال ، ظنا منه انه يستطيع أن يحقق المزيد من الانتصارات العسكرية ، فرسا فى ايجوسبوتامى .

وهناك دارت معركة أخرى بينه وبين الاسطول الاسبارطى فى معركة فاصلة عام ٤٠٥ ق.م ، وتمكن الأخير بقيادة ليساندر من ايقاع هزيمة ساحقة بالاسطول الأثينى بعد تحطيم الجزء الأكبر منه ، والاستيلاء على الباقى ، وقتل عدة آلاف من الجنود . ونتج عن هذه المعركة ، أن أصبح

الاسطول الاسبارطى هو سيد بحر ايجه دون منازع ، ولذلك قرر قائده مهاجمة أثينا فى عقر دارها . فوصل ميناء بيرايمس حيث لم يجد أى مقاومة، ولذلك فقد حاصر أثينا برا وبحرا ، قاطعا عنها موارد الطعام . ولذلك كان لزاما على أثينا ان تعلن التسليم والسقوط فى يد اسبارطة عام ٤٠٤ ق٠م . مع قبول الشروط التالية :

١ — تهدم أسوار أثينا وتحصينات ميناء بيرايوس .
٢ — تقوم أثينا بتسليم ما تبقى لديها من سفن الى اسبارطة .
٣ — اعادة الارستقراطيين المنفيين من أثينا الى وطنهم .

وكان هدف البند الأخير القضاء على الحكم الديمقراطى فى أثينا واقامة حكم ارستقراطى يدور فى فلك اسبارطة ، وهو ما كانت اسبارطة تسعى الى تحقيقه .

سقوط أثينا
وقيام حكومة الثلاثين طاغية

لقد رضخت أثينا للشروط التى فرضها ليساندر القائد الاسبارطى ، ونجم عن ذلك حرص هذا القائد الأخير ان يقيم الحكم الارستقراطى فى أثينا فى ظل حماية الجيش الاسبارطى . فكون مجلسا من ثلاثين عضوا (عام ٤٠٤ ق٠م) من بينهم الارستقراطيين الذين كانوا فى المنفى .

وجاء هؤلاء الطغاة من أبناء أثينا ليجهزوا على ما تبقى فيها ، ولتحقيق مطامعهم الخاصة التى لم تكن تتفق ولا لتحقق فى ظل الحكم الديمقراطى ، لأنهم حرصوا منذ اللحظة الأولى على :

١ — الاستيلاء قصرا على أموال الأغنياء .
٢ — التخلص من المعارضين لأطماعهم سواء بالقتل أو بالنفى .
٣ — نهب الأموال العامة .
٤ — حظر الاجتماعات العامة وما يدور فيها من مناقشات .

وأمام هذا الطغيان ، الذى سقطت فيه حرية الفرد السياسية والاجتماعية ، هرب الكثير من أبناء أثينا الى مدينة طيبة حيث كونوا جيشا بقيادة تراسيبولوس ، واتجهوا الى بيرابوس فاحتلوه ثم تحركوا منه الى أثينا حيث اسقطوا الحكم الارستقراطى (حكم الثلاثين طاغية) وأقاموا مكانه الحكم الديمقراطى عام ٤٠٣ ق٠م٠

ما يسمى
بعصر « عظمة اسبارطة »
(٤٠٤ ــ ٣٧٩ ق٠م)

بعد انتصار اسبارطة عام ٤٠٤ صار لها الكلمة العليا فى بلاد اليونان برا وبحرا بلا منازع . ولذلك يطلق بعض المؤرخين على هذه الفترة عصر عظمة اسبارطة . ولكن يبدو أن الغرور قد داخلها بعد النصر فأفسدها ، ويتجلى ذلك فى الخطوات التالية التى اتخذتها اسبارطة من جانبها :

١ ــ اثقال المدن التى كانت خاضعة من قبل لأثينا بالضرائب والالتزامات ناسية بذلك وعودها التى قطعتها على نفسها من قبل ، بأنها ستقوم بالغائها .

٢ ــ وضع قوة عسكرية اسبارطية بقيادة حاكم اسبارطى يعاونه حكومة ارستقراطية محلية فى كل بلد من البلاد الخاضعة لها ، وذلك لضمان سيطرتها ووصل المال الى خزائنها اذا لقد بدأ المال يصب فى خزانة اسبارطة وبدأ أهلها يعيشون حياة الترف والمجون ، ونسوا حياة الخشونة والجندية ، وكان من الطبيعى أن ينمو جيل ليس له من حياته غير يومه دون التفكير فى غده .

وعلى كل فانه يمكن تقسيم عظمة اسبرطة الى ثلاث فترات متمايزة :
الأولى : (٤٠٤ ــ ٣٩٥) وكانت مرحلة شمل فيها السلام بلاد اليونان، واثناءها ارسلت اسبارطة الى آسيا قوة من عشرة آلاف مقاتل لمعاونة أحد

ملوك (١) الفرس ضد أخيه للاستيلاء على العرش ، ووصلت القوة فعلا الى وادى الفرات ، وحاربت الى جانب حليفها الذى قتل ، فاضطرت القوات الاسبارطية الى العودة الى قواعدها بعد أن فقدت حوالى ١٤٠٠ رجل ، وبعد عودة الجيش اكتشفت مؤامرة من بعض العناصر الغير وطنية بالاضافة الى طبقة الهيلوتس للاطاحة بالحكم الوطنى الاسبارطى ، فقضى على أصحابها ليلة محاولة القيام بتنفيذها .

وبعد ذلك خرجت قوات اسبارطة الى آسيا لرفع اضطهاد الفرس عن اليونانيين وهزم الفرس فعلا أمام القوات الاسبارطية ، مما دفع ملك الفرس (اردشير درازدشت) أن يبتاع ذمم المدن اليونانية (٢) الأخرى بالذهب ويعقد معها معاهدة للقضاء على قوة اسبارطة ، وحينما أحس حاكم اسبارطة ليساندر بذلك توجه لقتال المتحالفين وأسفر القتال عن هزيمة جيش ليساندر وقتل هو نفسه فى المعركة .

الثانية : (٣٩٥ ــ ٣٨٧ ق٠م) وهى الفترة التى تمردت وثارت فيها المدن اليونانية (أمثال ثيبة ، وأثينا) . وفى هذه الفترة تمكن اسطول أثينا بقيادة كونون وبمساعدة الاسطول الفارسى فى فينيقية القضاء على الأسطول الاسبارطى عند كنيدوس عام ٣٩٣ ق٠م . وتقدمت قوات أثينا الى بيرايوس ، ومنها الى أثينا حيث أسقط حكم الطغاة وأقيم الحكم الديسقراطى ، وبدأت أثينا تتحالف مع غيرها ، ولكن الاسبارطين كانوا لهم بالمرصاد ، فسارعوا الى الفرس يطلبون محالفتهم ، أو قل يبيعون أنفسهم وبنى وطنهم الى الفرس . وقبل الفرس التحالف وعقدوا معاهدة مع اسبارطة (٣) عام ٣٨٧ ق.م ضمنوا لأنفسهم بمقتضاها السيطرة على معظم المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى ، وبعض جزر البحر المتوسط (ومنها قبرص) .

---

(١) كيخسرو ضد اردشير درازدست .

(٢) تيبة او طيبة وارجوس وكورنثه ، وأثينا

(٣) سميت معاهدة انتالكيداس



الثالثة : (٣٨٧ – ٣٧٩) : وهو العصر الذى رأت فيه اسبارطة بعد معاهدتها مع الفرس أنها بالقوة التى لا حاجة معها الى العدل ، فأخذت تضطهد الكثير من المدن اليونانية (مثال ذلك ثيبة) بغير ذنب جنوه ، مما حمل الثيبيون أصدقاء اسبارطة القدامى الى الثورة عليها وتسعى جهدها للقضاء عليها .

مايسمى
بعصر عظمة طيبة (١)

طيبة تتخلص من حكم الاسبارطيين (عام ٣٧٩ ق.م) :

لقد عرفنا فيما سبق أن اسبرطة لكى تحكم سيطرتها على المدن اليونانية الأخرى دأبت على أن تترك فى كل مدينة قوة عسكرية اسبارطية ، وحاكم اسبارطى على رأس حكومة ارستقراطية يشترك فيها مواطنوا هذه المدن ، وبعد عقدها للمعاهدة مع فارس أخذت تستبد بمواطنى هذه المدن اليونانية ، واتخذت من هذه المعاهدة سيفا سلطته على رقاب اليونانيين بحق أو بغير حق .

وقد عانت طيبة على يد الاسبارطيين معاناة كبيرة ، اذ كان الاسبارطيون يحتلون قلعة كدميا فى طيبة ثلاثة سنوات ، وكان الحكام الاسبارطيون طغاة جبابرة ، ولم يكن من المعقول أن يستمرىء الناس الظلم لفترات طويلة ، فسرعان ما أجمع بعض المواطنين الأحرار على تخليص البلاد من حكم اسبارطة ، وفى ليلة قام هؤلاء الأفراد بالانقضاض على حكام المدينة فقتلوهم واستولوا على النقط الحربية والقلعة التى كانت تحتلها القوات الاسبارطية عام ٣٧٩ ق.م ولذلك يطلق المؤرخون على هذه الفترة بداية عظمة طيبة .

الصراع بين اسبارطة وطيبة (٣٧٩ – ٣٧١) :

لم تكن اسبارطة لتصبر على هذه الثورة التى يمكن أن تحتذى فى البلاد اليونانية ، الأخرى لذلك بدأت اسبارطة تجرد جيوشها على مدار ثمانية

(١) أحيانا تكتب ثيبة .

سنوات متتالية ضد طيبة وجميع مدن بيوتيا لاستردادها ولكنها لم تستطع أن تحرز أى نصر بل على العكس كانت تواجه هزائم متتالية . وبذلك أصبحت طيبة على رأس التحالف البيوتى ، يخشى بأسها وتهاب صوتها .

تحالف طيبة وأثينا ضد اسبارطة ـ موقعة ليوكترا :

وأثناء احدى حملات الاسبارطيين ضد بيوتيا ، اراد احد قواد هذه الحملات مهاجمة ميناء بيرايوس لتحقيق نصر عسكرى فى القسم الاتيكى ، ولكن أمره انكشف للاثينيين مما جعلهم يتبينون مدى الحقد والغدر والخيانة التى يكنها لهم الاسبارطيون ولذلك كان من الطبيعى أن يتحالف الاثينيون والطيبيون ضد اسبارطة تحالفا هجوميا .

وكانت الظروف مواتية فعلا لاثينا ، فجهزت اسطولا بحريا وقابلت اسبارطة فى موقعة بالقرب من تكسوس عام ٣٧٦ ق.م وانتصرت عليها ولقد ترتب على تلك الحرب انضمام بعض المدن اليونانية الى تحالف أثينا وطيبة . وحينما احست أثينا بتقدم ـ حليفتها ـ طيبة الحربى والسياسى ، غارت منها وحسدتها وقررت التخابر مع اسبارطة فى شأن الصلح . وقبلت اسبارطة شروطه التى تتلخص فى الدفاع المشترك ضد أى هجوم خارجى ، على أن تقوم كل من اسبارطة وأثينا بتسريح قواتها العسكرية والبحرية والبرية مع اعطاء الاستقلال لجميع المدن اليونانية مع الوقوف ضد أى مدينة تسعى لنقض هذه الشروط واجبارها على احترامها . وقد تم توقيع هذا التحالف ٣٧١ ق.م الذى كان يشكل عقبة ضد مطامع طيبة التى لم تشترك فى توقيع الاتفاق .

وقبل مضى عشرين يوما على توقيع الاتفاق اشترك الاسبارطيون والطيبيون فى معركة ، هزمت فيها الأولى عند ليوكترات على يد القائد الطيبى ايبامينونداس وبذلك تخلصت بيوتيا كلية من سيطرة المتحالفين . وحينئذ أحس القائد الطيبى أن الفرصة سانحة لمهاجمة اسبارطة فى عقر دارها ، وفعلا أغارت قواته على البلوبونيز فى الفترة من ٣٧١ ـ ٣٦٦ ق.م

حيث حاصر اسبارطة لفترة قصيرة ثم انصرف عنها ، وساعد أهل اركاديا على اقامة مدينة جديدة هى ميجابوليس لتكون عاصمة وقلعة حصينة لهم . كما عاون فى بناء مسينيا ، وذلك غير احتلال احدى المدن الاخرى ، وبذلك تم حصار اسبارطة من جميع النواحى مما افقدها القدرة على الحركة وبعد ذلك انسحب القائد الطيبى عائدا الى بيوتيا .

طيبة تبسط نفوذها شمالا - تحالفها مع مقدونيا :

بعد أن نجحت طيبة فى القضاء على قوة اسبارطة . ووطدت نفوذها فى الجنوب لم يكن هنالك من سبيل أمام اسبارطة سوى تحريك عوامل الفتن والغيرة بين اركاديا ومسينيا .

وفى نفس الوقت وجهت طيبة جهودها شمال شبه جزيرة البلقان ، حتى لا تقوم ممالك يشى بأسها فتحالفت طيبة مع مقدونيا عام ٣٦٧ ، واضطرت للصدام مع ملك تساليا وقتل حملة طيبة حينذاك عام ٣٦٤ ق.م ورغم ذلك فقد استمر نفوذ طيبة فى تساليا كلها . وعلى الجانب الآخر نجد أن دسائس اسبارطة بين مدن جعلتها تتخاصم وتتحارب ، وانتهى الأمر بتدخل اسبارطة وأثينا فى شئونها .

ولم يكن ممكنا أن تقف طيبة موقف المتفرج ، فاتجهت قواتها بقيادة ابامينونداس الى الجنوب حيث كان الصدام المسلح فى موقعة منثينيا عام ٣٦٢ وكاد النصر يتم لطيبة لولا مقتل القائد ابامينونداس .

وكان نتيجة هذه الحروب والحروب السالفة الذكر ، ان ضعفت امكانيات دويلات المدن اليونانية واضمحلت قواها ، فلم ترى بدا من التصالح سويا على اساس استقلال جميع المدن اليونانية على السواء عام ٣٦١ ق.م .

وفى تلك المرحلة اتاح القدر لاحد ابناء مقدونيا وهو فيليب المقدونى توحيد شبه الجزيرة اليونانية تحت قيادته .

ما يسمى
بعصر عظمـــة مقدونيـا

تمهيــد :

تقع مقدونيا الى الشمال من شبه جزيرة البلقان ، ويفصلها عن بلاد اليونان سلسلة جبال أولمبوس العالية . وطبيعة أرضها جبلية ، وتربتها خصبة ويجرى بها بعض الانهار المحصورة ، ولقد ترتب على ذلك ضيق فى الموارد الاقتصادية ، وشظف فى العيش ، واشـتغال أهلها بالرعى ولذلك لا تعجب اذا عرفنا أنه لم يكن فى مقدونيا مدينة واحدة كبيرة فى ذلك الحين .

ولم يكن هنالك أى اتصال بين مقدونيا والمدن اليونانية ، لأن البحر الذى كان يمكن أن يربطهن سويا كان مغلقا أمامها بحكومات يونانية فى اولنتوس وبوتيديا .

ولقد كانت مقدونيا ، أثناء النزاع بين الفرس واليونان ، المعبر الذى عبرته الفرس للوصول الى بلاد اليونان . كما أنهم خضعوا لدارا (داريوس) ولملوك الفرس التالين ، كما كانوا يسهلون لهؤلاء الفرس السير والاغارة على بلاد اليونان ، ولذلك لا تعجب أيضا ، اذا عرفنا أن أهل طيبة ونزاقنا وايللريا ، كانوا يحتقرونهم ويسخطون عليهم .

ولذلك لم يكن من المتصور أن يخرج من هذا الاقليم ، ملك مثل فيليب [1] المقدونى عام ٣٥٩ ق.م أخذ على عاتقه :

١ — اصلاح الأحوال الداخلية فى مقدونيا ومد حدودها الجغرافيـة وتكوين جيش قوى .

٢ — مد سيطرة مقدونيا على جميع المدن اليونانية .

---

(١) يقول المؤرخون أن فيليب كان سريع الخاطر حاد الذهن وانه اكتسب صفات عظيمـة من احتكاكه بابامونينداس أثناء اقامته فى طيبة لعدة سنوات ، ذلك غير احتـكاكه بأفلاطون وأرسطوطاليس .

٣ — توحيد جهود المدن اليونانية وتكوين جيش قوى للقضاء على نفوذ الفرس وتكوين امبراطورية واسعة النطاق .

لقد انهمك فيليب فى بداية توليه شئون مقدونيا عام ٣٥٩ ق.م فى اصلاح الأحوال الداخلية وفى مد حدود اقليمه من الشمال ، ومن الغرب جاعلا لها حدود ثابتة ، بعد أن كان التراقيون والايلليريون يتوغلون فيها الى أبواب عاصمتها . كما قام أيضا بتطهير بلاده من البربر ، وذلك غير التحالف مع الملك ابيروس وتزوج ابنته اولمبياس .

ولكى يضمن ولاء الطبقة الارستقراطية اتخذ ابناءهم رهائن عنده ورباهم مع ابنه الاسكندر ، لينشأوا على الطاعة والولاء ، وليكون منهم حرسه الخاص . كما تمكن فيليب أيضا من تكوين جيش قوى لكى يتمكن فى النهاية من تحقيق الخطوة التالية .

فيليب يقوم باحتلال تساليا واخماد الحرب المقدسة الأولى (٣٥٣ — ٣٥٢ ق.م)

قام فيليب بالاستيلاء على اقليم تساليا وواصل زحفه جنوبا وفى هذا الأثناء كانت بعض المدن اليونانية مشغولة فيما يسمى بالحرب المقدسة التى نجمت عن قيام أهل اقليم « فوكيديا » بالاستيلاء على أرض مملوكة لمعبد دلفى ، وذلك غير احتلال هيكل المعبد والاستيلاء على ما فيه من أموال واستخدامها فى تكوين جيش قوى للتصدى لقوات بعض المدن اليونانية الأخرى التى هرعت الى ارسال قواتها لتخليص معبد دلفى من الفوكيديين . ولكن قوات فوكيديا هزمت كل هذه القوات ، مما اضطر مجلس ادارة المعبد [١] الى الاستنجاد بفيليب المقدونى الذى انتهز الفرصة وتقدم بقواته (٢٣ الف مقاتل) الى اقليم فوكيديا مستوليا عليه . وهزم المغتصبين لمعبد دلفى وأخمد بذلك نيران ما سمى بالحرب المقدسة التى كانت بين المدن اليونانية .

---

(١) المجالس الامفكتيونية .

وعند ذلك ، وجد فيليب نفســه على أبواب اقليم بيوتيا ، فتقدم فى اتجاه ممر الترموبيلاى لعبوره والاستيلاء على ذلك الاقليم .

ولكن الأثينيين سبقوه الى احتلال هذا الممر ، فقفل راجعا الى تساليا سنة ٣٥٢ ق.م .

صراع فيليب ضد أولنثوس Demosthenes

(٣٤٧ ق.م)

أحست المدن اليونانية الكبرى باطماع فيليب فى بلادها ، ولكنها لم تكن تملك من أسباب القوة ما يمكنها من التصدى له ، اذ أن طيبة قد انهكتها الحروب الاخيرة كما أن اسبارطة لم تكن تهتم بسوى المحافظة على استقلالها ، معتمدة على كونها بعيدة عن اطماع فيليب وان قسم البلوبونيز يتمتع بحصانة طبيعية ، أما اثينا فقد انغمس شبابها فى حياة الفسق والمجون .

ولكن شاء القدر أن يظهر فى أثينا فى ذلك الوقت زعيم وطنى يسمى ديموسثنيس Demosthenes

لقد كان هذا الرجل خطيبا مفوها ، تمكن بخطبه من حث اليونانيين على توحيد صفوفهم للتصــدى للخطر الناجم عن اطماع فيليب فى بلاد اليونان .

وفى عام ٣٤٧ ، قام فيليب بالاستيلاء على بعض مدن اولنثوس ، التى استنجدت باثينا التى ارسلت بضــعة آلاف من الجنود وبعض السفن لمعاونتها ولكن فيليب نجح فى شراء ذمم قادة اولنتوس ففتحوا له ابوابها ، فأباح المدينة للسلب والنهب وباع أهلها بيع السلع ، واقام احتفالات عظيمة دعا اليها جمع غفير من معظم انحاء المــدن اليونانية ، فاكرم وفادتهم .. وجعلهم يسبحون بحمده مما أجهز على البقية الباقية من آيات الوطنية عند سائر مدن اليونان .

صلح مقدونيا وأثينا
(٣٤٦ - ٣٣٩ ق.م)

لقد فشلت أثينا في انقاذ اولنثوس من براثن فيليب ، ورأى ديموسثنيس أنه لا فائدة من مواصلة الصراع ، لأنهم لا يملكون امكانياته . ولذلك نراه يسرع في طلب الصلح مع فيليب ، على أساس أن يكف كل من الطرفين عن الحرب ، ويبقى في حوزته كل ما فتحه من البلدان . ويخرج عن هذا النطاق اقليم فوكيديا الذى كان لفيليب فقط حق تأديبهم .

وبمجرد توقيع الاتفاق ، تلقى فيليب صرخة استنجاد أخرى من كهنة المعابد ، فتوجه على الفور الى ممر الترموبيلاى فاستولى عليه ، ثم اتجه الى فوكيديا حيث دمر مدنها ، وبدد شمل أهلها ، وبذلك نجح في كسب قلوب كهنة المعابد ليسخرهم فيما يريد تحقيقه من اطماع .

ولما كانت مطامع فيليب لا تقف عند هذا الحد ، فقد كان لزما الا يبقى الصلح الذى وقعه مع أثينا طويلا ، وخاصة أن الوطنيين الاثينيين كانت تنعشهم بقية أمل في التصدى لهذه الاطماع الفيليبية .

وحينما شرع فيليب في مد نفوذه على بقية المدن اليونانية ، أعلن حمايته لمسينيا عام ٣٤٥ ق.م . وفى تلك الأثناء قام ديموسثنيس بجولة في أنحاء البلوبونيز كشف فيها عن نيات فيليب ، كما حض أثناءها دول المنطقة على التحالف مع أثينا للتصدى لاطماع فيليب المقدونى .

وفى عام ٣٤٣ حاول فيليب الاستيلاء على برزخ كورنثه للسيطرة على أبواب البلوبونيز ولكن أثينا ارسلت قوة قامت بتحصين مدينة ميجارا ، وقد دفع ذلك التصرف فيليب الى توجيه قواته العسكرية الى اقليم اكارنانيا لفتح طريق آخر الى اغريقية الجنوبية ، ولكن القوات الاثينية كانت متيقظة لذلك ، فتصدت له مما اجبره على الانسحاب .

ومعنى ذلك أنه لم تكن هنالك معارك حاسمة بين الطرفين ، ولم يكن هناك سلام حقيقى أيضا ، الى أن حان الوقت الذى وحدت أثينا املاكها

وتجارتها وموارد رزقها فى الميزان ، حينما قام فيليب بمد نفوذ مقدونيا على ترافيا وبعض المستعمرات اليونانية حتى قارب بيزنطية .

لذلك نرى ديموستنيس يحاول تأليب المدن اليونانية وكذلك الفرس ضد فيليب ، الى أن نجح فى تكوين جيش اثينى يعاونه بعض الفرق الفارسية التى رأت فى سلوك فيليب تهديدا لاملاكها ، وتحركت هذه القوات لتخليص بيرتنوس وبيزنطية من مطامع فيليب ، وقد انتصر الجيش الاثينى على جيش فيليب ، الذى اضطر للانسحاب على مضض عام ٣٣٩ ق.م. وظل يتحين الفرصة لرد اعتبار مقدونيا ، وقد تحقق له ذلك فى معركة خيرونيا .

معركة خيرونيا (٣٣٨ ق.م) :

اتيحت الفرصة لفيليب للتدخل فى شئون بلاد اليونان الوسطى ، حينما استغاث به أفراد الجمعية العمومية للكهنة . وعهدوا اليه بقيادة جيوشها ضد الفوكيديين الذين سطوا على معابد الارباب ولكنه بدلا من أن يؤدب اقليم فوكيديا . استولى على مدينة ايلاتيا مفتاح بيوتيا واغريقية (اليونان) الجنوبية .

ولذلك نرى ديموستنيس يسافر فورا الى بيوتيا ، ويقنعها بالتحالف مع أثينا ، ونجم عن ذلك أن تحركت قوات طيبة وأثينة لملاقاة قوات مقدونيا فى معركة حامية الوطيس فى خيرونيا بالقرب من طيبة . وانجلت المعركة عن انتصار فيليب ، ومصرع حوالى ألف من الأثينيين . كما خسرت طيبة فرقتها العسكرية كاملة واستولى فيليب على قلعة كدميا ، وترك بها حامية مقدونية وصارت له بذلك السيادة على مدن بيوتيا ، قاضيا بذلك على سلطان طيبة .

أما أثينا فقد عقد فيليب معها اتفاقا ، أحسن فيه معاملتها ، وترك لها السلطة على بعض المدن والجزر اليونانية .

استعدادات فيليب المقدونى للقضاء على الفرس :

(٣٣٨ ـ ٣٣٦ ق.م)

حينما تحقق لفيليب الفوز على اليونانيين ، بدأ فى السعى حثيثا لتوحيد كلمة اليونانين لتحقق أهدافه التى تبدأ بالقضاء على قوة الفرس ، ولقد ساعده سلوكه على ذلك ، فقد كان واضحا من تصرفاته ، أنه لم يسع الى فرض ضرائب على الدول المقهورة بل كثيرا ما دعا هذه الدول الى جمع كلمتها ضد الفرس للقضاء على سلطانهم . وقد انعقد لذلك مؤتمر فى كورنثه حضره مندوبون من جميع المدن الاغريقية ماعدا اسبارطة وقد رحب المؤتمر باقتراح فيليب لتوحيد كلمتها وعقد لواء القيادة العامة له عام ٣٣٧ ق.م .

وعاد فيليب الى مقدونيا ليعد للامر عدته . وبينما هو فى نشوة النصر هجم عليه أمير مقدونى بسيف وضربه ضربة اردته قتيلا وكان قد بلغ من العمر ٤٦ عاما . وقد خلفه على العرش ابنه الاسكندر الأكبر .

الاسكندر الأكبر
وتكوين الامبراطورية الهللينية

ولد الاسكندر عام ٣٥٦ ق.م ـ ويقال انه ـ تربى تربية جيدة على يد رجال قديرين أمثال ارسطو طاليس وليونيداس وغيرهم . فشب الاسكندر على حب الالعاب الرياضية والشجاعة الذاتية وحب الفروسية واقتحام الاخطار .

ويقال أيضا أن ثقافة الاسكندر كانت يونانية وانه كان ذكيا ، ذا صفات كريمة تقترن بحدة الطبع وحب سفك الدماء . وقد كانت القسوة تنقلب الى ضرب من الجنون اذا انتشى ولعبت الخمر برأسه ، وليس أدل على ذلك أنه قتل صديق أبيه كليتوس وكثيرين غيره وهو فى حالة سكره .

وقد تولى الحكم عام ٣٣٦ ق.م. ومات عام ٣٢٣ق.م ، ويقال ان سبب موته أنه كان شرها فى الطعام والشراب وانغماس فى الملذات ، أعقبتها حمى أودت بحياته .

وعلى كل فيمكن للمؤرخين أن يستبينوا ثلاث أدوار من حكمه :

الدور الأول : (٣٣٦ ـ ٣٣٤ ق.م)

وهى الفترة التى يمكن اعتبارها فترة اخماد ثورات بلاد اليونان التى وجدت أن الفرصة سانحة بعد موت أبيه للتحلل من ارتباطاتها ، فقد ثارت طيبة وحاصرت القوة المقدونية الموجودة فى كدميا ، وغيرت نظام حكومتها وقام ديموستنيس باهداء قاتل فيليب تاجا من الذهب .

ولذلك نرى الاسكندر ينتقل الى اغريقية (بلاد اليونان) الوسطى ، ويعقد مؤتمرا فى كورنثه يحضره مندوبو المدن اليونانية ليجددوا له لواء القيادة . وبقى بعض الوقت هناك ثم غادرها عام ٣٣٥ ق.م للقضاء على ثورة فى تراقيا .

انتهز الطيبيون هذه الفرصة ، فقتلوا ضباط الحرس المقدونى ، بعد أن شاع خبر مصرع الاسكندر ، ولذلك نرى الاسكندر يسرع بالعودة الى جنوب اغريقية على رأس قوة كبيرة ، ويقوم بسحق الثوار ، ويدمر طيبة ويأسر ٣٠،٠٠٠ رجل باعهم فى اسواق النخاسة .

ثم قام بتعقب الحزب الوطنى الاثينى ونفى بعض أفراده ، وعاد الى مقدونيا بعد أن ترك قوات عسكرية فى مدن اليونان .

الدور الثانى : (٣٣٤ ـ ٣٢٥ ق.م)

وهى حقبة فتح الأقاليم البحرية فى آسيا الصغرى ولتحقيق ذلك توجه الاسكندر على رأس جيش من ٣٥،٠٠٠ مقاتل من المشاة والفرسان الى هناك ، تاركا جزءا آخر فى مقدونيا تحت امرة نائبه . وكان هذا التحرك بعد أن نمي الى علم الاسكندر حالة الفوضى والاضطراب التى كانت تسود بلاد الفرس بعد مقتل مصلحها اردشيردرازدشت الثانى .

وقد كانت خطة الاسكندر فى هذه المرحلة تقضى بالاستيلاء على اقاليم آسيا الصغرى البحرية حتى يمكنه تأمين طرق المواصلات الى أوربا . ومنع

الملك الفارسي من الاتصال بالمدن اليونانية لاثارة شعبها ، بعد أن يقتطعوا منه المدن الاغريقية الفينيقية التى تمد الفرس بالسفن والرجال لتحقيق مآربهم .

ولتحقيق هذه الخطة عبر الاسكندر البحر الى آسيا الصغرى حيث التقي بجيوش الفرس فى معركة كبيرة عند نهر غرانيكوس عام ٣٣٤ ، حيث تمكن الاسكندر من القضاء على الجيش الفارسي والاستيلاء على الجزء الغربى من آسيا الصغرى .

ولكن تلك الهزيمة لم تفت فى عضد الملك الفارسى دارا الثالث ، الذى جمع جيشا لمواجهة القوات اليونانية بقيادة الاسكندر . وكان الصدام الثانى فى سهل ايسوس فى مقاطعة كيليكيا بآسـيا الصغرى عند مضايق جبال طوروس ٣٣٣ . وهزم الجيش الفارسى وفر قائده وغنم جيش الاسكندر أموال الملك المهزوم وأسرته التى وقعت فى الاسر .

وحينئذ سنحت الفرصة للاسكندر لمواصلة زحفـه جنوبا فى أراضى سوريا وسار على سواحلها واستولى على فينيقيا بعد مقاومة عنيفة ، مما دفعه الى أن يصب جام غضبه عليها ، فذبح من أهلها ٨٠٠٠ وباع ٣٠٫٠٠٠ منهم فى سوق النخاسة .

وقد فعل نفس الشيء بغزة عندما واصل زحفه الى فلسطين ، اذ ربط حاكم غزة فى ذيل حصان طاف به حول آسوار المدينة سـبع مرات أودت بحياته . ويبدو أن أهل فلسطين وعلى الأخص بيت المقـدس قد رحبوا بالاسكندر لأنهم وجدوا فيه خلاصهم من الطغيان الفارسى .

وبعد ذلك اتجهت قوات الاسكندر الى مصر التى فتحت أبوابها لهذا الملك أملا فى أن يخلصها من الطغيان الفارسى . ولقد كان الاسكندر حصيفا لأنه قدم القرابين الى معبودات المصريين ليتوجـوه ملكا على مصر دون

منازع . وقبل ان يغادر الاسكندر مصر ، اختط مدينة (1) عظيمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط أطلق عليها اسم الاسكندرية عام ٣٣٣ ق.م .

وبعد أن اطمأن الاسكندر الى توطيد أقدامه فى مصر ، رحل عام ٣٣١ ق.م فى اتجاه بلاد العراق ، مخترقا سوريا ، وبعدها عبر نهر الفرات ودجلة بدون عناء . وهناك وبالقرب من اربللا Arbella تلاقى جيش الاسكندر مع جيش الفرس بقيادة دارا الثالث فى معركة عنيفة انتهت بهزيمة الفرس وفرار ملكهم . ولقد كان النصر الذى حققه الاسكندر بعد عناء شديد دافعا له الى أن يترك المدن التى فتحها (وهى بابل ، وشوش وبرسوبوليس مقر ملوك فارس ومقبرة أجدادهم) مباحة للنهب والسلب والاحراق ، بعد أن استولى على كنوزها وأموالها .

وبعد أن اطمأن الاسكندر الى توطيد أقدامه هناك خرج لمواصلة فتوحاته فى الشمال والشرق (٣٣٠ — ٣٢٥ ق.م) ، وبحثا عن دارا الثالث للقبض عليه خشية أن ينظم مقاومة جديدة ضده .

وأثناء ذلك علم الاسكندر مصرع الملك الفارسى على يدى أحد ضباطه فحزن لذلك وشيع جنازته وأمر بالقبض على قاتله وتسليمه الى أهل دارا فقتلوه شر قتلة .

لقد نجح الاسكندر فى تأديب رجال القبائل الذين كانوا يقطنون الجبال حول بلاد فارس فى عام ٣٢٧ ق.م . ثم عبر جبال الهملايا الى الهند واستولى على البنجاب ، وعند ذلك الحد ، بدأ جنوده فى التمرد والتذمر لسأمهم حياة الحروب ولذلك قرر الاسكندر التوقف والعودة الى صوصة عام ٣٢٥ ق.م حتى أقام هناك .

---

(١) مكان قرية راقوده القديمة .

الدور الثالث : (٣٢٥ ـ ٣٢٣ ق.م)

وهو عصر الأعمال السلمية للاسكندر وتتلخص فى محاولة الاسكندر ارغام اليونانيين والمقدونيين والفرس والكلدانيين والآشوريين على التصاهر وقد بدأ بنفسه اذ أنه تزوج ابنة الملك الفارسي دارا ، وكذلك ابنة عظيم فارس ، ثم حث جنوده على اقتفاء أثره ووعدهم بالمكافآت السخية ، ثم اتجه بعد ذلك الى محاولة اجتذاب قلوب الشباب الفارسي فأدخلهم كجنود فى جيشه استرضاء لهم . كما حمل اليونانيين والمقدونيين على استيطان هذه البلاد وشيد عدة مدن كبيرة سميت كل منها باسم الاسكندر .

ومن بين هذه المدن سمرقند بالتركستان ، وهرات وقندهار وحيدر آباد بالهند وذلك غير مدينة الاسكندرية المصرية التى سبق أن أشرنا اليها.

موت الاسكندر الأكبر :

سبق لنا القول بأن الاسكندر وجنوده قد انغمسوا فى حياة الملذات والترف ، وكانوا يسرفون فى الشراب ويقال انه بسبب ذلك ، أصيب الاسكندر بحمى شديدة فى عام ٣٢٣ ق.م فى مدينة بابل وانه مات فى نفس العام عن ٣٢ سنة بعد سنوات حافلة بالصراع والحروب تاركا دولة مترامية الأطراف . وبعد أن حاول المزج بين الاسيويين والأوربيين ، وصبغ البلاد التى فتحها بالصبغة اليونانية .

انهيار الامبراطورية الهللينية

أسباب الانهيار :

« فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد » .

والشرك ظلم عظيم ، فالمجتمع الهللينى كان مجتمعا كافرا ، ادعى حكامه الألوهية والربوبية ، كما دعوا لأنفسهم حق وضع التشريع والمنهاج الذى تسير عليه البشرية .

فلا عجب اذن أن يتسرب الفساد الى ارجاء الدولة الهالينية فى وقت ترامت فيه أطراف الامبراطورية واتسعت أراضيها ، وتعددت الأجناس التى كانت تعيش فيها . وطمع قواد جيوش الاسكندر فى الاستقلال بالاقاليم التى كانوا يديرونها وبقاء شعار القومية علامة مميزة للشعوب التى جمعتها امبراطورية الاسكندر .

وتمتد الفترة التى انهارت خلالها الامبراطورية من عام ٣٢٣ الى ٢٢٧ ق.م ، يمكن تمييز أربع مراحل رئيسية لها :

المرحلة الاولى : ٣٢٣ ــ ٣١٦ ق . م

وهى المرحلة التى تولى فيها الحكم ابن الاسكندر تحت وصاية عمه الضعيف الذى دفع أحد قواد الاسكندر واسمه برديكاس الى سلب السلطة الحقيقية والسيطرة على الأمور فى البلاد .

ولقد انتهج هذا القائد : أسلوبا فى حكم هذه الدولة المترامية الأطراف وهو العهود الى أصدقائه بادارة الاقاليم نوابا عنه ، ومن هؤلاء الاصدقاء من كان يحكم مقدونيا واليونان ، وبطليموس الذى كان يحكم مصر ، وثالث كان يحكم فريجيا ورابع على بونتوس وخامس على تراقيا .

وقد كان هذا النظام كفيلا ببث عوامل الانحلال فى كيان الدولة ، اذ بدأ حاكم كل اقليم يفكر فى الاستقلال باقليمه ، كما قامت الثورات من أجل تحقيق ذلك ، وقد نجح برديكاس فى القضاء على ثورات المدن اليونانية ، وبينما كان فى طريقه الى مصر لتأديب بطليموس قتله جنوده .

ولقد نجح خلفاء برديكاس فى المحافظة على النظام فى الدولة لمدة خمس سنوات ، بهمة أحد القادة الفارسى المولد من سلالة الاسكندر ، ولكن أحد القادة تآمر ضده وقتله فى محاولة لتحقيق أطماعه هو الآخر مما أدى الى أن تعم الفوضى والاضطراب جميع أرجاء الدولة .

المرحلة الثانية : (٣١٥ ـ ٣٠٦ ق.م)

وهو ما يطلق عليه عصر الفوضى والاضطراب فى دولة الاسكندر ، وقد بدأ بصرع من تبقى من أسرة الاسكندر وبعد ذلك ساد الخلاف والحسد بين القواد ، نجم عنه معارك انتهت بعقد صلح عام ٣١١ ق.م يخول لكل قائد الحق فى حكم ما تحت يديه من البلدان ، دون أن يكون لأى منهم الحق فى انتحال لقب ملك ؛ وان كان ذلك لم يمنع بعضهم من ذلك .

المرحلة الثالثة : (٣٠٦ ـ ٣٠١ ق.م)

وهى المرحلة التى قام فيها أحد القواد الحاكمين فى المدن اليونانية (انتيجونس) بالاستيلاء على أثينا وكورنته عام ٣٠٣ ق.م. وكذلك الجزر البحرية فأصبح سيدا على البحر بفضل الأسطول المصرى الذى أسره فى جزيرة قبرص ، مما دفع القواد الآخرين الى التحالف ضده للتصدى لأطماعه . وقد انتصروا عليه وقتلوه فى موقعة ايبسوس عام ٣١١ ق.م ، وقبضوا على ابنه حتى مات عام ٢٨٣ ق.م.

المرحلة الرابعة : (٣٠١ ـ ٢٧٧ ق.م)

وهى مرحلة الصراع بين القواد والتى انتهت بانقسام مملكة الاسكندر الى ثلاث ممالك : مصر ، فى افريقية ، ومملكة سوريا فى آسيا ومملكة مقدونيا واليونان فى أوربا .

وسوف نقتصر حديثنا فى السطور التالية على أحوال مملكة مقدونيا واليونان من موت الاسكندر الى الفتح الرومانى .

مقدونيـا :

بقيت مملكة مقدونيا حوالى ١٧٠ عاما يتسم خمسون منها بالفوضى والاضطراب وخمسون أخرى بنوع من الاستقرار أما البقية الباقية فقد كانت الفترة التى تصادمت فيها مع روما وانتهت بخضوعها لها .

اليـونان :

أمضت المدن اليونانية فترة من الوقت نهبا للفتن الداخلية والحروب الأهلية بين الفقراء والأغنياء وعلى الأخص فى البلوبونيز . كما أمضت وقتا آخر فى النضال ضد أطماع روما التى كانت تسعى الى بسط سيطرتها على بلاد اليـونان . وانتهى الأمر وأصبحت اليـونان مستعمرة رومانيـة عام ١٤٦ ق.م .

أثر حضارات بلاد الشرق الادنى القديم
فى
حضـــارة بلاد الاغريق

مما لا شـك فيه أن مراكز المدنيـات والحضارات القديمة فى مصر والعراق والشام وآسيا الصغرى كانت تعرف بلاد اليونان منذ زمن بعيد على اعتبار أن الأخيرة تشترك مع بعض هذه الأمم فى الاطلال على حوض مائى كبير يضم البحر المتوسط والبحر الايجى . وعلى اعتبـار أن بلاد اليونان هى المحطة البحرية الأولى التى يلتقى بها الانسان عند ابحاره من سواحل مصر وفينيقيا وآسيا الصغرى الغربية .

ولقد ترتب على هذه المعرفة نوع من الاتصال السياسى أو التجارى أو العسكرى أو الثقافى أثمر نوعا من التأثيرات المتبادلة . كان الفضـل الأعظم فيها لأمم الشرق الأدنى القديم . وكان هذا الاتصال يتم عن طريق القوافل البحرية التى كانت تخرج من سواحل مصر . وفينيقيا وآسـيا الصغرى متجهة الى بلاد اليونان عن طريق قبرص وجزر البحر الايجى . أو عن طريق آخر وهو الهجرات الشعوبية التى خرجت من آسيا عن طريق مجاز البوسفور مخترقة تراقه ومقدونيا . أو عن طريق المستعمرات اليونانية التى أنشئت على ساحل افريقيا الشمالى وسواحل بلاد الشام وسواحل آسيا الصغرى وغيرها .

فمثلا فى عهد بسمتيك الأول (٦٦٥ ـــ ٦٦١) وأحمس (٥٧٠ ق.م) وبسمتيك الثانى انتشر اليونانيون منذ القرن الثامن قبل الميـــلاد كجنود مرتزقة أو كتجار سمحت لهم الظروف بانشاء مدينة على النمط اليونانى بالقرب من مصب النيل (نفراتيس أى ملكة البحر) كان لها حقوق واسعة فى الحكم الذاتى كما استقر عدد منهم فى أحياء خاصة بهم فى المدن المصرية فى ممفيس . وذلك بالاضافة الى غزو الاسكندر الأكبر لبلاد الشرق وتفتح عينيه ومن معه على منابع الحضارات القديمة . وكذلك اتصـــال الاغريق بمصر عن طريق مؤرخيها الذين اتصلوا بأهلها واطلعوا على أحوالهم ، والنواحى الحضارية هناك فنقلوها الى بلاد اليونان مشافهة أو عن طريق مؤلفاتهم .

ونظرا لأن الفينيقيين قد ضربوا بسهم وافر فى مجال النشاط البحرى فقد كانت لهم مراكز تجـــارية متناثرة على شواطىء جزر البحر الايجى وشواطىء شبه الجزيرة اليونانية الشرقية والغربية . بل انها كانت تسيطر على تجارة البحر الأبيض فى الفترة من ١٠٠٠ ـــ ٧٠٠ ق.م وكان للفينيقيين مراكز تجارية فى رودس وخليـــج فورنت . وليس من المستبعد أن يكون الفينيقيـــون قد اســـتثمروا منـــاجم الذهب فى جزيرتى (سيفنوس) و (تاسوس) .

ومن أهم الأســـاطيل التجارية التى كثرت تنقلاتها خلال جزر البحر الايجى وسواحل شبه الجزيرة اليونانية أساطيل صيدا وصور .

ومن المواد الخام التى كان يتم البحث عنها فى بلاد اليونان : معدن الفضة الذى كان يجرى تعدينه من جزيرة تاسوس جنوب طراقية ، وكذلك نوع من المحار البحرى الذى يستخرج منه صباغة حمراء معينة تستعمل فى صـــبغ الملابس من سواحل كريت ولاكونيا فى جنوب شـــبه جزيرة البلوبونيز . وذلك بالاضافة الى محاصيل البلاد الأصلية ومنتجاتها مثـــل الخشب والقمح والفخار والنبيذ .

ويتم تبادل ذلك فى مقابل منتجات الشرق من منسوجات وغيرها (١) . ولكن ما هى التأثيرات التى تركتها حضارة شعوب الشرق فى حضارة بلاد اليونان ؟

١ ــ أثر حضارة مصر القديمة فى حضارة بلاد اليونان :

(أ) فى مجال العمارة : تأثرت العمارة اليونانيــة بالعمارة المصرية فقد أخذت الأولى عن الثانية بنــاء القاعات الفسيحة التى تستند سقفها وأعقابها على أعمدة تنتهى بتيجان مشكلة على هيئة زهرة البردى أو اللوتس أو قمة أشجار النخيل ويرى الأثريون أن العمود الدورى اليونانى قد أخذ عن العمود المصرى البروتودورى الذى ظهر فى مصر قبل ظهوره فى بلاد اليونان بعدة قرون .

(ب) فى مجــال النحت : تأثر فن النحت الاغريقى بفن النحت المصرى وخاصة فى مجال نحت التماثيل .

(جـ) صناعة النسيج وسبك المعادن ونقش العاج .

(د) مذهب أورفيوس وما تضمنه من اعتقاد الحساب بعد الموت ، ويقول هيرودوت وبلوتارخ أن هــذا المذهب قد اقتبس من عادة ايزيس وأوزوريس عند المصريين .

---

(١) وتساءل المؤرخون عن أسباب الاتصال وتوصلوا الى أن الدافع الى ذلك هو الرغبة فى خلق أسواق تجارية لتصريف منتجات الشرق الادنى القديم وبلاد اليونان ، وللحصول على بعض المواد الخام الغير متوفرة هناك وقد يكون السبب استراتيجيا لخلق نوع من التحالف كما حدث بين مصر وكريت لصد هجمات شعوب البحر . وقد عثر فى معبد الكرنك بمصر علــى لوحة تحوى نصا يمتدح أم الملك أحمس (١٥٧٠ ق.م) طارد الهكسوس : « امدخوا ســيدة البلاد وسيدة جزر البحر الابيض فاسمها محترم فى جميع البلاد الاجنبية .. الخ وقــد رأى ادوارد ماير فى كتابه التاريخ القديم من أن أصل هذه الملكة كريتى أو تزوجت ملك كريت على اعتبار أن كريت كانت مركز حضارة البحر المتوسط وأراد أن يرى فى ألقابها ونقوش حليها التى عثر عليها فى قبرها ما يؤيد كلامه اذ أن بعض هذه الحلى وعلى الاخص خنجرها بالرغم من أنها صناعة مصرية الا أن أثر الفن الايجى ظاهر فى شكلها وزخارفها .

وذلك غير التأثير المصرى فى الفكر اليونانى ، بما تلقاه علماؤها من علوم فلكية وجغرافية وعلمية وأدبية أو فلسفية عن مصر ، تركت آثارها واضحة فى جميع جوانب الحياة اليونانية لا يتسع المجال لسردها .

وتحكى أساطير اليونان أن قدموس مؤسس مدينة طيبة وداناوس جد حكام ارحوس يرجع أصلهما الى مصر . بل ان صولون وأفلاطون فيثاغوراس وطاليس [1] وديمقريطس قد زاروا مصر ولا شك قد تأثروا بحضارتها وتقدمها فى مجال العلوم والفنون . وفى ذلك يذكر صولون أن أحد الرهبان المصريين قال له : « أنتم أيها اليونانيون لستم سوى أطفال ثرثاريين ، مغرورين ، لا تعرفون شيئا عن الماضى » .

كما كان اليونانيون يستوردون ورق البردى « بابيروس » من مصر عن طريق جبيل .

٢ ــ أثر حضارة الفينيقيين فى حضارة بلاد اليونان :

(أ) الأبجدية الفينيقية (أ بجدية جبيل) أو حروف كادموس : وقد أخذها الاغريق وأضافوا اليها بعض الحروف المتحركة لخلوها منها فى الأصل وذلك منذ القرن الثامن ق.م. تقريبا . وذلك لتكون اصول الأبجدية اليونانية منذ القرن السابع والمستقر الان على كتابتها من الشمال الى اليمين منذ القرن الخامس ق.م.

ويقال ان الأبجدية الفينيقية استمدت عناصرها من الخطين المصرى والبابلى . وكان عدد حروفها ٢٢ حرفا يرمز كل منها الى صوت مستقل . وتتميز عن الكتابة الكريتية فى كون الاخيرة تحتوى على ما يقارب التسعين اشارة لم يكتب لها الانتشار فى بلاد اليونان لصعوبتها .

---

(١) يقال أنه تعلم الهندسة فى مصر .

ودليل اقتباس اليونانيين للابجدية الفينيقية هى احتفاظهم بالاسماء التى أطلقها الفينيقيون على هذه الحروف فتراهم يقولون :

ألفا Alpha عن الألف ومعناه الثور ، لأن هذا الحرف يشبه قرن الثور .

بيتا Beta أى بيت لأن حرف الباء يشبه صورة البيت .

غـــاما Gamma وهي محرفة عن جمل أى الجمل فى اللغة الفينيقية .

دلتا Delta عوضا عن دالت ومعناها الباب .

زيتا Delta مأخوذة عن « زين » وهى الرمح .

يوتا Lota من يود أى اليد .

(ب) فى مجال الديانة : تأثرت الديانة اليونانية تأثرا كبيرا بالديانة الفينيقية مثال ذلك عبادة افروديت التى تشبه (عشتروت) عند الفينيقيين .

(ج) دويلات المدن : وهى الوحـــدات السياسية الصغيرة التى أخذها الاغريق عن هذه البلاد وتشترك مدن الساحل الفينيقى مع مصر وبلاد النهرين فى تأثيرها على جوانب الفكر اليونانى وفلاسفته بما أخذوه عن هذه البلاد من أفكار وأساطير وعلوم جغرافية وفلكية . فمثلا يقـــال أن « أرســـطو طاليس » (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق.م) قـــد تلقى علوم الرياضة والفلك من مصر وبابل وذلك بالاضافـــة الى التأثير الواضح فى مجال الصناعات والفنون الاغريقية المختلفة .

(د) صناعة السفن .

(هـ) الصياغة .

٣ ــ أثر الحضارة العراقية القديمة فى حضارة بلاد اليونان :

(أ) لقد أخذ اليونانيون عن العراق القديم نظام دويلات المدن وكذلك بعض التشريعات التى كانت سائدة فى ذلك الوقت .

(ب) كما أخذوا النظام الستينى للمقاييس والموازين . فوحدة الوزن الثقيل اليونانية تسمى « تالانتون » تتكون من ستين « منا » والمنا وحدة الوزن البابلية كانت تساوى ١٠١ر١ كيلو غراما .

كما انهم مزجوا بين النظام البابلى والمصرى فقسموا (المنا) الى ١٠٠ دراخما (١) أو ٥٠ ثقلا عوضا عن ٦٠ .

(جـ) الساعة المائية والشمسية (عن البابليين) .

(د) مبادىء الفلك وآلات الرصد والجداول الفلكية والخرائط الجغرافية .

(هـ) نحت التماثيل الحيوانية ونقش الافاريز .

وقدكان اقتباس اليونانيين لهذه العناصر الحضارية عن طريق شعوب آسيا الصغرى التى كانت على اتصال دائم بالبابليين والاشوريين .

ليـــديا :

وقد كانت المدرسة التى أخذت عنها بلاد اليونان نظام التامل بالعملة النقدية مما كان له أثر كبير على نظام المعاملات داخل المجتمع اليونانى وقد أدخلها اليها الزعيم فيذون (لأن الليديين أول من ضرب النقد حوالى ٦٨٠ ق.م) وكانت تتكون من سبائك من الذهب والالكترون (الذهب والفضة) مقسمة الى قطع متساوية فى الحجم والوزن عليها شارة خاصة كضمانة من الحكومة) .

فلا مبالغة اذا قلنا ان امم الشرق كانت أساتذة اليونانيين الذين صاروا فيما بعد أساتذة الغرب وان أمم الشرق مهدت لهم طريق الحضارة وارشدتهم الى ما يصلح شأنهم . ولقد عرف اليونانيون القدماء الفضل

---

(١) تعنى الكف أو الحفنة لان كل « دراخما » من الفضة كانت تساوى عندهم حفنة من قطع الحديد أو النحاس .

لأهله فتغنوا بمديحهم فى أناشيدهم واشعارهم وعزوا الى احد المصريين انه علمهم زراعة الكروم والزيتون واستخراج الزيت ، وانه أسس قلعة أثينا وما حولها من المنازل ، ونسبوا الى آخر أنه أسس مدينة ارجوس ، كما نسبوا الى أحد الفينيقيين أنه شيد قلعة كدميا وأقام حولها مدينة .

وسواء أكانت هذه الروايات صحيحة أو غير صحيحة فانها تدل على مدى الأثر الحضارى الذى تركه المصريون والفينيقيون وغيرهم فى ذاكرة أصحاب البلاد ففاضت قرائحهم مديحا وثناء لأصحاب الفضل عليهم .

من علمـــاء اليـــونان

فيثاغوراس :

يعتبره المؤرخون من أعظم الفلاسفة ، ولد فى جزيرة ساموس المقابلة لمدينة ميليتوس عام ٥٨٠ ق.م . ويقال أنه زار جزيرة العرب وسورية وبابل وانه زار مصر وتعلم من رهبانها كثيرا من المسائل الفلكية والهندسية .

وقد أسس مدرسة فى قروقونة بجنوب ايطاليا مـــوادها الدراسية : الهندسة ثم الحساب والموسيقى وأخيرا الفلسفة وكان على الطلاب ان يقضوا خمس سنوات قبل أن يسمح له بالاشتراك فى حلقة الاستاذ ــ يتلقون دون سؤال أو مناقشة .

وكانت هذه المدرسة تحتم على طلابها القسم بآلهتهم . وتطلب منهم أن يحاسبوا أنفسهم كل مساء ، وحظرت عليهم أكل الفاصوليا أو لمس ديك أبيض أو تحريك النار بالحديد وكذلك تحريم اللحم والبيض .

ولذلك اعتبر البعض فيثاغوراس رئيسا لجمعية دينية اخلاقية . وقد أسس جمعية دينية شيوعية انقلبت الى هيئة سياسية استخدمها النبـــلاء لتأييد الحكم الارستقراطى فأثار ذلك نقمة جماهير الشعب التى أشعلت النار فى المدرسة وحرقت أعضاء الجمعية ، ماعدا فيثاغوراس وعضـــوين استطاعا النجاة . ويقـــال ان فيثاغوراس قد مات فى جنوب ايطاليـــا عن ٨٠ عام .

وكان أهم موضوعات بحث فيثاغوراس كانت الرياضيات [1] (أو يقال انهم كانوا يتصورون بوصفها العلاقات أو النسب الموجودة بين الأشياء ، وكان فيثاغوراس يعتقد ان هذا العالم أشبه بعالم الأعداء منه بالماء أو النار أو التراب . وتصور الفيثاغوريون ان الأرض كوكب بين سائر الكواكب وقالوا أن الأرض تدور حول نار مركزية مع غيرها من الاجرام .

ان هدف الحياة فى فلسفة فيثاغوراس هو خلاص الروح من العودة الى الجسم وذلك عن طريق الفضيلة التى عرف بأنها انسجام الروح مع نفسها ومع الآله . ويمكننا احياء الوصول الى شيء من هذا الانسجام الروحى بالتأثير الخارجي واستخدام وسائل اصطناعية كأن تلجأ الى الموسيقى لتداوى الأمراض النفسية وقيل أن عدم الحكمة يقود الانسانية الى الفاجعة والعقاب ، وان الروح تهبط الى الجحيم لتطهر بالعذاب ثم تعود الى الارض لتتقمص جسما بشريا أو حيوانيا ولا تزال تتردد بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهيرها . ويقول فيثاغوراس أن البشر غرباء فى هذا العالم . والجسم مقبرة الروح . ولن لا يجوز لنا رغم ذلك أن نحاول التخلص من هذه المقبرة بالانتحار لاننا ملك الاله الذى يرعانا ، فلا يجوز بأن نهرب من الحياة دون أمر منه . ويقال أن فيثاغوراس قال « من الغرور ادعاء الحكمة ويكفينا شرفا أن نسعى وراء معرفة الحكمة — فكان أو من سمى نفسه فيلسوفا « أى محب الحكمة » .

وقد اقتبس افلاطون عنه فكرة الدعوة الى مجتمع ارستقراطى — شيوعى يتولى الحكم فيه الفلاسفة .

كسينوفانس :

نشأ فى مدينة « قولوفون » فى آسيا الصغرى .. ثم هاجر الى مدينة

---

(١) من أهمها نظرية المثلث القائم الزاوية التى ما زالت تعرف باسمه .

هيلى بجنوبى ايطالية (1) وهناك آسس تلامذة هذا الفيلسوف المدرسة الايلية التى ظهر منها المذهب المثالى .

هاجم هذا الرجل اشعار هوميروس وهسيودوس وانتقد ما تضمنته من عقائد دينية تتعارض مع العقل وتنافى الاخلاق لانها تنسب الى الآلهة كل الافعال التى تعتبر عارا وفضيحة بين البشر كافة . والزنا والغدر والكذب وهو يقول : لم يكن هناك ولن يكون أى انسان يستطيع أن يعرف بالتأكيد الأمور المتعلقة بالآلهة . فالبشر يتخيلون أن الآلهة تولد وترتدى الثياب وان لها أصواتا واشكالا مثلهم ص ١٥٧ .

كما عارض كسينوفانس العقائد الاورقية وتعاليم فيثاغوراس التى تستند الى الفكرة الصوفية والاسرار الغيبية والوحى الالهى وتخرج بذلك على قوانين العقل وكانت فلسفته تقوم على الاعتقاد باله واحد ، منزه كل التنزيهات عن صفات البشر ويتحدث هذا الفيلسوف عن الاله بوصفه الطبيعة وأحيانا أخرى عن الطبيعة بوصفها الاله . وعن هذا الفيلسوف يقول محمد كامل عياد فى كتابه ص ١٥٨ « ولا شك أن كسينوفانس قد لعب دورا كبيرا فى توجيه الفلسفة اليونانية وجهة عقلية ساعدتها على مقاومة العقائد الدينية وجعلتها قوة فعالة فى سبيل تقدم الحضارة والبحث العلمى » .

تاليس :

تبدأ الفلسفة اليونانية بأبحاث « تاليس » الذى ولد فى مدينة (ميليتوس) حوالى ٦٤٠ ق.م. والذى كان يرجع اصله الى الفينيقيين . وقد استمد (تاليس) ثقافته من مصر وبلاد ما بين النهرين ، فكان حلقة الاتصال فى انتقال الحضارة من الشرق الى الغرب .

---

(1) اشتهرت فى التاريخ باسم « ايليا » .

ومن المتفق عليه أنه هو الذى أدخل العلوم الرياضية والفلكية الى اليونان وتذكر الروايات أنه جعل الهندسة علما نظريا استنتاجا يقوم على براهين عقلية .

حرر المباحث الفلكية من الاعتقاد بالتنجيم وبذلك مهد السبيل لنشأة علم الفلك « تتلخص فلسفته فى ارجاع أصل كل الاشياء الى المـاء » (ص ١٤٤) . لقد تصور الأرض قرصا طافيا فوق الماء كجزيرة كبرى فى بحر عظيم . وهى تستمد من هذا المحيط اللامتناهى العناصر التى تفتقـد اليها . ويقرر بأنه ليس من فرق أساسى بين الموت والحياة . ولما أراد أحدهم احراجه وسأله : لماذا اذن تفضل الحياة على الموت ؟اجابه : لأنه ليس هناك من فرق بينهما ..

عندما سئل (تاليس) ما هو أصعب شىء ؟ قال : أن تعرف نفسك .

ما هو أسهل شىء ؟ قال : ان تنصح غيرك .

ما هو الآله : بقوله هو الذى ليس له مبدأ ولا آخر .

وعن كيفية الوصول الى أكثر ما يمكن من الفضيلة والعدالة ، قال اننا لا نبلغ ذلك الا اذا امتنعنا نحن انفسنا دوما عن الأعمال التى ننقدها عند الآخرين .

هيرودوت :

هو الملقب بأبى التاريخ . ولد بمدينة هاليكارناسوس سنة ٤٨٤ ق.م. سافر كثيرا بعد أن خرج من بلدته فارا من ظلم الحاكم الفارسى ، فزار مصر وآسيا . ثم عاد الى وطنه وبعدها قصد الى ايطاليا حيث شرع فى عمل تاريخه المشهور .

ويقع تاريخه فى تسعة اجزاء تكلم فيها عن الحروب الفارسية كموضوع أصلى وعن تاريخ الفرس والماذيين MEDES والمصريين . وغيرهم كمقدمات ومواضيع ثانوية .

وقد مات عام ٤٠٦ ق.م.

اسخيلوس :

شاعر يونانى برع فى تأليف الروايات المسماة عندهم تراجيديا (أى المأساة) ولد فى الفسيس عام ٥٢٥ ق.م . وشرع فى نظم الشعر وعنده من العمر خمسة وعشرون عاما . اشترك فى معارك كثيرة منها ماراتون وسالاميس وبلاتيه يقال أنه الف بين السبعين والثمانين رواية . هاجر الى صقلية بعد محاكمته وبقى هناك حتى توفى عن ٦٩ سنة .

سوفوكليس :

شاعر يونانى ولد عام ٤٩٦ ق.م فى قرية كولونوس بجوار آثينا . وقد بلغ عدد الروايات التى الفها حوالى نيفا ومائتين حتى عام ٤٤٠ ق.م انتخب عام ٤٣٩ ق.م قائدا من القادة العشرة ، واشترك مع بيريكليس فى غزو ساموس .

وقد نال عدة جوائز على رواية فى التراجيديا والكوميديا ، ويقال انه أقيم كاهنا فى أحد الهياكل لما طعن فى السن ، وانه مات عام ٢٠٦ ق.م .

سقراط :

أحد فلاسفة اليونان ولد بجوار أثينا عام ٤٦٩ ق.م . كان فى البداية يعمل نقاشا كأبيه ، ثم تركها وانصرف للدرس . وكان التعليم فى ذلك العصر منوطا بالفلاسفة والسفسطائيين . فسر تعاليم كل من الفريقين ، فلم يجد فى تعاليم الفلاسفة سوى مذاهب عديمة الاساس قليلة الفائدة لأنهم كانوا يهتمون اهتماما خاصا بتفسير طبيعة الاشياء وخلق العالم . وكان هو يرى أن صرف القوى العقلية فى مباحث غريبة عن أمور مجهولة لا يمكن الوصول الى معرفة حقائقها ضرب من الجنون لانها لا تؤثر شيئا فى سعادة الانسان بل تصرفه عن أمور كثيرة ينبغى أن تكون أساسا لهذه الحياة الدنيا . فلذلك لم يهتم بهذا النوع من الفلسفة وانقطع الى درس الحقائق العملية وترك التعاليم المجردة التى كان يهتم بها فلاسفة زمانه .

وأما السفسطائيون فلم يجد فى تعاليمهم غير انكار الحقيقــة وحب المجادلة فى الامور الادبية والسياسية فازدراهم وحكم بأن لنفوذهم شر تأثير فى الناس لانهم لا يحافظون على مبدأ واحد ويدخلون الريبة فى أهم الحقائق ولذلك لم يفتر عن مقاومتهم بقوة البراهين واحيانا بالاستهزاء والتهكم .

وكان يعلم بدون أجر ، وكان يوجه تلاميذه نحو التقوى ويحثهم على الاحتشام والتأدب وكبح جماح النفس ويحضهم على محبــة الوالدين والمحافظة على الشرائع . اشترك كجندى فى كثير من المواقع الحربية شهد له فيها بثبات عزمه ونشاط قوته .

وكان يدعى أن صوتا داخليا رافقه على الدوام منذ صباه . وهــذا الصوت الداخلى هو ما يعرف بالضمير . وكان يرمى بتعاليمه الى وجود فاعل مختار أعلى خلق العالم ونظم الكون . فرأى الشعب فى ذلك مساسا بمعتقداتهم وحطا من كرامة ديانتهم .. وكان يعجب من خضوع الأمة لحكام غير مدربين ولا محنكين فجر على نفسه غضب الحكومة وسخطها . وكما اتهم فى آخر حياته بالكفر والازدراء بالآلهة وافســاد الاحداث واحتكار النظام السياسى فى ذلك الزمن . وقد حوكم على ذلك وحكم عليه بالاعدام عام ٣٩٩ ق.م .

بقــراط :

طبيب يونانى لقب بأبى الطب . ولد فى جزيرة كوس سنة ٤٦٠ ق.م . أخذ الطب عن أبيه ــ جعل للامراض مصدرين : الهواء والغذاء . عرف أمورا كثيرة متعلقة بتركيب المخ والاحشاء . ومن رأيه دفع الأمراض بتقوية الجسم . وكان يفصد ويحجم ويكوى ويشخص الأمراض بسماعة ويسقى المريض مسهلات نباتية ومعدنية واستخدم الحقن وبرع جدا فى تشخيص الأمراض .

ويوجد ٧٢ كتابا عليها اسم بقراط ليس له منها الا البعض .

ثوكيديدس :

مؤرخ يونانى ولد فى أثينا عام ٤٦٠ ق.م . ولد فى أسرة ارستقراطية وورث عن أبيه ثروة كبيرة . تتلمذ على أيدى الخطيب انتيفون . وحضر على السفسطائيين .

وفى عام ٤٢٤ انتخب قائدا ، وكلف بالسير بأسطول لحماية سواحل تراقيا فوصل اليها متأخرا وعلى أثر ذلك اتهم بالخيانة فاعتزل عمله وهجر البلاد لمدة عشرين عاما سافر كثيرا وله مؤلف عن تاريخ حرب البلوبونيز . عاد الى أثينا عام ٤٠٤ ق.م . وقد اغتيل عام ٣٩٥ ق.م .

وقد طبع مؤلفه فى البندقية عام ١٥٠٢ م . وترجم الى لغات عالمية .

اريستوفانس :

كاتب يونانى اشتهر بتأليف الكوميديات ، ولد سنة ٤٥٠ وتوفى سنة ٣٦٨ ق.م . زاول مهنة التمثيل فى مسارح أثينا . وكان فى رواياته يحمل على رجال الدولة والفلاسفة والشعراء والشعب والمعبودات والاخلاق والعادات . ويقال ان عدد رواياته بلغ ٥٤ لم يبق منها الا احدى عشرة فقط وكلها كوميديات اجتماعية وسياسيه .

افلاطون :

من أشهر فلاسفة اليونان . ولد فى أثينا عام ٣٤٠ ق.م. ويقال انه كان ثاقب الفكر حاد الذهن مولعا بعلم الهندسة . درس الفلسفة وانكب على نظم الشعر . حضر على سقراط وهو فى سن العشرين لمدة ثمان سنوات . لما حوكم سقراط وحكم عليه بالاعدام حزن عليه وهاجر الى ميجارا مع نفر من تلاميذه وهناك درس المنطق ثم قام برحلات متتابعة لمدة اثنتى عشرة سنة، زار خلالها ايطاليا والتقى بفلاسفة المدرسة الفيثاغورية كما زار القيروان ومصر حيث تعرف على علومها . وبالاضافة الى ذلك زار صقلية عدة مرات

ثم عاد الى اثينا لينشىء مدرسته المعروفة « بالاكاديميا » التى تخرج منها الكثير من الفلاسفة ومنهم ارسطو طاليس .

ويقال ان افلاطون كان كثير التأمل والفكر . لم يتزوج قط . وحينما توفى عام ٣٤٨ ق.م كتب على قبره : « هنا وضع رجل الهى فاق الناس كلهم فى العلم والعفة والنباهة والأخلاق العادلة فكل من مدح الحكمة فقد مدحه اذ فيه أكثرها » وكتب عليه من جهة أخرى : « أيتها الأرض ان كنت قد داريت جسد أفلاطون فلا يمكنك الدنو من نفسه التى لا تموت » .

وقد ترك مؤلفات كثيرة ترجمت الى أكثر اللغات العالمية . ومن أدب افلاطون وعظاته : ما ألمت نفسى الا من ثلاث . غنى افتقر ، وعزيز ذل ، وحكيم تلاعب به الجهال . من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ، ذمك بما ليس فيك وهو ساخط عليك : رب مغبوط بنعمة هى بلاؤه ورب محسود على حال هى داؤه .

وقيل له : « من يسلم من سائر العيوب وقبيح الأفعال ؟ » فقال : « من جعل عقله أمينه وحذره وزيره . والمواعظ زمامه . والصبر قائده .والاعتصام بالتوقى ظهيره ، وخوف الله جليسه . وذكر الموت أنيسه » .

وسئل أى شيء انفع للانسان قال : « ان يعنى بتقويم نفسه أكثر من عنايته بتقويم غيره » .

وسأله تلميذه أرسطو طاليس : بماذا يعرف الحكيم انه قد صار حكيما ؟ فقال : « اذا لم يكن بما يصيب من الرأى معجبا . ولا لما يأتى من الأمر متكلفا ، ولم يستفزه عند الذم الغضب . ولا يدخله عند المدح النخوة .

اما فلسفته فتعرف بافلاطونية وتعاليمه فيها ليست واضحة تمام الوضوح . ويقال انه كان له اطلاع على أسفار موسى » .

ويقال ان « أساس فلسفته الأفكار وبها ارتقى الى الخالق تعالى » .

ارسطو طاليس :

يقال انه من أعظم الحكماء الأقدمين . ولد عام ٣٨٤ فى ستاييرا (أحد مدن جزيرة خلكيديكى . وتوفى فى خلكيس عام ٣٢٢ ق.م . درس على أفلاطون وتتلمذ عليه فى أثينا وأخذ عنه جميع علومه وخالفه فى مسائل استدركها عليه . وكان يقول : « انا نحب افلاطون ونحب الحق فاذا افترقا فالحق أولى بالمحبة » .

ترك أثينا وسافر الى ميتلينى ولسبوس حيث وصله خطاب من فيليب المقدونى يطلبه أستاذا لابنه الاسكندر الذى كان قد بلغ الثالثة عشرة من عمره . ويقال انه رافق الاسكندر فى كثير من أسفاره . ثم عاد الى أثينا سنة ٣٣١ ق.م وأنشأ مدرسة للحكمة . حدثت جفوة بينه وبين الاسكندر ــ والسبب كما يقال ــ عندما ساءت حاله وفسدت أخلاقه فى آخر أيامه. ومن النصائح التى وجهها اليه : كن عبدا للحق فعبد الحق حر . ومهما أخطأك شيء فلا يخطئك الفكر فى الرحيل عن هذه الدار ...

له مؤلفات فى العلوم والآداب ، وعلم المنطق والسياسة وتاريخ الحيوان والطبيعة والفلسفة العقلية والفصاحة وعلم الفلك .

فحص جوانب أخرى من العقائد ، ونظام الحكم ، والنظام الاقتصادى والاجتماعى الذى كان سائدا فى بلاد اليونان ، والأثر الذى تركته فى المجتمعات المعاصرة ، والمنهج الذى استخدم فى معالجتها ، مع تحليلها وتقييمها فى ضوء التصور الاسلامى للدراسات التاريخية .

وذلك

من خلال استعراضنا للكتب الخمس التالية :

١ ــ د . عبد اللطيف على ــ التاريخ اليونانى (العصر الهلادى) بيروت ١٩٧٣ .

٢ — ارنولد توينبى (ترجمة رمزى جرجس وتقديم د . محمد صقر خفاجه) الهللينية ، تاريخ الحضارة . القاهرة ١٩٦٣ .

٣ — ول ديورانت — قصة الحضارة — حياة اليونان .

٤ — محمد قطب — جاهلية القرن العشرين — دار الشروق .

٥ — أبو الحسن على الحسينى الندوى — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . بيروت ١٣٨٥ .

وأهم الموضوعات التى تقدم الدليل على صحتها من خلال الكتب الخمس ، يمكن تلخيصها فيما يلى :

المجتمع الهللينى مجتمع جاهلى مشرك :

لأنه كان لا يعبد الله ولا يوحده بل كان يعبد المدينة الدولة كما انه عبد الانسان فأقام بذلك مجتمع الطواغيت الذين ادعوا الألوهية والربوبية.

كان المجتمع الهللينى مجتمعا جاهليا مشركا لأنه اتخذ اربابا من دون الله وسمح للبشر أمثالهم ان يشرعوا لهم .

وضع المرأة فى المجتمع الهللينى :

المرأة تقترن بالبيت والمحراث والثور — المرأة أصل لكل الشرور زيوس غضب على البشر كافة وأراد عقابهم فأرسل اليهم امرأة تنشر الفتنة والفوضى والشرور — المرأة عديمة الأهلية القانونية . المرأة وسيلة لتحقيق مصالح مادية — عدم الأخذ بشهادة المرأة الا فى قضايا القتل — المرأة فى بيت زوجها تعيش عيشة لا تكاد تختلف عن عيشة الخدم .

المأبونون فى المجتمع الهللينى :

المجتمع الهللينى لا يستنكر العلاقات الشاذة بين الرجال — علاقة شاذة بين الفيلسوف سقراط والقائد الكبياديس — كتيبة عسكرية مقدسة يدرب أبناؤها على انماء عاطفة الحب المتبادل بينهم — الفيلسوف افلاطون

---

(١) اعتدنا فى محاضراتنا على استعمال لفظ هيلليني كمرادف للفظ اغريقى ويونانى .

ينظر الى الشذوذ بشيء من السماحة واللين ــ الفيلسوف ارسطو يقول ان الشذوذ شبيه بنتف لشعر أو قضم لاظافر . المرأة يمكن أن تكون موديلا أو غانية .

الزواج : وسيلة للثراء وللحفاظ على الدولة .

البغـــاء :

المجتمع الهلليني يسمح للرجل ان ينشيء علاقات مع النساء خارج نطاق الزواج بركليس حامى حمى الديمقراطية يتخذ محظية وينجب منها ابنا غير شرعى .

المجتمع الهلليني يحبذ البغاء .

المبادىء الأخلاقية والطباع :

اليونانيون لا أخلاق لهم ــ غش البضائع ســلاح رائج ــ اليونانى يخسر الكيل والميزان ــ الغدر والخيانة أسلوبهم فى التعامل مع الآخرين نقض العهود وقتل الوفود وخرق الاتفاقيات من صفات اليونانيين ــ حرق البيوت واتلاف المحاصيل الزراعية وابادة الحيوانات شرعية اليــونانى المنتصر .

الهلليني رجل شهوانى ولا يجد خطيئة فى ملاذ الجسم ــ الاثينى أزكى من أن يكون صالحا ويسخر من البلاهة أكثر مما يمقت الرذيلة . افلاطون يقول ان حب الثراء يستحوذ كل الاستحواذ على قلوب الرجال ــ وان الاثينيين حيوانات متنافسة ــ وانهم اذا عجزوا عن محاربة غيرهم تحاربوا فيما بينهم .

وأد الأطفال ــ الاجهاض :

المجتمع الهلليني يذكر بالأطفال الغير شرعيين ــ اباحة قتل الأطفال للحد من زيادة النسل ــ البنات أكثر تعريضا للموت ــ أفلاطون ينادى بتعريض

الأطفال الضعفاء للموت ومن يولدون من أبوين طاعنين فى السن الى الجو القاسى . ارسطاليس يدافع عن الاجهاض :

الفلسفة الهيللينية وما يمكن أن تحققه من قيم حقيقيه فى حياة البشرية .

الهلينيون يعتبرون فلاسفة اليونان نماذج انسانية للآلهة أحق بالتبجيل والفلاسفة يجردون أنفسهم من المشاعر الانسانية فى محاولة منهم للارتفاع بأنفسهم الى ما فوق مستوى البشر .

الديموقراطية الأثينية :

تحول الديمقراطية الاثينية الى زعامة عسكرية طفيلية تحتفظ برقيق الأرض ــ زعماء أثينا يعلنون أن أثينــا قد أصبحت دولة دكتاتورية وانه لا أمل لها فى الاحتفاظ بسلطتها الاستبدادية الا بانتهاج سياسة تقوم على الارهاب .

القانون الهلليني ــ والتفرقة العنصرية :

التشريعات الهللينية تشريعات وضعية لم تنجح فى حل مشاكل الناس ، التشريعات الهللينية تقصر الحقوق القانونية على الأحرار الذين لا يكادون يتجاوزون سبع السكان ــ التشريعات الهللينية تعتبر الأطفـال والنساء خارجين عن نطاق المواطنين أصحاب الحقوق . ليس من حق الأجنبى أن يرفع دعوى الى المحاكم بنفسه ــ اليونانى لا يشعر بأى التزام أدبى أو قانونى نحو الأجانب .

القضــاء :

كان يعتمد على طائفة النمامين الذى كان بيدهم اتهام الناس ظلمـا وعدوانا لا بتزاز أموالهم .

عدم قبول شهادة المرأة أو الرقيق ــ تشريعات صولون تعتبر ان العمل الذى يقوم به انسان تحت تأثير المرأة عمل باطل قانونا .

البرابرة :

كان الهللينيون يقسمون البشرية أيام سؤددهم الى هللينيين ويقصدون بذلك المتحضرين ثم الى برابرة . طبقات المجتمع الهللينى كانت تفتقر الى التجربة الدينية والى الاشباع الدينى . العبيد محرومون من أبسط حقوق الانسان ــ عدم سداد الدين يقود صاحبه الى الوقوع تحت سلطان الدائن يتصرف به وبأسرته كيفما يشاء .

التجار اليونانيون يشترون العبيد كما يشترون أية سلعة من السلع ويعرضونها للبيع ، وكان فى أثينة سوق يقف فيه العبيد متأهبين للفحص فيهم وهم مجردون من الثياب ــ أرسطو ينظر الى العبد على أنه آلة بشرية.

الأدب اليونانى :

فى معظمه أدب ساقط ، فالملهاة اليونانية لا تخلو من نابى اللفظ وبذىء العبارة والاسفاف ، بل هى لا تخلو من الأفعال الفاحشة .

نوادى العراة :

وكان الهللينيون لايتصورون قيام دولة ومدينة يونانية بدون جيمنازيوم أى نوادى العراة ــ الهللينيون يعبدون مدنهم على أنها آلهة .

لماذا شرعت الحروب فى عرف الهللينين ؟

للدفاع عن قضايا خاسرة ــ لاحرج فى قتل النفس البشرية بغير حق ــ القتل بسبب الكراهية الشخصية ــ قتل الدائن للتخلص من دفع الديون ــ الآباء يقتلون أبناءهم خوف الفقر ــ الفتك من أجل السلب .

مصدر الحروب هو الجرى وراء السلطان المنبعث من الشره والطمع ــ اضرام نار الحروب تحت شعارات المساواة والسياسية والديمقراطية

والارستقراطية ــ استخدام أية وسيلة للوصول الى السلطة . المنتصر حق النهب والسلب وذبح الأسرى أو اتخاذهم عبيدا .

التعليم فى المجتمع اليونانى :

تقدم الهللينيون فى العلوم التطبيقية .

عدم تحريم الخمر :

الهللينيون لا يحرمون الخمر ولا يستحون من السكر .

الحضارة الأوربية الحديثة هى وليدة الحضارة اليونانية والرومانية التى من خصائصها الايمان بالمحسوس وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس.

قلة الدين والخشوع :

الاهتمام الزائد بالحياة الدنيا ومنافعها ولذائذها .

النزعة الوطنية :

وعن سلوك الاوربيين فى العصر الحديث يقال بأن الاوربيين لا يختلفون عن اليونانيين فى مسلكهم .

أسباب انهيار الامبراطورية الهللينية :

ان الحضارة الهللينية انتحرت ولم تغتل . وسبب ذلك ان الهللينيين عجزوا عن تحقيق الوحدة السياسية بعد أن حققوا جانبا من التكافل الاقتصادى . وكذلك الحروب الأهلية والدولية التى أشاعت الخراب والدمار فى العالم الهللينى خلال حقبة تكاد تكون متصلة تقدر بأربعمائة سنة .

أرنولد توينبى يفترى على الاسلام والمسلمين :

وفى ختام عرضنا لهذه الموضوعات لا يفوتنا أن نوجه النظر الى فرية دأب أعداء الاسلام على ترديدها بين الحين والآخر ، وهى ان الديانة والحضارة الاسلامية هى فى الأصل نتاج حضارة هللينية وعبرية . وفى هذا يقول ارنولد توينبى فى كتابه 'الهللينية ، تاريخ الحضارة بالحرف الواحد :

« وعندما ما قهر العرب المسلمون كلتا الامبراطوريتين ، أمد المسيحيون الشرقيون الذين اعتنقوا دين الفاتحين الجديد ، أمدوا المسلمين بأصول علم لاهوتى اختص بهم وحدهم . »

« وبقى العالم الاسلامى يستشهد بأقوال أفلاطون وارسطو وابقراط وغالينى » .

ان الحضارة البيزنطية المسيحية ، والمسيحية الغربية والاسلامية فان ثلاثتهما جميعا قدمت الدليل على التأثيرات الهللينية التى انتقلت اليها عن طريق الديانات المسيحية والاسلامية وانه فى وسعنا فى واقع الأمر أن نصف هذه الحضارات الثلاث جميعها بأنها حضارات هللينية فضلا عن كونها حضارات عبرية » . (ص ٧٢٥) .

انه قد كان هناك بالفعل خطر وقيمة بالنسبة للأجيال التالية لما أسهمت به الحضارة الهللينية فى الأفكار والمثـل التى تضمنتها الديانة المسيحية والديانة الماهايانية وغيرهما من الديانات السامية وخاصة الاسلام والديانة الهندية المتأخرة عن البوذية وهى الديانات التى نشأت من تلاقى الحضارة الهللينية مع الحضارتين اللتين عاصرتاهما فى كل من كنعان والهند .

لقد كانت الفاسفة الارستطالية بمثـابة أداة فكرية على جانب كبير من الاصالة والقوة مما يحقق لها الحياة بعـد انحلال المجتمع الهللينى ، وأتاح لها أن تطبع بطابعها العالم الاسلامى ! !

ولدحض هذه الفرية لا يسعنا الا أن نطلب من القارىء أن يمعن النظر فى عرض تاريخ الحضارة الهللينية الوارد على الصفحات التالية نقـلا عن كتل ول ديورانت وارنولد توينبى بالاضافة الى ما أوردناه فى مذكراتنا نقلا عن المصادر الأخرى ، لكى يعلم تمام العـلم أن العرض الذى قدمه مؤرخو الحضارة اليونانية لا يمكن أن يسمح لأرنولد توينبى وغيره أن يخرج علينا بهذا الزعم : أن الديانة والحضارة الاسلامية هى نتائج الحضارة الهللينية .

ان القارىء سوف يوقن تمام اليقين بعد هذا العرض ، أن الاسلام لم يتأثر من قريب أو من بعيد بالديانة الهللينية أو العبرية ، بل كان نتاجا سماويا أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه بفضل نظم الاسلام وتوجيهاته قامت حضارة لها شخصيتها الاسلامية المتميزة .

الكتاب الأول :

د. عبد اللطيف علی ، التاريخ اليونانى (العصر الهللادى) بيروت ١٩٧٣

المرأة فى العصر الهللينى ! !

« لكننا نفهم من بعض شعراء القرن السابع من أمثال هيسيود وارخيلوخوس وسيمونيديس بأن المرأة لم تتبوأ مركزا رفيعا فى بعض المجتمعات اليونانية ، فيقرن هيسيود الزوجة بالبيت والمحراث والثور عندما يعدد الأشياء التى ينصح فلاح بويونيا باقتنائها . ويتحامل على المرأة فيصفها بأنها « هدية من زيوس الى البشر فى ساعة من ساعات غضبه (١) » . وهو صاحب أسطورة بندورا الشهيرة التى تجعل من المرأة أصلا لكل الشرور على الأرض (ص ٥٦ — ٥٧) .

ولم تتمتع المرأة الأثينية بحقوق الرجل السياسية . وكان مركزها القانونى أدنى من مركز الرجل ، بل كانت عديمة الأهلية القانونية فلا تستطيع ادارة الأعمال أو أداء الشهادة فى المحاكم أو أن تكون طرفا فى عقد قانونى . وكانت تظل تحت وصاية زوجها حتى مماتها أو تحت وصاية أقرب أقربائها من الذكور . وكان يجوز للأب فى حالة عدم وجود ورثة من الذكور أن يوصى بأملاكه وابنته لأى رجل يختاره . فاذا مات الأب دون وصية ، كان من حق أقرب الأقرباء أن يطالب بالزواج من الابنة

(١) وفى رواية اخرى أن زيوس غضب على البشر كافة وارد عقابهم بارسال امراة اليهم تنشر الفتنة والفوضى والشرور .

الوريثة . فاذا كانت الابنة قد تزوجت ، فعليها أن تترك هـذا الزوج ، وتتزوج أقرب أقربائها (١) ص ٥٩ .

كانت تعيش فى عزلة عن المجتمع ، وأنها كانت تعامل معاملة مهينة . لقد جاء فى بعض النصوص الأدبية ما يفهم منه أن المرأة كانت بطبيعتها دون الرجل كفاءة ، وأدنى منه منزلة ، وانها كانت وسيلة لا غاية ، وان الزواج لم يقم على عاطفة الحب بل على المصلحة المادية . وكان الهدف منه انجاب الاطفال للمحافظة على الجنس وكيان الدولة واستمرار الأسرة . ص ٥٧ .

ان المرأة الأثينية لم تحرم من مشاهدة الملهاة ذلك أن المأساة نفسها التى لا يختلف الرأى كثيرا فى أن المرأة كانت تشاهدها ، تنتهى برواية ساتيرية فيها شىء من المجون والبذاءة ، ولم يصـلنا من هذا النوع الى ساتيرية كيكلويس للشاعر يوريبيدس وساتيريه اختيوتاى لسوفوكليس وينبغى أن لا ننسى أن أعين النساء فى أثينا كانت تقع على تماثيل عارية فيها كثير من الاباحية . وان كل بيت كان يقوم أمامه تمثال للرب هرمس ، رسول الآلهة وكان الأثينيون يعنون بهذه التماثيل ويغسلونها ويزينونها بالأزهار ويرتلون أمامها أدعية وصلوات قصيرة ص ٦٢ .

المرأة ومجتمع الرجل اليونانى ! ! !

ومع هذا كله فلا بد من التسليم بأن ثمة عوامل معينة أثرت فى مركز المرأة الاثينية تأثيرا مباشرا أو غير مباشر ، وألقت على وضعها ظلا قاتما ، ولعلها كانت تشعر بالمهانة فى بعض الأحيان . ذلك أن هذه النظرة البطولية الى الحياة تمخضت عن ظاهرة غريبة ، وهى أن قدرا كبيرا من العاطفـة التى تنشأ فى معظم البلاد بين المرأة والرجل ، نشأت بين الرجل والرجل فى بلاد اليونان ، اذ كانت الصداقة بين الرجال عاطفة قوية ، ولعلها كانت أقوى عندهم من عاطفة الحب نحو المرأة ص ٦٧ .

---

(١) من الذى كرم المرأة ؟ الحضارة الهلينية الاوربية ؟ أم الاسلام ؟؟

وكان لهذا الحب الذى نشأ بين الرجال فى بلاد اليونان جانبه الحسى أو الجنسى ولو أن هذا الحب لا نجد له أثرا عند هوميروس الذى ينفيه ضمنا عن أخيل وباتروكلوس . غير أنه يقوم منذ القرن الثامن بدور ملحوظ فى حياة اليونان . ويعزو أصـــله الى الدوريين وقد انتشر وصار شــيئا مستساغا فى معظم أنحاء بلاد الاغريق . وكان ينشأ فى العادة بين الرجال والشبان أو فى صورة استملاح للصبية وحب للغلمان وتختلف الآراء فى تفسير بواعثه فتعزوه اما الى عزلة النساء أو قلتهن ، أو ما يسود الحياة العسكرية من كبت فى العواطف وحرمان ، أو الافتتان بالجسد العــارى فى الألعاب ، أو الاستجابة لنداء الغريزة حينما يشتد الاختلاط وتتوافر عناصر التجاوب وتؤكد الصور المرسومة على بعض الأوانى الخزفية هذا الغرام الشــاذ بين الرجال . وقد نشأت بين هرموديوس وارسطو جيتون اللذين اكتسبا شهرة لاغتيالهما الطاغية هيبارخوس بن بيسستراتوس علاقة حب صريحة فى غير موارية أو خفــاء ، ولكن ذلك لم يحل دون تمجيــد ذكراهما . . ولعل علاقة من هذا النوع نشأت بين سقراط والكيبياديس وترد فى قصائد شعراء كأناكريون ، وابيكوس وثيوجنس أبيات تكشف عن احتدام عاطفة الحب بين الرجال ، وهى شبيهة بالتغزل فى الغلمان (١) .

وكان فى طيبــة « كتيبة مقدسة » قوامها ثلاثمائة شاب انخرطوا فى سلكها على أساس أن كل شابين بينهم متحابان ، وكانا يدربان على انماء عاطفة الحب المتبادل والقتال سويا ، ولقاء الموت معا فى الميدان .

ويبدو أن أفلاطون لم يجد فى مطلع حياته غضاضة فى هذا الانحراف ونظر اليه بشىء من السماحة واللين . ونجده يرقب فى « حديث المأدبة » علاقات الحب ترتيبا تصاعديا بادئا بالجاذبية الجنسية . . غير أنه عدل عن

---

(١) فى مثل هذه البيئة ، وعلى يدى أمثال هذه الامم كان يربى النشء فى المجتمع اليونانى الاوروبى ، الذى لا يختلف عنه واقع المجتمع الاوروبى الآن . والنتيجة دائما معروفة . . أجيال من الضائعين المتمزقين نفسيا ! ؟

رأيه تدريجيا عندما تقدمت به السن ، فدعا الى الحد من الانحراف فى كتاب الجمهورية ثم استهجنه وحرمه فى كتاب القوانين .

وأما أرسطو فلم يقطع برأى صريح وان كان قد وصــفه بأنه حالة مرضية تنشأ بالعادة وشبهه بنتف الشعر أو قضم الأظافر .

وفى الحق أن بعض الناس قد استنكروا هذا اللواط كل الاستنكار غير أنهم قلة لا تتمتع بنفوذ كبير . ولا مراء انه كان عادة مستقرة فى المجتمع اليونانى نتجت عن غلبة الطابع الرجولى فى الحضارة الهالمينية التى كانت تقدس الصفات الرجولية البارزة (١) .

ومع هذا فليس من المستبعد أن تكون هذه الظاهرة الغريبة قد اقترنت بظاهرة اخرى آثمرت بدورها فى مركز المرأة الأثينية ، ونعنى بهــا تأخر سن زواج الرجل الأثينى . وكان من رأى شاعر واقعى كهيسيود ومشرع كصولون وفلاسفة من آمثال أفلاطون وأرسطو أن الرجل ينبغى ألا يتزوج قبل سن الثلاثين . وينصــح هذان الفيلسوفان الرجل بالزواج بين سن الثلاثين والسابعة والثلاثين ، والمرأة بين السادسة عشر والعشرين . ولقد لوحظ أن الاختلاف فى السن بين الزوجين كان كبيرا فى العادة ، بل لقد ترتب على التشريع الخاص بالابنة الوريثة أن صار زواج الكهل بالفتاة الصغيرة ظاهرة مألوفة . وقد فسر بعض المؤرخين هذه الزيجات المتأخرة بأنها نتيجة للحياة الاجتماعية وبخاصة تلك الصداقات الحميمة التى نشأت بين الرجال فوجدوا فيها عوضا عن الزواج المبكر . غير أنه فى الامكان

---

(١) ان اتيان الرجال من دون النساء سمة المجتمعات الجاهلية المشركة ، والتى استحق من أجلها قوم لوط التدمير والنكال .

ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٢٨) ؛ ولما آن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امــرأتك كانت من الغابرين . انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من الســماء بما كانوا يفســقون . ولقد تركنا فيها آية بينة لقــوم يعقلون .

صدق الله العظيم

ماجرى على قوم لوط يمكن أن يجرى على غيرهم من أمم الارض التى لا تخضع حياتهــا للقرآن الكريم وسنة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن ترتضى الاسلام دينا .

أيضا أن نسوق لها تفسيرا اقتصاديا أو اجتماعيا اقتصاديا آخر . ذلك أن جانبا كبيرا من سكان أثينا كان يتألف من صغار المزارعين وكانت مساحة الأرض التى يملكها الواحد منهم صغيرة . ومن ثم كان من المتعذر على الابن فى معظم الأحوال أن يكون أسرة الا كخلف لأبيه عندما يبلغ هذا الأخير سنا لا تسمح له بفلاحة الأرض بنفسه . ولهذا كان الزواج عند هذه الطائفة الكبيرة من السكان أمرا عسيرا قبل سن الثلاثين . ولم تكن ثروة الأب العقارية ، وربما ثروته كلها ، توزع بين أبنائه بعد موته ، فكان الاخوة يشتركون فى زراعة الأرض ويتقاسمون ايرادها ، ويظلون عادة يعيشون سويا تحت سقف واحد ، فلا يتعجلون بناء أسر مستقلة . والتعليل الصحيح لهذه الظاهرة هو أن الميراث لم يكن كبيرا فى الغالب ، فلو أنه وزع بينهم لما نال الابن الواحد ما يكفيه لاعالة أسرة ومعنى هذا أن كل واحد من الاخوة كان يضطر الى ارجاء زواجه حتى سن متأخرة . ومن المحتمل اذن أن ذلك لم يكن نتيجة للصداقة بين الرجال بل كان سببا فى دعم أواصر تلك الصداقة التى شرحنا كيف اكتسبت مظهرا غير عادى . ومن المرجح أن الفارق الكبير بين سن الزوجين قد أثر بدوره فى مركز المرأة ، اذ جعلها أكثر خضوعا وانقيادا للرجل مما لو كان الزوجان متقاربين فى السن . ويتضح ذلك من لهجة الأمر الواضحة فى كلام ايسخوماخوس — وهو الزواج المثالى فى كتاب « التدبير المنزلى » لاكسنوفون — الى زوجته الصغيرة التى لا يزيد عمرها على خمسة عشر ربيعا .

وينبغى ألا نغفل عاملين آخرين أثرا فى مركز المرأة الأثينية وأحدهما تسامح المجتمع فى أن ينشىء الرجل علاقات مع النساء خارج نطاق الزواج ، والآخر نظام الرق الذى يتيح له أن يشترى ما يستطيع شراءه من الاماء ، اذ كان القانون يقر معاشرة الرجال للمحظيات . ويولد الأبناء أحرارا اذا كانت المحظية مواطنة ولكنهم لا يعتبرون شرعيين ، بمعنى أنهم لا يصيرون أعضاء تابعين لأسرة الأب وبطن قبيلته ، ولو أنه كان فى وسع الأب أن يعترف ببنوتهم ويطالب بشرعيتهم اذا شاء . ولم يكن زواج المحظية مصحوبا بأى

مهر أو دوطة . لكن الوصى على المرأة ، الذى يقبل تزويجها لآخر على أنها محظية ، كان يراعى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحمايتها من العوز فى حالة طردها دون نفقة .

وكانت هناك طائفة أخرى من النساء الأجنبيات اللاتى توافدن على أثينا خلال القرن الخامس ، وبخاصة من ايونيا . وكان بعضهن مثقفات على قدر كبير من اللطافة واللباقة والذكاء ، وثريات يعشن فى بذخ وقد تسكن الواحدة منهن بمفردها أو مع صديقة أخرى أو صديقتين . وقد تقيم فى مسكنها « صالونا أدبيا » يرتاده رجال الفكر من الأزواج والأعزاب دون شعور بالحرج أو الخزى طالما كانوا لا يهملون زوجاتهم أو ينتهكون الآداب العامة . وكان بعضهن الأخريات أقل ثراء يتكسبن من التجارة أو المهن الأخرى ، أو يعملن « كموديلات » أو يعشن كالغوانى عالة على جيوب العشاق . وكانت حياتهن جميعا غير مستقرة ولكنها لم تكن بالضرورة منحلة أو خليعة . وكثيرا ما دعين الى الحفلات مع اغفال الزوجات . وقد اتخذ بعض الأزواج الأثينيين منهن رفيقات أو خليلات . ولم يكن فى هذا المسلك ما يعيب الرجل أو يمس سمعته لأن المجتمع كان لا يستنكره أو يرى فيه مايستوجب اللوم . وأشهرهن جميعا هى اسباسيا ، خليلة بريكليس ، التى أنجب منها ، بعد طلاقه من زوجته ، ابنا لم يمنح حقوق المواطنة الأثينية الا بمقتضى قانون خاص ، لأن هذه الجنسية كانت وقفا على الابن المنحدر من أبوين كل منهما أثينى . ومن ثم نرى أن المجتمع الأثينى ، وان تسامح مع الرجل فى أن يتخذ له خليلة ، الا أن القانون (الذى أصدره بريكليس نفسه فى عام ٤٥١) لم يكن سخيا فى معاملته للأبناء المنحدرين من أزواج اثينيين وزوجات أجنبيات . وأما فرينى الخليلة الشهيرة الأخرى فكانت تجلس للمثال الكبير براكسيتليس وللرسام المعروف ابلليس كموديل لنحت تمثال أو رسم صورة للربة افروديتى ،

اذ روى أن مقاييس جسمها كانت آية فى التناسق والكمال (1)) . وكانت أدنى هذه الطوائف من النساء طائفة العاهرات اللاتى كن فى الغالب من الرقيق ، وقد يحترفن مهنة معينة كعزف الناى أو القيثارة ويؤجرن للغناء والرقص فى حفلات الشراب . وكان سادتهن يقومون باسكانهن فى دور بغاء خاصة ، فاذا كن فقيرات معدمات فقد يحترفن الدعارة رسميا فى مواخير عامة بتصريح من الحكومة ، كما يتبين من بعض النصوص الواردة فى تشريعات صولون .

الحرية والروح الاستقلالية والنزعة الانفصالية ؟ ! !

« فالدولة فى حيقة الأمر هى المصلحة المشتركة كما يسميها اليونان »

وكان هناك عامل آخر ساعد على الانقسام الشامل ، اذ تملكت كل جماعة رغبة فى أن تحيا مستقلة . وبمرور الزمن تحولت القرية الى بلدة وتحولت البلدة الى مدينة ــ دولة كان من أبرز خصائصها الحرية والاستقلال السياسى والدينى والاكتفاء الاقتصادى . وكانت هناك روح انفصالية قوية تكمن وراء حركة التطور التى انتهت بظهور المدن اليونانيه . وهكذا اصبحت دولة المدينة Polis التى تركزت حول جماعه مدينة واحدة . هى الشكل النموذجى للدولة اليونانية .

غير أن دولة المدينة كانت تحمل منذ نشأتها بذور انحلالها . فالى جانب روح الاثرة والانطواء على النفس وعدم اشراك الغير فى الحقوق تولد عن الارتباط الوثيق بين المدينة بالمعنى الضيق للكلمة وبين الريف احتكارا بسبب تضارب المصالح السياسية والاقتصادية . وهكذا كانت عوامل التفكك تسرى فى كيان دولة المدينة ، ولم تلبث بمضى الزمن ان تسربت الى المجتمع والأفراد الذين تولد عن احتكاكهم المستمر منافسة انقلبت فى آخر الأمر الى خصومه . وبعبارة أخرى فان النزعة الاستقلالية

---

(1) هذا هو نموذج للقيادة فى المجتمع اليونانى الذى يقترن اسمه دواما بما يسمى الديمقراطية ــ هل بركليس هنا كان نموذجا يحتذى فى المجتمع الاسلامى ؟ لو كان هناك لرجم هو وعشيقته ، لان المجتمع الاسلامى مجتمع نظيف يحرص على طهارة افراده .

التى تفشت بين الدويلات ، وحالت دون قيام أمة يونانية واحدة ، تطورت الى نزعة فردية بين الأشخاص قضت فى آخر الأمر على دولة المدينـــة ص ٧٣ ، ٧٤ .

التنوع والوحدة ! ! !

لقد نتجت كثرة الأقاليم اليونانية وكثرة دول المدن اليونانية عن طبيعة الأرض وطبيعة سكانها ، ومن ثم تعدد أشكال الجماعات السياسية وتباينت صور الحكم تباينا شديدا .

ومع هذا فوراء هذا التنوع كانت تكمن دائما وحدة الحياة اليونانية ووحدة الانسان اليونانى . لقد كان اليونانى بسليقته وتقاليده وتاريخه « حيوانا سياسيا » قبل أى شىء آخر (ص ١٠٣) .

دولة المدينة والبحث عن تعريف للحضارة الهللينية ــ عبادة الانسان :

هكذا يتضح أن نظام « دولة المدينـــة » ليس فى حد ذاته سمة مميزة لأسلوب الحياة الهللينى ، وانما الشىء الذى يميز الحضارة الهللينية هو انتفاعها بهذا النظام كوسيلة للتعبير العملى عن نظرة خاصة الى الكون . وقد عبر الفيلسوف اليونانى بروتا جوراس الابديرى فى القرن الخامس ق.م . عن هذه النظرة بقوله المأثور « ان الانسان مقياس كل شىء » وهو قول معناه فى لغة الأديان الكبرى (اليهودية والمسيحية والاســـلام) ان الهللينيين رأوا فى الانسان « سيد الخلق » وعبدوه كاله من دون الله .

وعبادة الانسان أو مذهب الايمان بالانسان ليست ضربا من عبـــادة الأوثان يقتصر على الهللينيين وحدهم . فهناك ما يوحى بأنها كانت العقيدة المميزة للجنس البشرى فى طور تحضره فى كل زمان ومكان . لكن ما يميز التجربة الهللينية ــ فى مجال مذهب الايمان بالانسان عن غيرها هو أنهـــا كانت أصدق وأصلب عبادة للانسان سجلها التاريخ حتى يومنا هذا . هذه هى السمة المميزة للتاريخ الهللينى لقد كانت الحضارة الهللينية هى أولى الحضارات التى اعتنقت مذهب الايمان بالانسان اعتناقا مطلقا صريحا .

والحضارة الوحيدة التى فعلت ذلك حتى هذا التاريخ . وما من حضارة ظهرت بعد ذلك ، ولا حضارتنا الحديثة نفسها ، قد ارتبطت قط بمذهب الايمان بالانسان على هذا النحو الوثيق [1] « ص ١١١ ، ١١٢ » .

وثمة ملاحظة أخرى عن مفهوم الحضارة الهللينية ، هى أن الاغريق لم يملو أبدا من مشاهدة الألعاب الرياضية سواء فى الدورات الهللينية الكبرى . أو فى نواديهم الثقافية الرياضية أو بالأحرى معاهد التربية المسماة عندهم بالجيمنازيوم (معناه اللغوى الأصلى عند الاغريق = مكان التجرد أو التعرى من الملابس لممارسة الرياضة دون ما عائق . ويقول أحد الكتاب القدامى . انه لم يكن من المتصور قيام دولة مدينة يونانية بدون الجيمنازيوم والاجورا .. الخ) .

وقد افتتنوا بالجسم الرياضى مع طول التطلع اليه ، اذ رأوه هناك مجردا قويا قشيبا . وأعجبوا بقوامه البديع حتى رسموه فى أغلب الأحيان عاريا . ومن ثم نشأ اعجابهم بقوام الانسان بوجه عام ، وأخيرا بالانسان نفسه الذى اعتبروه آية ومفخرة ، وسيدا للخليقة ، فعبدوه كاله ، بل انهم رسموا الآلهة على صورته [2] .

التفرقة العنصرية :

« وبينما كانت الحشود الفقيرة المستعبدة من الهيلوتيس [3] تفلح الأرض وتسام سوء العذاب ص ١٠١ — ١٠٢ » .

---

(١) وذلك يعنى أنها الحضارة الهللينية كانت حضارة جاهلية مشركة لانها عبدت الانسان بدلا من الله الواحد القهار والشرك سمة تؤهل المجتمع لغضب الله الواحد الاحد . ومن الملاحظ أن الكاتب (ارنولد توينبى الذين اخذ عنه الدكتور عبد اللطيف هذا الفصل) يثنى فى كتاباته على نظرية ما يسمى بعلم الاديان القارن ، لكى يوهمنا بأن الدين من اختراع العقل البشرى .

(٢) لست أدرى ماذا يعنى الكاتب بذلك الكلام ؟ هل هو بيان لماذا كان مرض اللواط منتشرا فى المجتمع اليونانى الاوروبى وكما هو الآن فى المجتمعات الغربية والمجتمعات التىلاتخضع حياتها لكتاب الله وسنة رسوله ، أم ان ذلك هو الشرك الذى نراه فى العصر الحديث الذى دأب على عبادة الطواغيث من دون الله ؟؟؟

(٣) هم أشباه العبيد الذين اخضعتهم اسبارطة بالقوة وكانوا يسكنون اقليم مسينيا (غربى لاكونيا) . ص ١٠٢

كانت المباريات فى الدورة الأوليمبية (١) مباحة لكل المواطنين الأحرار المنحدرين من أبوين اغريقيين صميمين . ولم تلحق بهم أية وصـــمة تشين سمعتهم وكانت محرمة على البرابرة (الأجانب) والعبيد .

نموذج للعبادات اليونانية ! ! !

كانت عبادة ديونيسوس الشهيرة باسم باكخوس اله النبيذ ذات طابع يختلف جوهريا عن العبادات الاغريقية ... وكانت المتعبدات له بوجه خاص يرحن فى غيبوبة بعد شراب النبيذ ، هبة هذا الاله للبشر ، والرقص على أنغام الموسيقى ، وتطويح أجسامهن يمنة ويسرة ، والصخب الشـــديد ، يرحن فى غيبوبة فيتصورن كأن روح الاله قد تملكتهن أو انهن قد اتحدن به تماما فيصرن شبه مجذوبات أو مجنونات (٢) ص ١٣٨ .

نموذج لأمهات اليونان ! !

كانت افروديت ربة ضحوكا لعوبا مخادعة تفتن بابتسامتها الحلوة من يقعون فى شباك حبها ، فتسخر منهم دون أن يظفروا منها بطائل ، ولم يكن هناك سبيل الى مقاومة اغراء هـــذه الربة التى فتنت الحكماء بل سلبت الباب الآلهة أنفسهم ص ٢٨٩ ... لقد وقعت فى حب ادونيس .

---

(١) سميت كذلك نسبة الى بلدة أوليمبياد على الضفة الشمالية لنهر الفيوس باقليم ايليس (غرب البلوبونيز) . وانشئت فى عام ٧٧٦ تجيدا للآلهة زيوس الاوليمبى وهى أهم دورة للاحتفالات عند الاغريق . كانت تعقد مرة كل اربع سنوات (فى منتصف الصيف) وتســـتمر خمسة أيام . وتشتمل على مهرجانين : المواكب الدينية وتقديم القرابين ، ثم عقد المباريات : سباق المسافات القصيرة والمضاعفة ، مباراة الالعاب الخمسة (القفز الطويل ــ رمى القرص ــ رمى الرمح ــ الجرى ــ المصارعة) وذلك غير سباق العجلات .. الخ ولاهمية الدورة الاوليمبية اتخذ بعض المؤرخين الاغريق أمثال بوليبيوس وديودور الصقلى وديونيسيوس الهاليكارتاس من بداية الدورة الاولمبية الاولى عام (٧٧٦ق٠م) اساسا للتقويم الزمنى . بمعنى تاريخ الاحداث بالقياس اليها .

(٢) وهى تعكس لنا حالة الضياع والتمزق النفسى التى كان يعيشها المجتمع اليونانى . وتمكننا بالقول الفصل أنه كان مجتمعا جاهليا مشركا .

ربات اليونان ! !

أشيع عن جبل هليكون باقليم بويوتيا بأنه منزل ربات الفنون التسع(1) وفقا لما ورد عند هيسبود : ربة الشعر الملحمى ، وربة التاريخ ، وربة العزف على المزمار وربة الرقص والغناء الجوفى ، وربة الشعر الغنائى ، أو التسابيح والأناشيد الدينية وربة التراجيديا وربة الكوميديا وربة فن التمثيل وربة الفلك . ص ١٤٤ .

الملهاة فى الأدب اليونانى :

« لأن الملهـــاة اليونانيـــة لا تخلو من نابى اللفظ وبذىء العبـــارة والاسفاف ، بل هى لا تخلو من الأفعال الفاضحة المنكرة فى بعض الأحيان .

الكتاب الثـــانى :

ترجمه الى العربية : رمزى جرجس تحت عنوان :

تاريخ الحضارة الهللينية ـــ مصر ١٩٦٣ (وقدمه الدكتور محمد صقر خفاجة)

وكان للتجربة الهللينية فى المضمار الحضارى أن تمثل حقبة رائعة من تاريخ الانسانية حتى ولو لم تسفر عن أية نتائج . ولكن بوسعنا الآن أن نرى ، اذا رجعنا الى الماضى ، انه قد كان هناك بالفعل خطر وقيمة بالنسبة للأجيال التالية لما أسهمت به الحضـــارة الهللينية فى الأفكار والمثل التى تضمنتها الديانة المسيحية والديانة الماهايانية وغيرهما من الديانات السامية

---

(٢) « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ان هى الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان » .

(صدق الله العظيم)

(١) اى أفكار وأى مثل اخذها الدين الاسلامى عن الحضارة الهللينية ؟؟ وأى أثر تركتــه ما تسمى بالحضارة الهللينية فى الدين الاسلامى ؟ ؟ سوف نترك للقارىء أن يتصفح مرة ثانيــة تاريخ وحضارة اليونان ، وما قاله أرنولد توينبى فى كتابه « الهللينية تاريخ الحضارة) ليصل بنفسه الى نتيجة هامة وهى لا يمكن أن تسمح له أن يفترى هذه الفرية فالاسلام كعقيدة وشريعة لاصلة له البتة من قريب أو من بعيد بالحضارة الهللينديةالشاردة عن الهدى الالهى هل فى الاسلام طبقية وظلم اجتماعى ـــ هل فى الاسلام تهتك .. هل فى الاسلام أن البشر من حقهم أن يشرعوا لغيرهم من البشر .. لا والله انهم ليقولون زورا من القول وبهتانا .. ان الاسلام ارتضاه رب العباد للعباد وليس فى اختراع ما عرضه أرنولد توينبى فى كتابه العقل البشرى وكل ما جاء به الاسلام من مصدره الرحمن الرحيم وليس سقراط ولا أفلاطون » ...

وخاصة الاسلام والديانة الهندية المتأخرة عن البوذية وهى الديانات التى نشأت عن تلاقى الحضارة الهللينية مع الحضارتين اللتين عاصرناهما فى كل من كنعان والهند . ان هذه الديانات السامية هى أعظم القوى الروحية فى حياة البشر فى الوقت الحاضر ، وما زالت الحضارة الهللينية تنعم بالحياة وذلك فى الأثر الذى تركته فى كل من هذه الديانات . كانت الآثار التى خلفتها الحضارة الهللينية فى الديانات السامية آثارا سلبية وآثارا ايجابية أيضا . وكان أعظم آثارها السلبية ، دلالتها المؤسفة على تصور عبادة الانسان ، وكان أجل آثارها الايجابية خلق المسيحية عن طريق تطعيم الديانة اليهودية بفكرة تتناقض مع المبادىء اليهودية ، الا وهى فكرة التجسد . ص ٢١ .

النظام الاجتماعى : ؟ ! !

وكان جانب من الثمن الذى دفع من أجل اعادة توطيد النظام من جديد فى حوض بحر ايجه هو خلق حالة من الظلم الاجتماعى . فقد بدأت معظم المدن الدول الهللينية — وتعد أثينا استثناء بارزا لهذه القاعدة — حياتها وهى ترزخ تحت عبء انقسام شعبها الى جماعتين احداهما تمثل الرتبة الأولى من المواطنين وتعيش داخل المدينة على دخل الأراضى الزراعية المجاورة لها . وأخرى لا تحتل فى البناء الاجتماعى غير الأطراف ويمثلها المواطنون من الدرجة الثانية وهم سلالة سكان الجبل المقهورين وقد كان هذا الانفصام فى المجتمع مصدرا لا ينضب له معين من مصادر الصراع الاجتماعى الذى تلا ذلك .

كما عمدت اسبارطة الى معاملة الشعوب المغلوبة هناك بصرامة وبقسوة لم يكونا معهودين فى تلك المرحلة من مراحل التاريخ الهللينى . وكان ينظر الى هؤلاء العبيد واسمهم باليونانية Heilotes وتعنى أسرى الحرب . أو سكان المستنقعات على انهم قد أهدروا حقوقهم الانسانية ومن ثم حقت عليهم العبودية . ص ٤٦ — ٤٧ .

كما لم تكن (سبارطة) تعتمد فى زراعة الحقول المنزرعة على سواعد مواطنيها ، بل على كد سكانها . وملاكها القدامى بعد أن وضعتهم فى مرتبة الفلاحين العبيد ، وهى المرتبة التى فرضتها من قبل على .. ص ٥٠ .

ربما لم يكن حل اسبارطة لهذه المشكلة الشاملة بأكثر مجافاة للقواعد الخلقية من المسلك الطبيعى الذى يقضى بالاستيلاء على أراضى فيما وراء البحار ، بيد أنه قد ثبت أن هذا الحل كان أصعب من غيره الى حد بعيد فى مجال التنفيذ . لقد كانت هناك مدن استعمارية مثل ثاراراس وسرقوسة.

بيد أن هؤلاء الرعايا التابعين فيما وراء البحار ، للمدن الهللينية الاستعمارية قد استخلصوا على أقل تقدير بعض المنافع الثقافية فى مقابل خسارتهم لحريتهم السياسية والاقتصادية ص ٥٠ .

وكانت اللعنة التى حلت باسبارطة من جراء غزو مسسينا تدعو الى السخرية ــ فقد تحتم على الاسبارطيين ، كيما يحتفظون بالمسينيين المغلوبين عبيدا زراعيين أن يخضعوا هم أنفسهم لعبودية الخدمة العسكرية الكاملة التى تبدأ من سن السابعة الى سن الستين ص ٥٠ ــ ٥١ .

تأليه المدينة الدولية :

فقد عمد الهللينيون الى عبادة مدنهم على اعتبار أنها آلهة بدلا من أن ينظروا اليها على أنها مجرد مرفق عام ، وذهب الأمر فى النهاية الى أن أصبحت المطالب التى فرضتها المدن الدول المؤلهة على مواطنيها تستلزم من التضحيات ما استلزمه الصنم الهندى جوجرنوت من عبدة الجوجرنوت ، الأمر الذى ساق هذه المنظمة الى نهايتها المحتومة ص ٥٣ .

كان من شأن قانون المدينة الدولة ، بل والخدمة العسكرية فى ظل المدينة الدولة ، ان حرر الأفراد بالفعل من عبوديتهم القديمة للأسرة ، ولكن ثمن ذلك كان دخولهم فى عبودية من نوع جديد هى العبودية للمدينة الدولة .

لماذا شرع القتال فى عرف الهيلانيين ؟ ؟

وقد يعنى ذلك القتال دفاعا عن قضية خاسرة غاية الخسران ، فقد كان الشاعر الاثينى سوفوكليس من بين قواد الحملة الأثينية التى جردت لاعادة غزو ساموس عام ٤٣٩ ق.م . كما اشترك الفيلسوف الأثينى سقراط فى القوة التى أعادت غزو بوتيلدايا فى بداية الحرب الأثينية البلوبونيزية العظمى التى وقعت بين عامى ٤٣١ ، ٤٠٤ ق.م . وقد أخضع الأثينيون أهل ساموس ويوتيديا ظلما وعدوانا ، ومن ثم كان هؤلاء على حق فى الكفاح من أجل حريتهم . وانه لما يسىء الى مكانة هذه المنظمة الأولى من منظمات الحضارة الهللينية أن يضطر عبقريان فاضلان نبيلان ـــ وهما بسبيل القيام بالواجبات العادية الملقاة على عاتق المواطن ، الى القتال من أجل بندهما فى وقت لم يكن فيه هذا البلد فى جانب الحق ، وكانت مثل هــذه التجربة تنذر بوقوع صراع بين الدولة والضمير ص ٥٣ ـــ ٥٤ .

حمــل الأطفــال ســفاحا ؟ !

وكان من بين المستعمرات مدينــة هللينية واحدة على جانب عظيم من الأهمية ، تنتسب الى اسبارطة : فقد قامت مدينة تاراس (تارنتوم) التى تحتل موقعا طيبا عند مرفأ طبيعى فى بطن كعب ايطاليا ـــ باحيــاء ذكرى مؤسسيها على اعتبار أنهم هم الاسبارطيون البارثينيون (أبناء الأمهــات الغير المتزوجات) ويحكى أن جميع المواطنين الاسبارطيين الذكور الذين كانوا فى سن التجنيد ، قد احتجزوا فى الميــدان ابان الحرب التى انتهت باحتلال الاسبارطيين لمسينا مدة طويلة من الزمن حتى أن الجيل الناشىء من الفتيات الاسبارطيات عمدن بعد أن عيل صبرهن الى حمل الأطفــال سفاحا . ولم تشأ الحكومة اللاكيديمونية الاعتراف بهؤلاء الأطفال الذين ولدوا بما لا يتفق وسنن الزواج المشروع ، باعتبارهم مواطنين اسبارطيين، وعندما قرر هؤلاء ساخطين ، الهجرة بكامل هيئتهم ، شيعتهم الحكومة الاسبارطية غير آسفة .. ص ٤٩ .

ما هى القيمة التى يمكن أن تحققها الفلسفة الهيللينية فى حياة البشر ؟ ؟

كان هناك العلماء الطبيعيون الذين راحوا يتأملون طبيعة الكون المادية هل كانت المادة الأولية هى الماء أو مادة أخرى لا يمكن تحديدها أو كانت العقـــل ؟ كانت هذه هى المسألة التى ثار حولهـــا النقـــاش بين تاليس واناكسيماندر وكلاهما من ميليتوس وبين اناكساجوراس من كلا زوميناى. هل كانت الوحدة غير مميزة عديمة الحركة ؟ أو انه كانت به تعدد وتباين وحركة وايقاع ؟ هل كان ايقاعه تغيير وفصل لعناصر مندمجة تختلف عن بعضها البعض من جدة النوع ؟ أو هل نشأت الصفات والأشكال الظاهرة أيضا لجميع الأشياء المرئية عن مطر أبدى يتألف من مئـــات الآلاف من الذرات المنتظمة الشكل ؟ كان هذا هو موضوع النقاش بين زينون من الياوامبيد وكليس من اكراجاس .. ص ٥٩ .

نمـــاذج من حكماء اليـــونان ! !

وعن زينون من كيتيوم (٣٣٥ ـــ ٢٦١ ق.م) مؤسس المدرسة الرواقية فى الفلسفة ، وابيقوروس من ساموس (٣٤٢ ـــ ٢٧٠ ق.م) الذى أسس المدرسة المكملة الأخرى التى عرفت باسمه ـــ كتب ارنولد توينبى .

كان هؤلاء الفلاسفة المتمتعون بالاكتفاء الذاتى فى حياتهم الروحية ، نماذج انسانية للآلهة أحق بالتبجيل من الملوك أصحاب السلطة السياسية . بيد أنهم كانوا بدورهم مواضع للقيادة لا تبعث على الرضاء الكامل . اذ أن الرواقيين والابيقوريين لم يلبثوا ، فى محاولاتهم بلوغ هدفهم الاسمى والارتفاع بأنفسهم الى مافوق مستوى البشر ان جردوا انفسهم من المشاعر الانسانية ، فلم يكن فى استطاعتهم أن يؤمنوا أنفسهم ضد كل ألوان الايذاء دون أن يضطروا الى أن يستأصلوا من نفوسهم مشاعر المحبة والشـــفقة باخوانهم لبشر . ودون أن يتحللوا من روحهم الوطنية ونزعة الخير فيهم . ثم ان هذه الفظاظة وذلك الجمود المتعمد جعلا من المحال عليهم أن يحققوا

الخلاص لجيرانهم فضـــلا عن عجزهم من تحقيق الخلاص لأنفسهم (1) .
ص ١٥١ .

صورة المرأة وصورة الرجل فى المجتمع الهلليينى ؟

ولقد أضفى النظام الاجتماعى للحياة فى المدينة الدولة على حيـــاة الرجال طابعا جديدا من الطرافة والرونق بحيث لم تعد الأمهات والزوجات والبنات يبلغن فى مستواهن العقلى مستوى الرجال . ومما له عظيم المغزى أن اللفظة المهذبة التى كانت تطلق على العاهرة فى ذلك العصر هى الرفيقة وكان يتحتم أن تكون للعاهرة فى المدينة الدولة الهللينية ، مثل شميفتها فى اليابان فى العصر الحـــديث ، مواهب عقلية بالاضافة الى جمـــال القوام وفتنته ، كما ينبغى أن يكون فى استطاعتها أن تساير عملاءها من الرجال فى ميولهم الذهنية . ومن الجدير بالذكر أيضا أن المغامرات العاطفية المثالية لم تكن تلك التى تقوم مع المرأة بل مع الغلمان . اذ أن الرأى العام الهللينى لم يكن يستنكر علاقات مضاجعة الجنس ، وعندما كانت المراة تقتحم بين الحين والآخر عالم الرجل ، لاباعتبارها رفيقة بل عن جدارة واستحقاق كان تحرز قصب السبق فى ميدان من الميادين التى يستأثر بها الرجال .. مثل قرض الشعر فقد كانت تنزع بدورها الى علاقات مضاجعة الجنس الأمر الذى يدل على أن المرأة العظيمة المواهب نفسها لم تكن تجد السعادة فى الاشباع الطبيعى لغرائزها الجنسية لأنه لم يكن فى استطاعتها أن تصبح زوجة أو حتى عشيقة على أساس من المساواة الحقيقية بينها وبين الرجل . ويصور المؤرخ توكديديس بن أولوروس السياسى الأثينى بركليس على انه أشار فى خطاب التأبين الذى ألقاه فى ذكرى الأثينيين الذين لقوا مصرعهم فى ميدان القتال فى السنة الأولى من الحرب الأثينية البليونيزية العظمى

---

(1) هذه نماذج من الشخصيات والعلوم الفلسفية التى يرضعها النشء فى كثير من دور العلم . هل فى الامكان أن يربى عليها جيل سوى يعرف ربه . ودينه ؟ وصدق الله العظيم حين يقـــــول :

« والشعراء يتبعهم الغاوون .. الم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولونمالايفعلون»

بين عامى ٤٣١ ، ٤٠٤ أشار على النساء الأثينيات فى لهجة جافة مقتضبة بأن واجبهن الأول والأخير هو الانزواء والعمل على انجاب عدد آخر من الأطفال ليعوضن الخسارة فى الأرواح التى تكبدها المجتمع من جراء هذه الحرب ص ٦٣ .

فلسفة أرسطو :

ولقد كانت الفلسفة الارستطالية بمثابة أداة فكرية على جانب كبير من الأصالة والقوة ، مما قيض لها الحياة بعد انحلال المجتمع الهلليني ، وأتاح لها أن تطبع بطابعها العالم الاسلامى والعالم المسيحى الغربى ص ١٤٠ .

العبودية فى المدينة الدولة !!!

وبدراستنا لهذه المنظمات (المدن الدول) المكملة . تتضح لنا حاجات ثلاث عجزت المدينة الدولة عن الوفاء بها ، أو هى لم توفرها على الأقل ، بالقدر المرجو ، فان طبقات المجتمع التى لم تتمتع بنعم الحياة التى أقامتها المدينة الدولة وبخاصة العبيد والنساء ، كانت فى حاجة الى التعويض النفسى عن ذلك فى مجال آخر .

كما أن كافة طبقات المجتمع كانت فى حاجة الى اطار للحياة أرحب من اطار دولة هينة الشأن تعيش فى أفق ضيق . لقد كانت فى حاجة لأن تحيا جانبا من حياتها فى عالم أوسع نطاقا ، وفى اطار اجتماعى له صفة العمومية لا الاقليمية المحدودة الصلة . ثم ان الطبقات جميعها كانت تفتقر الى التجربة الدينية والى الاشباع الدينى اللذين لم يتيسرا لها ، سواء عن عبادة المدينة الدولة أو عبادة مجموعة الآلهة الأولمبية .

ويمكننا الاستدلال على عظم الحاجة التى كان يشعر بها العبيد والنساء ازاء ذلك التعويض النفسى فى تمسكهم بمواصلة احياء طقوس عبادة الطبيعة المستهجنة التى لم تشبع ألسنهم بالقدر الكافى . ص ٦٤ .

---

(١) اى اصالة واى قوة فى فلسفة ارسطو تلك التى طبعت العالم الاسلامى بطابعها ؟؟

العبيد يثورون ! ! !

فى عام ٤٦٤ ق.م أتاح زلزال مدمر وقع فى اسبارطة ، الفرصة لعبيد الأرض القيام بثورة أخرى من سلسلة ثوراتهم وحوادث تمردهم المتكررة. وقد دعا الاسبارطيون حلفاءهم الى مدهم بالمساعدات العسكرية ، كما أقنع كيمون الأثينيين بارسال فرقة من الجنود .

وكان هؤلاء الجنود يقومون بعملهم فى غير حماس أو اقبال . لأنهم لم يكونوا ليروا ثمة ما يدعو لأن يكلفوا أنفسهم عبء مساعدة الدول المنافسة لهم فى هيلاس . لكى تستعيد قوتها كما كانوا ينفرون من أمر تقديم العون فى سبيل فرض النير الاسبارطى من جديد على رقاب رقيق الأرض . ص ١٠٨ .

تقدم الهيلليين فى العلوم التطبيقية :

كما ظهرت هناك أيضا أسماء شهيرة فى العلوم التطبيقية مثل أمينياس الكورنتى وهو أول هلينى صمم سفنا تسير بقوة ثلاث طبقات من المجدفين. وثيودوروس من ساموس وهو أول هيلينى قام بصب قوالب البرنز .

ولم يشهد التاريخ الهلليني ذلك الازدواج المثمر بين العلوم التطبيقية والعلوم البحتة الذى كان العامل فى ازدهار هذين الميدانين فى العالم الغربى الحديث . كانت العلوم الهللينية منذ بداية التاريخ الهللينى حتى نهايته تميل الى الناحية النظرية لا الى الناحية التجريبية ص ٥٩ .

الصراع الطبقى فى المجتمع الهيلليينى :

كان الفلاحون الملاك والعمال الزراعيون مجبرين ، خلال عصر أدى فيه نقص الأراضى الزراعيــة المطرد الى عجزهم عن الموازنة بين دخلهم ومنصرفهم ، الى الاقتراض بفائدة من ملاك الأراضى الارستقراطيين .

وعندما كان ينوء كاهل المستدين تحت عبء التزامات لم يكن فى مقدوره الوفاء بها ، كان يجره ذلك الى الوقوع هو وأسرته وممتلكاته

تحت سلطان الدائن ، كان فى وسع الفلاح صاحب الأرض أن يرهن أرضه وفى وسع العامل الزراعى الذى لا يملك أرضا أن يقترض بضمان حريتــه الشخصية وحرية أبنائه ، فاذا ما عجز هؤلاء وهؤلاء عن الوفاء بديونهم ، فان الفلاح يفقد أرضه ، ويتحول العامل الى عبد من حق دائنه أن يبيعه فيما وراء البحار . وكان الدائنون يستغلون هذا الموقف أبشع استقلال ، ولكن ضحاياهم ما لبثوا أن تحولوا الى وحوش ضارية . فلم يقتصروا على المطالبة باستعادة حريتهم واسترداد أراضيهم ، بل نادوا بضرورة مصادرة ضــياع الملاك وتقسيمها ص ٧٨ .

وأخذت حلول هــذه الأزمات صورة تغيير كلى وجزئى ، طرأ على المجتمع خلال فترة امتدت مائة وخمسين سنة .

وتمت هذه التعديلات فى معظم المجتمعات التى وقعت فيها قسرا على يد حكام دكتاتوريين أو طغاة . ص ٧٩ .

الدول الوثنية لا يمكن أن تشكل وحدة سياسية !!

الحاجة الى عقيدة صحيحة !!

لقد كان من شأن الثورة الاقتصادية أن حققت التكافل الاقتصــادى بين المدن الدول . على حين أنها تركت لكل منهــا السيادة السياسية على حظيرتها الصغيرة وكان فى ذلك تناقص خليق بأن يقوص أركان البناء كله . وهكذا أصبح على المدن الدول آن تختار أحد سبيلين ، اما أن تعود الى حالة العزلة الاقتصادية والعزلة السياسية أيضا ، مع ما ينطوى عليه ذلك من خطر هبوط مستوى المعيشة فيها الأمر الذى سيعود بها القهقرى أيضا الى المجاعات والحروب الأهلية ، واما أن تتنازل عن قسط كبير من سيادتها يكفل قيام كيان ســياسى بانهلينى على نحو أو آخر ، يضارع النظــام الاقتصادى البانهلينى الذى قدر له النجاح .

واعترضت طريق هــذا الهدف الســياسى الذى أصبح آنذاك هدفا واجب التحقيق ، عقبة دينية ، فلقد ذهب الأمر بالمدن الهلينية ، كما أسلفنا

الى أن أصبحت آلهات يتعبد لهامواطنوها . فهل كان فى وسع عبدة المدينة الدولة أن يقنعوا أنفسها لتحول بولائهم السياسى عن مدنهم المؤلهة الى دولة بانهلينية .

لقد كان الأمر يتطلب قيام ثورة روحية ، فهل كان بوسعهم أيضا القيام بمثل هذه الثورة ، على أن يعجلوا بها لكى يجنبوا أنفسهم مغبة الوقوع فى كارثة محققة ؟ ص ٨٧ ــ ٨٨ .

فشل اسبارطة وأثينا فى تحقيق الوفاق السياسى :

اختتمت فترة نصف القرن التى ازدهرت فيهـا الحضارة الهلينية آثر الانتصار المشترك الذى أحرز على الفرس فى ٤٨٠ ــ ٤٨٩ ق.م . وذلك بنشوب حرب شاملة مدمرة بين الأثينيين والبلويونيزيين فى سنة ٤٣١ ق.م. ص ١٠٤ .

حقـوق المواطنـة الأثينية شىء صعب المنال ! !

وما أن حل عام ٤٥١ ــ ٤٥٠ ق.م حتى كانت حقوق المواطنة الأثينية قد عظمت قيمتها الى الدرجة التى أدت بالجمعية العامة الى أن تصدر ، بناء على طلب بيركليس اقرارا يقضى بالاقتصار فى منح حقوق المواطنة على من بوسعهم اثبات أن كلا من أبويها كان مواطنا أثينيـا ، وقد اتسمت حركة التطهير التى أجريت لجمهور المواطنين بناء على هذا القرار بعد مضى خمس سنوات على تاريخه بالعنف والشدة البالغين ص ١١٥ .

وهكذا لقيت الديموقراطية الأثينية فى غضون ثلاثين سنة ، المصير ذاته الذى لقيته الديمقراطية الاسبارطية من قبلها ، فقـد تحولت الى زعامة عسكرية طفيلية تحتفظ برقيق الأرض (وهم الحلفاء الذين يؤدون الجزية) وتابعين (وهم الحلفـاء الذين ظلوا يتمتعون بامتيـاز الاسهام بالطرق البحرية) . لقد أعلن كليون الذى خلف بركليس فى زعامته للشعب الأثينى فى صراحة قاتلة ــ ان أثينا قد أصبحت دولة دكتاتورية وانه لا أمل لها فى

الاحتفاظ بسلطتها الاستبدادية الا بانتهاج سياسة تقوم على الارهاب [1] . ص ١٦ .

وقد كان لانحلال اتحاد ديلوس وتحوله الى امبراطورية أثينية وقع مؤسف أليم .. ولو أن الاثينيين استطاعوا أن يكبحوا جماح أنفسهم ومن ثم أمسكوا عن سوء استغلال تلك الثقة التى نالوها ، على اعتبار أنهم المتزعمون للاتحاد دون أن يسعوا لتحقيق مصالح وطنهم الخاصة المحدودة لكان لذلك شأن كبير .

غير أن الوجهة التى اتخذتها سياسة أثينا تحت زعامة بركليس لم يكن من شأنها الا أن تؤدى الى تجدد معارك التقتيل والابادة بين الاخوة الهلينيين والى انهيار الحضارة الهلينية ص ١١٦ .

لماذا قامت الحروب داخل المجتمع الهيلليني :

ولا ينبغى أن يكون تقديرنا للاضرار التى نجمت عن تلك الحروب التى اجتاحت قلب العالم الهلليني مدة ثلاثة وتسعين عاما قائما على الناحية المادية وحدها ، فقد كانت الأضرار الروحية أجل وأعظم ، وهذا هو ما أوضحه ثوكيديديس بن أولوروس .

وقد أخذت هذه الحروب صورة حرب أهلية دارت رحاها داخل كل دولة بين أنصار المذاهب السياسية المختلفة ، فضلا عن كونها حرب دولته قامت بين كتلتين مختلفتين من الدول . أما عن الحرب الدولية فقد وصمت بكثير من الفظائع ، مثل ما لحق بمدينة بلاتايا البوابوتية حليفة أثينا من تخريب وتدمير على يد الطيبيين وحلفائهم البلبوبيزيين عام ٤٢٧ ق.م ثم عدوان أثينا الغاشم سنة ٤١٦ على ميلوس التى لم تكن غير دويلة مسالمة محايدة ، وكذلك المعاملة البشعة التى لقيها أسرى الحرب الأثينيون الذين

---

(١) وهكذا أثبتت ما تسمى بالديمقراطية فشلها فى تحقيق الراحة والطمأنينة فى حياة المجتمع الهلليني .. وهذه التجربة جديرة بالتأمل والتملى من قبل الذين يلهثون وراء التجربة ذاتهـا .

اعتقلوا فى محاصره سرقوسة (سيراكوزا) أثر الكارثة التى لحقت بالحملة الأثينية فى صقلية عام ٤١٣ ق.م ثم المذبحة التى أقامها الاسبارطيون لأسرى الحرب الاثينيين عام ٤٠٥ فى أعقاب معركة ، جرائم أخرى تفوق هـذه فظاعة وبشاعة مثل تلك المذابح التى تعرض لها المحافظون فى كوركيرا من جانب المتطرفين عام ٤٢٥ ق.م وحوادث القتل والاغتيـال التى ارتكبت بتفويض من لجنة الثلاثين (وهم الثلاثون دكتاتورا) التى تولت الحكم فترة التسعة أشهر .

وعندما كان أنصار الجانب الخاسر فى هذه المنازعات الداخلية يلوذون بالفرار من البلاد ، نجـاة بحياتهم ، فانهم كانوا سيتحولون الى لاجئين متشردين ص ١٢١ — ١٢٢ .

تحرير الأفراد من عبودية المدينة الدولة :

كان من نتيجة قضاء المقدونيين على سيادة المدينة الدولة أن شـعر الأفراد بأن عبئا ثقيلا قد أزيح عن كواهلهم ، فى عصر أصبحت فيه حقوق المواطنة فرضا ممقوتا بدلا من أن تكون حافزا ووحيا خلاقا . ص ١٣٦ .

اعـدام سـقراط :

ولقد كان الطريق ممهدا لقيام هـذه الحركة (حركة هجرة مواطنى الدول اليونانية فرارا من الاضطهاد) وهى تقوم على أساس نفسى مثلمـا تقوم على أساس ديمقراطى — نظرا للنكبة الأدبية التى لحقت بالمدن الدول خلال الفترة المدنسة بالعار التى تمتد بين عامى ٤٣١ — ٣٣٨ ق.م . اذ أن ذلك كان قد آثار بالفعل نفور طائفة من صفوة مواطنيها .

وقد أخذ هذا الحادث الجلل صورة صراع أدبى خلقى نشب بين كل من سقراط وأثينا . فقد كان سقراط فى الحق أول شهيد هللينى ، فانه اذا تحدث باسم اله أعلى ومن حيث المبدأ ، المدينة الدولة التى لم تكن أهلا لأى وجه من أوجه التكريم أو التقديس ص ١٣٧ .

ولم يكن هدف سقراط النجاة بحياته ، بل لقد أصر على فقدانها . كما كبد أثينا فى أخباره اياها على أن تختار احد أمرين ، اما احترام ضميره واما ازهاق روحه هزيمة أدبية أشد بلاء من الهزيمة التى منيت بها على يد اسبارطة خمس سنوات .. ان هزيمة أثينا على يد سقراط كانت هزيمة أدبية خلقية . لقد جلبت الآلهة أثينا على نفسها العار ، فى واقع الحياة ، عندما أدلت بصوتها ضد سقراط عام ٣٩٩ ق.م . ص ١٣٨ .

وكان السخط قد استبد بأفلاطون ، ذلك المواطن الأثينى الذى ولد بعد نشوب الحرب فى سنة ٤٣١ ق.م . مباشرة ، ازاء ما شهده فى أثناء حياته من انحراف الديمقراطية الأثينية عن جادة الصواب . ص ١٣٩ .

الاسكندر يدعى الألوهية (١) ! !

وحقق الاسكندر النجاح فى مطالبته باصرار والحاح أن يكون الها ، وما أن أرسى الاسكندر قواعد هذه السابقة التاريخية ، حتى أصبح خلفاؤه يتخذون لأنفسهم لقب اله كجزء متمم لمراسيم ارتقائهم العرش . واستغلت صفة الألوهية الرسمية هذه التى خلعت على الاسكندر وخلفائه ، فى خدمة غرض سياسى عاد بأعظم الفائدة . اذ كان فى وسع ذلك الاله الذى يحظى بمثل هذا الاعتراف الرسمى أن يملى ارادته على الآلهة المتخفية التى تتقمص المدن الدول .. ص ١٤٨ — ١٤٩ .

لماذا كانت الثورات اذن ؟ ؟ ؟

ولم يكن تحقيق العدالة الاجتماعية من أهداف الثورة التى قامت فى اسبارطة ، فانها لم تكن ترمى قط الى تحرير رقيق الأرض ، لم تتجه النية قط الى ازاحة عبء نظام لوكورجوس الذى يحكم على الفرد بالعبودية العسكرية المؤبدة عن كواهل المواطنين الاسبارطيين . ص ١٦١ .

---

(١) لقد ادعى الاسكندر — اذا كان ما يقال عنه صحيحا — ما لم يدعه فرعون الذى ادعى ما حكاه عنه القرآن :

« فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى » .

ارنولد توينبى يعلل : لمــاذا انهارت الحضارة الهلينية :
انهيــار الحضــارة الهلينية :

لو حق لنا أن نستخدم لفظة موت للدلالة على زوال نظام من الأنظمة، لوجب القول بأن موت الحضارة الهلينية كان عملية انتحار وليس عملية اغتيال . فلم يكن الموضــوع الذى دار حوله تاريخ جيبون Gibbon

عن انهيار الامبراطورية الرومانية وسقوطها الا وهو انتصار الدين والبربرية يصور ذبح ضحية حية بل وطء اشلاء جثة هامدة . ولقد ماتت الحضــارة الهلينية بالفعل قبل أن تصبح المسيحية ديانة رسمية للدولة العالمية الهلينية. وقبل أن يؤسس البرابرة ممالكهم المتوارثة على الأرض الهلينية السابقة . وكانت علة موتها هى عجز الهيلينيين أنفسهم عن أن يواجهوا المشكلة التى صادفتهم منذ زمن بعيد يعود القهقرى من تاريخهم الى القرن الخامس قبل الميلاد . فانهم على الرغم من أن الثورة الاقتصادية التى قام بها الهلينيون فى القرن السادس قبل الميلاد أسفرت عن حالة من التكافل الاقتصادى بين المجتمعات المحلية للعــالم الهلينى ، فقــد عجز الهلينيون عن أن يحققوا لأنفسهم الوحدة الســياسية التى باتت تقتضيها أحوالهم الاقتصــادية الجديدة . فأصابتهم من جراء هذا الفشل لعنة الحروب الدولية والأهلية التى أشاعت الخراب والدمار فى العالم الهلينى ، خلال حقبة تكاد تكون متصلة ، تقدر بأربعمائة سنة ، ص ٢٦٥ .

وليس أدل على ما أصاب ارادة المجتمع الهلينى على الحياة عن ضعف ووهن خلال الفصل الأخير من التاريخ الهلينى ، فمن محاولته المتخاذلة العرجاء لكى يكافح الديانة المسيحية بأسلحة الديانة المسيحية ذاتها . كما أن الانتصار الذى أحرزته المسيحية على دين الدولة العالمية الهلينية لايعتبر خاتمة حاسمة لصراع دار بين الديانة المسيحية والديانة الهلينية ص ٢٦٧ .

ولو أن الحضارة الهلينية كانت تحمل بين جوانحها بقية من حيــاة ، لكان الاضطهاد قد أوقد فيها جذوة الحماسة ، كما وقع للديانة المسيحية فى العصر الرياسى للامبراطورية .. ولكن المجتمع الهلبينى لم يلبث ، حين

تعرض لمحنة مماثلة ، أن تقلص فى صورة حفنة من المؤمنين المتعصبين الذين كانوا رغم ذلك لا يثبتون على حال . والذين راحوا يستخلصون المعانى الرمزية السامية من أحمق وأخرق العادات الدينية غير المسيحية ص ٢٦٩ .

وفى عام ٥٢٩ م . كانت لفظة هلينى قد تغيرت دلالتها على ألسن المتحدثين باللغة اليونانية من المسيحيين . فالهلينيون أنفسهم أيام سؤددهم كانوا يقسمون البشرية الى هلينيين ويعنون بذلك المتحضرين ثم الى برابرة . أما المسيحيون الذين كانوا يتكلمون اليونانية فقد قسموا البشرية الى رومانيين وكانوا يعنون بذلك أنفسهم والى هلينيين وقد أصبح المعنى المقصود هنا « عبدة الأوثان » . وهكذا أدى انتصار الديانة المسيحية الى أن اعترى دلالات هذه اللفظة التاريخية تغييرا كليا . فلفظة كانت تعنى زمنا ما أبناء النور ، باتت تعنى آنذاك الجالسين فى الظلمة الخارجية .

والحقيقة أن لفظ هلينى أصبحت تحمل المعانى والدلالات غير الطيبة التى كانت تقترن فيما سبق بلفظة بربرى وقد قدم هذا التغيير المؤسف الذى طرأ على دلالات مصطلح هلينى ، الدليل على أن فى امكان الأفراد أن يتخلوا عن صفتهم الهلينية ، ص ٢٧١ .

وعندما قهر العرب المسلمون كلتا الامبراطوريتين ، أمد المسيحيون الشرقيون الذين اعتنقوا دين الفاتحين الجديد ، أمدوا المسلمين بأصول علم لاهوتى اختص بهم وحدهم ، مستمد من المصدر الهلينى ذاته الذى استمد منه علم اللاهوت المسيحى ومن ثم فان الأعمال الفلسفية والعلمية الهلينية التى كانت قد ترجمت من قبل الى اللغة السريانية عن أصولها اليونانية ، ترجمت بدورها الى اللغة العربية ، وبقى العالم الاسلامى يستشهد بأقوال أفلاطون وأرسطو وأبقراط وغالينى ، بعد أن كان العالم الغربى المسيحى قد أفاق من سحر الفكر الهلينى وشرع يصوغ أفكاره بنفسه ص ٢٧٤ .

وهكذا يتضح لنا أنه عندما ظهرت فى المنطقة التى كانت تخضع من قبل لسلطان الحضارة الهلينية حضارات ثلاث هى البيزنطية المسيحية ، والمسيحية ، والمسيحية الغربية ، والاسلامية ، فان ثلاثتها جميعا قدمت الدليل على التأثيرات الهلينية التى نقلت اليها عن طريق الديانات المسيحية والاسلامية . وانه فى وسعنا من واقع الأمر أن نصف هذه الحضارات الثلاث جميعها ، بأنها حضارات هلينية فضلا عن كونها حضارات عبرية ص ٢٧٥ .

وقد تفاجأ أية حضارة هلينية بثورة للروح الهلينية المتفجرة التى ظهرت وان لم تخمد جذوتها ، تحت غلالة من الأديان السماوية ، وما زالت الدول المسيحية الغربية تعانى بالفعل من عواقب احدى الثورات التى تميزت بوجه خاص بالعنف والشدة ــ وتعرف هذه عادة بعصر النهضة ــ وظهرت أول ما ظهرت فى ايطاليا منذ ما يقرب من ستمائة سنة ، وانتشرت من هناك الى بقية الدول الغربية المسيحية أول الأمر ، ثم الى بقية أنحاء العالم نتيجة للحركة الأخيرة التى ترمى الى التمثل بالغرب فى شتى نواحى الحياة . وكان الفكر الغربى قد تمثل بالفعل تأثيرات الثقافة الهلينية التى اكتشفها من جديد فى ميدانى العلوم والفنون ، كما برزها أيضا قبل نهاية القرن السابع عشر . أما فى الميدان السياسى . فالديانة السائدة اليوم فى الغرب وفى هذا العالم الذى يأخذ الطابع الغربى فى سرعة فائقة انما هى احياء للعبادة الهلينية التى كانت تقاوم شعائرها للدول المحلية المؤلهة ولا يعدو الأمر أن هذه العبادة تختفى وراء غلالة رقيقة من الديانات السماوية .

ولقد أثبت مأساة التاريخ الهلينى أن هذا الشكل الهلينى من أشكال الوثنية انما هو شبح للحضارة الهلينية نؤويه بين ظهرانينا مع ما فى ذلك من خطر علينا . ومن ثم فانه يتحتم على العالم الحديث أن يطرد ذلك العفريت فى عزم وتصميم اذا ما أرادا أن يجنب نفسه مواجهة المصير ذاته الذى انتهى اليه العالم الهلينى من قبل ص ٢٧٥ .

الكتاب الثـالث :

ول ديورانت ترجمة محمد بدران

قصة الحضارة ، الجزء الثانى من المجلد الثانى ، حياة اليونان ، القاهرة

نموذج لمقاومة اليونان ! ! !

« بركليس »

وقد لا يصدق الانسان لأول وهلة أن هذا « الأولمبى » الصارم كان مرهف الحس بمفاتن النساء ، وان كان لا يرى بعد أن يعيد التفكير ان ذلك من الأمور الطبيعية التى لا غبار عليها ذلك أن سيطرته على نفســه كانت تدفعه الى مقاومة حساسيته الرقيقة ،على حين أن متاعب المنصب قد قوت بلا ريب حنينه الشديد السوى الى رقة الأنوثة ، وكان حين التقى بأسبازيا قد مضى على زواجه زمن طويل ، وكانت هى من ذلك الطراز الذى كانت تحاول خلقه فى بلاد اليونان ، طراز المؤنسات اللاتى أصبح لهن بعد قليل شأن كبير فى الحيــاة الأثينية ـــ وكانت تفضــل أن تعيش معيشة الاختلاط الجنسى غير المشروع بل الاختلاط الجنسى المطلق الى حد ما اذا كان هذا يمكنها من أن تستمتع بحرية الحركة وبالحرية الخلقيــة اللتين يستمتع بهما الرجال .

وان كان ارستفنيز ، وهو عدو سياسى لدود لبركليز لا يؤنبه ضميره لتوجيه أية تهمة لها يصفها بأنها عاهر من ميليطس ، أنشأت بيتــا فخمــا للدعارةفى مجــارا ثم جاءت فى ذلك الوقت ببعض فتياتها الى أثينــا : ص ١٧ ـــ ١٨ .

وجاءت بركليز بأسبازيا الى بيته . غير أن قانونه الذى سنه فى عام ٤٥١ لم يكن يبيح له أن يتخذها زوجة له لأنها من مواليد ميليطيس ، واذا

---

(١) يكتب أحيانا بركليس » وهو زعيم « ما يسمى » الحزب الديمقراطى الأثينى ، واحد القادة المشرة « الاستراتجوى) وصاحب السلطة العليا فى المجلس العسكرى وقد جدد انتخابه لمدة ثلاثين عاما فى الفترة من ٤٦٧ الى ٤٢٨ .

وهو صورة لاحد القادة اليونان كان يعتبر حامى حمى ما يسمى الديمقراطية فى عصره . يتخذ عشيقة له رغم أنه متزوج . والعجيب أن الكاتب يسمى ذلك حرية !!

ولد له منها طفل كان هـذا الطفل بمقتضى هـذا القانون نفسه طفلا غير شرعي ، لا يستطيع أن ينال حق المواطنة الأثينية . ويلوح بأنه وقد أوصى آخر الأمر بكل ما يملك الى ولدها منه ص ١٩ .

وما لبثت أسبازيا أن أصبحت ملكة أثينا غير المتوجة ، تشيع فيها آخر أنماط الحياة الاجتماعية ، وعنها يأخذ نساء المدينة .. مثل الحرية العقلية والأخلاقية التي يتطلعن لها والتي تثير حماستهن . ص ١٩ .

القـــوانين :

يبدو أن القوانين في نظر اليونان الأقدمين عادات مقدسـة ارتضتها الآلهة وأوصت بها ، وكانت لفظة تميس (أي ما يوضع أو يقرر) في لغتهم تطلق على هذه العادات وعلى الآلهة التي يتمثل فيها نظام العـالم الأخلاقي وائتلافه . وكان القانون عندهم جزءا من الدين . وشاهد ذلك أن أقدم القوانين الملكية عنـد اليونان كانت ممتزجة بالطقوس الدينيـة وبقوانين المعابد ص ٢٧ .

القضـــاء :

ولم يكن عند الأثينيين مدع عمومي ، فقد كانت الحكومة تعتمد على المواطنين أن يتهموا أمام المحـاكم كل من يرتكب جريمـة خطيرة ضـد الأخلاق العامة أو الدولة . ومن هنا نشأت طائفة النمامين ديدنهم وعملهم اتهام الناس . وقد تطورت مهنتهم هذه على أيديهم حتى أصبحت فنـا من فنون اغتصاب أموال الناس لكف الأذى عنهم . وكانوا في القرن الرابع يكسبون المال الكثير برفع القضايا أو على الأصح بالتهديد برفعها على

---

(١) هل هذه صورة سوية في الحضارة اليونانية ! المرأة العاهرة تصبح مثلا للحرية العقلية والاخلاقية التي يتطلع اليها ؟؟؟

(٢) هذه اللمحة التي أوردها ديورانت تشير الى التشريع كان دواما جزء من الدين ، وأن ما جرى عليه البشر الغير مسلمين من فصل التشريع عن العقيدة ، ليس أصيلا ، وانمـا الاصل أن يكون الدين كعقيدة وشريعة وهذا ما جاء به الاسلام حينما عرفه آدم وحينما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

الأغنياء لاعتقادهم أن المحاكم الشعبية لا تميل الى تبرئة من يستطيعون أداء الغرامات الكبيرة .

ولم تكن شهادة النساء والقاصرين تقبل الا فى قضايا القتل . أما الأرقاء فلم تكن تقبل شهادتهم الا اذا انتزعت منهم بالتعذيب . فقد كان من المسلم به عند الأثينيين أنهم سيكذبون اذا نجوا من التعذيب . وتلك وصمة فى جبين الشرائع اليونانية ووحشية شاءت الأقدار أن تزداد قسوة فى السجون الرومانية وفى حجرات محاكم التفتيش ، ولعلها لاتقل عما يحدث فى الحجرات السرية التابعة لمحاكم الشرطة فى وقتنا الحاضر ، ص ٣٣ .

وكان من المبادىء المقررة فى القانون اليونانى أن يعاقب العبد فى جسمه وأن يعاقب الحر فى ماله . ص ٣٣ .

ولم تبلغ الشرائع الأثينية ما كنا نتوقعه لها من الاستنارة ، وهى لا تسمو كثيرا عن شرائع حمورابى ، وعيبها الأساسى انها تقصر الحقوق القانونية على الأحرار الذين لا يكادون يتجاوزون سبع السكان . وحتى النساء والأطفال كانوا خارجين عن نطاق المواطنين أصحاب الحقوق . ولم يكن فى وسع النزلاء أو الأجانب أو الارقاء أن يرفعوا الدعاوى الى المحاكم الا عن طريق مواطن يأخذهم فى كنفه . ص ٣٤ .

ولم يكن اليونانى يشعر بأى التزام أدبى نحو الأجانب أو بأى التزام قانونى .

الأحـرار والعبيـد :

وكان من تحت هـذه الطبقات الثلاث : طبقـات المواطنين والغرباء والمعاتيق ـ عبيد اتيكا البالغ عددهم ١١٥٫٠٠٠ وهؤلاء العبيد اما أسرى حرب أو ضحايا غارات الاسترقاق ، وأطفال أنقـذوا وهم معرضون فى العراء ، أو أطفال مهملون . أو مجرمون . وكانت قلة منهم فى بلاد اليونان يونانية الأصل . وكان الهلينى يرى أن الأجانب عبيد بطبعهم لأنهم يبادرون

بالخضوع الى الملوك .. وان التجار اليونان يشترون العبيد كما يشترون أية سلعة من السلع ويعرضونها للبيع . وكان فى أثينة سوق يقف فيه العبيد متأهبين لأن يفحص عنهم وهم مجردون من الثياب ص ٦٥ — ٦٦ .

وقلما كان يسمح للعبد أن يكون له أبناء لأن شراء العبد كان أرخص من تربيته وكان العبد اذا أساء الأدب ضرب بالسوط ، واذا طلب للشهادة عذب واذا ضربه حر لم يكن له أن يدافع عن نفسه ص ٦٧ .

فها هو ذا أفلاطون يندد باستعباد اليونان لليونان ، ولكن فيساعدا هذا يحق الاسترقاق بحجة أن لبعض الناس عقولا غير ممتازة ، وينظر أرسطو الى العبد على انه آلة بشرية . ويظن أن الاسترقاق سيبقى فى صورة ما حتى يحل اليوم الذى تؤدى فيه الآلات التى تدور بنفسها جميع الأعمال الحقيرة (ص ٦٨) .

حرب الطبقات :

ففى ساموس استولى المتطرفون على زمام الحكم فى عام ٤١٢ ، وأعدموا مائتين من الاشراف ، ونفوا أربعمائة آخرين ، وقسموا الأرض والبيوت فيما بينهم وأقاموا مجتمعا آخر شبيها بالمجتمع الذى قضوا عليه. وفى ليونتينى طرد العامة فى عام ٤٢٢ الاقلية الثرية الحاكمة ، ولكنهم سرعان مالاذوا هم أنفسهم بالفرار . وفى كورسيرا اغتالت الأقلية الثرية الحاكمة ستين من زعماء الشعب ، واستولى الدمقراطيون على أزمة الحكم ، وزجوا بأربعمائة من الأشراف فى السجون ، وساقوا خمسين منهم الى المحاكمة أمام هيئة نستطيع أن نسميها لجنة الأمن العام ، وأعدموا الخمسين كلهم فى التو والساعة ، ولما رأى المسجونون الأحياء ما حل بزملائهم قتل بعضهم أنفسهم ، وحوصر الباقون منهم فى هيكل المدينة الذى لجئوا اليه حتى هلكوا من الجوع ويصف توكيد ليدس حرب الطبقات فى بلاد اليونان وصفا ينطبق على حروب الطبقات فى جميع الأوقات يقول فيه :

وظل أهل كرسيرا سبعة أيام طوال يذبحون من مواطنيهم من يرون أنهم أعداء لهم ، ومع ان الجريمة المعزوة اليهم كانت انهم حاولوا القضاء على الدمقراطية ، فان منهم من قتل بسبب الكراهية الشخصية ، ومنهم من قتلهم المدينون لهم ليتخلصوا بقتلهم من ديونهم . وهكذا انتشر الموت فى البلد بجميع أشكاله ، وحدث فى هذا الوقت ما يحدث فى أمثاله فلم يقف العنف عند حد . كان الآباء يقتلون أبناءهم وكان اللائذون بالهيكل يسحبون على وجوههم من فوق مذبح القربان أو يقتلون .. وهكذا جرت الثورة فى مجراها متنقلة من مدينة الى مدينة ، وسارت الأماكن التى وصلت اليها فى آخر الشوط فيما اخترعته من وسائل العنف وفيما ارتكبته من الفظائع فى انتقامها من خصومها الى أبعد مما سارت اليه الأماكن التى تقدمتها بعد ان سمعت بما كان يجرى فى هذه الأماكن السابقة .. وضربت كرسيرا لسائر المدن المثل الأول فى تلك الجرائم .. وفى حروب الانتقام التى لجأ اليها المحكومون .. الذين لم ينعموا فى حياتهم بالعدالة فى المعاملة .. بل لم يلاقوا من حكامهم شيئا سوى العنف ، وذلك حين جاء دورهم وتولوا هم شئون الحكم . كذلك ضربت كرسيرا لسائر المدن مثل المثل الأول فى الحقد الظالم الذى تنطوى عليه صدور الذين يريدون ان يتخلصوا مما الفوه من فقر وتستلىء صدورهم طمعا فيما فى أيدى جيرانهم من نعم ؛ وضربت المثل اكثر من هذا وذلك للافراط فى الوحشية والقسوة التى اندفع اليها بعواطفهم الثائرة رجال لم يبدءوا الكفاح بروح طائفية بل بروح حزبية .. وفى غمار هذه الفوضى التى تردت فيها الحياة فى المدن كشفت الطبيعة البشرية ، التى تثور دائما على القانون والتى أصبحت الآن سيدة القانون ، عن عدم قدرتها على ضبط عواطفها . وعن أنها لا تقيم وزنا للعدالة . وعن عدائها لكل سلطة عليا .. وأصبحت الجرأة والوقاحة فى نظر الناس شجاعة ترتضى من حليف وفى ، كما أصبح التودد الحكيم جبنا مموها ، وأضحى الاعتدال فى نظر الناس ستارا يخفى وراءه خور العزيمة ؛ والقدرة على رؤية جميع نواحى مسألة من المسائل عجزا عن العمل فى واحدة منها .

وكان مصدر هذه الشرور كلها هو الجرى وراء السلطان المنبث من الشر ، والطمع .. واندفع الزعماء فى المدن يطلبون لأنفسهم الجزء الأوفى من المنافع العامة التى يتظاهرون بالحرص عليها مستعينين على ذلك بأجمل العبارات التى يلقونها فى الآذان ، يدعون فيها الى المساواة السياسية بين الناس تارة ، وبضرورة قيام ارستقراطية معتدلة تارة أخرى، ولم يكن هؤلاء يترددون فى استخدام أية وسيلة توصلهم الى السلطان ، فكانوا لذلك يرتكبون أشنع الجرائم ... ولم تكن طائفة من الطائفتين المقتتلتين توقر الدين ، وكان استخدام العبارات المنمقة للوصول بها الى الغايات الاجرامية هو الوسيلة المحببة لسائر الناس .. وكانت البساطة القديسة التى كان للشرف فيها أكبر نصيب موضع السخرية ، ومن أجل هذا لم يعد لها وجود ، وانقسم المجتمع الى معسكرين لا يثق فيهما واحد من الناس بزميله .. وقضى بين هذين المعسكرين على الشيعة المعتدلة من المواطنين لأنها لم تشترك فى الكفاح أو لأن الحسد كان يمنعها أن تفر من الميدان .. وقصارى القول ان العالم الهلينى كله قد زلزلت قواعده وتصدعت أركانه .

الطفـولة :

ولكن القانون والرأى العام كانا فى الوقت نفسه يبيحان قتل الأطفال ويريان فيه وسيلة مشروعة للحد من الزيادة للنسل ومنع تقسيم الأرض تقسيما يؤدى الى الفاقة ، فكان فى وسع كل أب أن يعرض طفله للموت بحجة انه يشك فى صحة انتسابه اليه أو انه ضعيف أو مشوه . وقلما كان يسمح لأبناء الأرقاء أن يعيشوا ، وكانت البنات أكثر تعرضا للموت من الأولاد .

ويكاد فلاسفة اليونان يجمعون على تحبيذ تحديد النسل : فأفلاطون ينادى بتعريض الأطفال الضعفاء ومن يولدون من أبوين منحطين أو طاعنين فى السن الى الجو القاسى ، وارسطا طاليس يدافع عن الاجهاض بحجة انه أفضل من قتل الأطفال بعد أن يولدوا ولم يكن قانون أبقراط الطبى يسمح للطبيب ان يجهض الحامل ، ولكن القابلة اليونانية كانت تحذق هـذه العملية ، ولا تجد قانونا يحول بينها وبين ممارستها ص ٨١ .

التعـــاليم :

انشأت أثينة ساحات للالعاب ومدارس للرياضة البدنية ، وكان بهـــا بعض الاشراف القليل على المدرسين ، ولكن المدينة لم يكن فيها مدارس عامـــة أو خاصة تديرها الدولة ، بل ظل النظام فى أيدى الأفـــراد وكان المدرسون المحترفون ينشئون مدارسهم الخاصة يرسل اليها أبناء الاحرار فى سن السادسة ص ٨٤ .

وكان منهج الدراسة ينقسم ثلاثة أقسام ـــ الكتابة (القراءة والحساب) والموسيقى والألعاب الرياضية والرسم والتصوير .

وكان الرجال يتعلمـــون التعليم العـــالى على يد علمـــاء البـــلاغة والسوفسطائية يلقونهم فن الخطابة ، والعلوم الطبيعية والفلسفة والتاريخ ص ٨٤ .

المبـــادىء الأخلاقيـــة :

ولم يكن الاثينيون فى القرن الخامس مثلا طيبا فى حسن الخلق ، وذلك لأن ارتقاء عقولهم قد احل الكثيرين منهم من تقاليدهم الاخلاقية ، وجعل منهم أفرادا يكادون يكونون لا آخلاق لهم ص ٩٣ .

ولعلك كنت اذا سألت اليونانى قال لك : ان الامانة احسن سياسة ، ولكنه كان فى حياته العملية يجرب كل الوسائل الأخرى اولا . فترى المغنين فى مسرحية ملكتبتس لسفكل يظهرون أعظم العطف على الجندى الجريح الذى تخلى عنه رفقاؤه ، ثم ينتهزون فرصة غفوته فيشيرون على نيوبتلموس أن يغدر به ويسرق سلاحه ، ويتركه بعدئذ لمصيره . وكان كل النـــاس يشكون من أن بائع الاشتات الأثينى يغش بضاعته ، ويخسر الكيل والميزان وينقص ما بقى للمشترى من نقود على الرغم من مفتشى الحكومة ، ويحول مرتكز الميزان نحو الكفة التى بها الموزون ويكذب كلما سنحت له الفرصة وهو متهم بأخذ الوذم من الكلاب .

ويطلق كاتب مسرحى هزلى على بائعى السمك اسم « السفاحين » ويسميهم كاتب آرحم بهم منه « لصوصا » . ولم يكن رجال السياسة خيرا من هؤلاء كثيرا ، فلا تكاد ترى رجلا ذا شأن فى الحياة الوثنية العامة لم يتهم بالالتواء ، واذا وجد فيهم رجلا شريفا مثل ارستيديز عد من خوارق الطبيعة ، يكاد يبلغ حد البشاعة وحتى ديوجين نفسه بمصباحه الذى يسير به فى النهار يعجز عن أن يعثر على رجل آخر شريف . ويقول توكيديدز ان الرجال كانوا أكثر حرصا على ان يوصفوا بالحذق من ان يوصفوا بالامانة ، ويظنون ان الامانة هى السذاجة . وكان من أيسر الأمور انتجد اليونانيين يخونون وطنهم . وفى ذلك يقول بوزنياس :

« ولم يكن ينقص بلاد اليونان فى أى وقت من الأوقات رجال مصابون بهذا الداء داء الخيانة » . وكانت الرشوة هى السبيل المألوفة للرقى ، ولفرار المجرمين من العقاب ، ولنيل المطالب الدبلوماسية . وحصل بركليز علىمبالغ طائلة من المال المخدمات السرية ، وأكبر الظن انه استخدمها لتيسير أسباب المفاوضات الدوليه . وكانت المبادىء الاخلاقية قبلية الطابع الى أقصى حد ، وينصح زنوفون فى رسالة له فى التربيه بالالتجاء الى الكذب والسرقة فى معاملة أعداء البلاد . ويدافع الرسل الأثينيون الذين وفدوا الى اسبارطة فى عام ٤٣٢ عن امبراطوريتهم بتلك العبارات الصريحة :

« لقد كان القانون السائد على الدوام ان يخضع القوى للضعيف . . ولم يسمح أحد بأن تقف المطالبة بالعدالة . سبيل المطامع اذا لاحت للتخلص فرصة كسب شيء ماقوة واقتدارا » . ولا يبعد أن تكون هذه الفقرة هى وخطب الزعماء الاثينين فى ميلوس من خيال توكيديذز الفلسفى اثارتها أقوال بعض السوفسطائين الساخرة ومن أجل هذا فان الحكم على اليونان من اخلاق جورجياس . وكلكيز وثرازيساكوس التى تخالف العرف المألوف لا يكون فيه من العدالة أكثرمما فى وصف الأوربيين المحدثين بالاستناد الى أقوال مكفيلى ، وروشفوكول وتتشة واسترنر الشاذة الغربية ولسنا نحب أن نقول ماذا فى هذا الحكم من عدالة . ومما يدل على ان اليونان يروون

أنهم أرقى من أن يتقيدوا بهذه القيود الأخلاقية أن الاسبارطين لا يترددون في موافقة الاثينيين على هذه الطائفة من نقط الخلاف الأخلاقية .

ولما ان استولى فوبداس اللسديسوني على قلعة طيبة غدرا أو خيـانة على الرغم من معاهدة الصلح المعقودة مع الطيبيين ، وسئل اجسلوس ملك اسبارطة عما فى هذا العمل من العدالة أجاب بقوله : « ليس لك الا أن تسأل هل هو نافع أو غير نافع ، لأن العمل النافع لبلدنا هو العمل الصالح » وكثيرا ما كانت تخرق شروط الهدنة ، وتنقض العهود الصريحة ، وتقتل الوفود . على اننا نعود فنقول : ان اليونان قدلا يختلفون عنا الا فىصراحتهم لا فى مسلكهم ، ذلك أن تفوقنا عنهم فى الرقة يجعلنا نستنكف ان ندعو جهرة الى ما نفعل .

ولم يكن للعادة والدين الا أثر قليل فى كبح جماح المنتصرين فىالحرب لقد كان من الأمور المألوفة ، حتى الحروب الأهلية ، ان تنهب المدنالمفتوحة وان يقتل جميع الجرحى ، وان يذبح جميع أسرى الحرب أو من يقبض عليهم من غير المحاربين ، أو آ نيتخذوا عبيدا اذا لم يفتدوا ، وان تحرق البيوت وأشجار الفاكهة . والمحصولات الزراعية ، وأن تباد الحيوانات، وتتلف البذور لكيلا تزرع فى المستقبل . وقد ذبح الأسبارطيون فى بداية حرب البلوبونيز كل من وجدوهم فى اليونان فى البحر وعاملوهم معاملة الاعداء ، سواء كانوا من احلاف أثينة أو من المحايدين ، وقتل الاسبارطيون فى معركة ايجسبوتامى التى انتهت بها هذه الحرب ، ثلاثة آلاف منالأسرى الأثينيين ـــ ويكاد هؤلاء ان يكونوا صفوة المواطنين الأثينيين الذين قضت الحرب على الكثيرين منهم . وكانت الحرب من نوع ما ـــ حرب مدينة ضد مدينة ـــ أو طبقة ضد طبقة ـــ هى الحالة المألوفة العادية فى بلاد اليونان وعلى هذا النحو أخذت هذه البلاد التى هزمت ملك الملوك يقاتل بعضها بعضا ، فيلقى اليونانى فى ألف موقعة ، ولميكد يمضى قرن واحد على معركة مرثون حتى أخذت الحضارة اليونانية ، وهى أزهى الحضارات فى التاريخ

على الاطـلاق ، تفنى نفسها بهذا الانتحار القـومى الطويل الأمـد .
ص ٩٤ — ٩٧ .

الطبـــاع :

أما الأثينى العادى فهو رجل شهوانى ولكنه رجل ذو ضمير حى ، ولا يرى خطيئة فى ملاذ الجسم ويجد فيها الجواب العاجل للتشاؤم الذى يخيم عليه فى فترات تفكيره ، وهو مغرم بالخمر ولا يستحى أن يسكر منها بين الفينة والفينة ويحب النساء حبا جثمانيا لا يكاد يشعر بأن فيه خطيئة ما ، ولا يجد حرجا فى أن يعفو عن نفسه بعد أن يرتكب خطيئة الاختلاط الجنسى الشاذ ، ولا يرى أن تنكب طريق الفضيلة كارثة لا يسكن النجاة منها . ولكنه رغم هذا يخفف الخمر باضافة ثلاثة أقداح من الماء لكل قدحين منها ، ويرى ان تكرار السكر مخالف لمقتضيات الذوق السليم ، وهو يعظم الاعتدال بل يعبده مخلصا فى عبادته اياه ، ولكنه قلما يسير عليه فى حياته العملية ، ويصوغ مبدأ السيطرة على النفس صياغة لاتجاريها فى الوضوح صياغة أى شعب آخر فى التاريخ لهذاالمبدأ السامى .

أن الأثينيين أذكى من أن يكونوا صالحين ويسخرون من البلاهة أكثر مما يمقتون الرذيلة . وليسوا كلهم حكماء ، وليس لنا ان نتصور ان نساءهم كلهن حسان مثل نسكا . أو ان فيهن من أسباب الجلال ما فى هلن ، كما لا يحق لنا أن نتصور أن رجالهم يجمعون بين شجاعة اجاكس وحكمـة نسطور . لقد حفظ لنا التاريخ أسماء عباقرة اليونان وغفل عن ذكر بلهائهم (عدا نيشياس) .

وقد يبدو عصرنا نفسه عظيما حين ينسى معظمنا . ولا ينجو من هـذا النسيان الا الشوامخ منا . وذا أخرجنا من حسابنا ما يبعثه قدم العهد فى القلوب من عطف وحنان على الأقدمين ، بقى أن نقول أن الأثينى العادة لا يقل دهاء عن الشرقى ، ولا يقل شغفا بالجدة عن الأمريكى ، متشوف طلعة على الدوام ، لاينقطع عن الحركة والانتقال ولا ينفك ينادى بالهدوء

البرمنيدى ، ولكنه مضطرب مهتاج مثل هرقليطس ، ولم يكن لشعب قبل الأثينيين ما كان لهم من قوة الخيال أو فصاحة اللسان ، ولقد كان التفكير الواضح والتعبير الخالى من الغموض يبدو للأثينى من الصفات القدسية، فلم يكن يطيق التشويش والارتباك العلمى ، ويرى أن الحديث الدقيق القائم على المعرفة والذكاء أرقى متع الحضارة . ولقد كان سبب ما امتاز به التفكير وما امتازت به الحياة من غزارة وقوة ، ان اليونانى كان يرى ان الانسان هو المقياس الذى تقدر به الأشياء جميعها ، فالأثينى المتعلم يعتنق العقل ، وقلما كان يشك فى قدرته على ادراك العالم وتصويره ، وكان حب المعرفة والرغبة فى الفهم أنبل عواطفه وأعظم مشتهياته ، وكان شغفه بهما شغفا مسرفا قويا كشغفه بغيرهما . ولقد كشف فيما بعد ان للعقل الانسانى والجهود البشرية حدودا يقفان عندها ولا يتخطيانها ، وكان من الطبيعى ان يكون رد الفعل المترتب على هذا الكشف أن تنتابه حالة من التشاؤم عجيبة لا تتفق قط مع بهجته ومرحه ، وحتى فى العصر الذى بلغ فيه انتاجه الفكرى غايته ، كانت آراء أعمق مفكريه — وهم كتاب المسرحيات لا الفلاسفة — تشوبها عقيدته فى أن بهجة الحياة خداعة قصيرة الأجل ، وان الموت رابض له متربص به .

وكانت روح البحث هى التى أنشأت علوم اليونان ، كما كان الحرص على الاستحواز منشأ حياتهم الاقتصادية والعامل المسيطر عليها . وفى هذا المعنى الأخير يقول أفلاطون مبالغا كعادة علماء الأخلاق : « ان حب الثراء يستحوذ كل الاستحواذ على قلوب الرجال ، فلا يفكرون الا فى أملاكهم الخاصة ، التى تتعلق بها نفس كل مواطن فالأثينيون فى حقيقة أمرهم حيوانات متنافسة ، وبهذه المنافسة القاتلة التى لا هوادة فيها ولا رحمة ، يحفز بعضهم همم بعض . وهم على جانب كبير من الذكاء ولا يقلون دهاء واحتيالا عن الساميين ، وهم صلاب الرأى صلابة العبرانيين كما وصفتهم التوراة ، وهم مثلهم مشاكسون ، معاندون ، متكبرون ، كثيرو اللجاج والمساومة فى البيع والشراء ، لا يتركون نقطة فى حديثهم من غير جدل

ومناقشة ، اذا عجزوا عن محاربة غيرهم من الأمم تحاربوا فيما بينهم . وليسوا على جانب كبير من رقة العواطف ، يعيبون على يوريديز دموعه فى مسرحياته ، يشفقون على الحيوان ويقسون على الانسان : فهم يعذبون العبيد دون ذنب ، ويخيل الى من يراهم أنهم يناموون ملء جفونهم بعد أن يذبحوا جميع من فى المدينة من غير المحاربين ، ولكنهم مع ذلك يكرمون العاجز والفقير ، ودليلنا على ذلك أنه لما علمت الجمعية ان حفيدةارستجيتون قاتل الطغاة تعيش فى لمنوس فقيرة معدمة ، أمدتها بالمال ليكون لها بائنة ولتحصل به على زوج لها . وكان المظلومون المضطهدون من المدن الأخرى يجدون فى أثينة ملجأ يحميهم ويعطف عليهم .

والحق أن الأثينى لم يكن يفكر فى الأخلاق كما نفكر فيها نحن الآن ، فهو لا يأمل أن يكون له ما للصالحين من أفراد الطبقة الوسطى من ضمير أو ما للاشراف من شعور بالشرف ، بل يرى ان أحسن الحياة هى الحياة الكاملة المليئة بالصحة والقوة والجمال والانفعال والثراء والمغامرة ، والتفكير . والفضيلة عنده هى الرجولة أو الحربية كما كان معنى اللفظ فى بادىء الأمر — والتفوق وهى تقابل بالضبط كلمة Viritus عند الرومان ومعناها الرجولة .

العلاقات قبل الزواج :

تبدو أثينة ابان مجدها شرقية أكثر منها أوربية فى أخلاق أهلها ، كما تبدو كذلك فى حروفها الهجائية ، وفى مقاييسها وموازينها ، وسكنها وملابسها وموسيقاها وفلكها وطقوسها الصوفية . ففى الأخلاق يعترف الرجال والنساء اعترافا صريحا بان العلاقة الحيوانية هى أساس الحياة ، لقد كانوا يطلبون الى النساء المحترمات أن يكن عفيفات قبل الزواج ، أما

---

(١) يؤسفنا الاستشهاد بهذه الكلمات التى اوردها هارل ديورانت فى كتابه قصةالحضارة لكى نعطى القارىء صورة عن المجتمع الهلليني المنحل ، الذى استكمل مقومات السقوط منذ قيامه ، ولكى تدحض ما زعمه ارنولد توينبى فى كتابه تاريخ الحضارة الهللينية ص ٢٧٥ من ان الحضارة الاسلامية هى نتاج الحضارة الهللينية .

الرجال غير المتزوجين فلم تكن تفرض عليهم بعد أن يبلغوا الحلم الا القليل من القيود الخلقية . وقد كانت الأعيـاد الكبرى ، وهى دينيه فى أصلها يتغاضون فيها عن التحرر من القيود فى علاقاتهم ان هذا ييسر لهم فيما بقى من العام أن يقتصر كل منهم على زوجته الوحيـدة . ولم يكن الاثينيون يرون أن اتصال الشباب بالحليلات من آن الى آن شيئا من العـار ، ولقد كان فى وسع المتزوجين أنفسهم أن يبسطوا حمايتهم على تلك الخليلات ولا ينالهم لهذا السبب عقاب أخلاقى .

وكانت أثينة تعترف بالبغاء رسميا وتفرض ضريبة على البغايا ، وأصبح العهر فى أثينة ، كما أصبح فى معظم مدن اليونان مهنة كثيرة الرواد ، ذات فروع مختلفة لكل فرع اخصائيات . وكانت السـبيل ميسرة أمام ذات الكفاية للترقى فى هذه المهنة كما كانت ميسرة للترقى فى غيرها من المهن فى تلك المدينة . وكانت أسفل طبقة من العاهرات هى طبقه البرناى ويسكن معظم أفرادها فى بيريه فى مواخير عامة وكان الداخل يجد فيها البنات فى أثواب لا تكاد تستر منهن شيئا . وكان فى وسع الرجل ان يعقد الصفقة التى يريدها بالثمن والزمن الذى يبتغيه .

وتلى هذه الطبقة عند الأثينيين طبقة العازفات على القيثارة ، وأولئك يستخدمون كما تستخدم المسامرات فى اليابان .

وكانت قليلات من العجائز العاهرات يدرأن عن أنفسهن شر الفاقـة بانشاء مدارس لتدريب تلك البنات العازفات .. ص ١٠٤ .

وكان أرقى طبقات العاهرات الأثينيات هى طبقةالهتايراى ومعناها الحرفى الرفيقات ص ١٠٥ .

ولكن قلة مصطفاة من الهتايراى كانت لهن منزلة عالية فى مجالس الرجال الاجتماعية فى أثينة ، ولم يكن أحد من الرجال يستحى أن يرى فى صحبتهن ، وكان الفلاسفة يتبارون فى كسب ودهن ، ومن المؤرخين من يروى تاريخهن بنفس الخشـوع والاجـلال الذى يرون به فلوطرخس ص ١٠٥ .

الصداقة اليونانية :

وأعجب من هذا الوفاق بين البغاء والفلسفة اعتراف اليونانيين فى غير حياء بالانحراف الجنسى . فلقد كان أكبر من ينافس العاهرات هم غلمان أثينة . وكانت العاهرات اللائى يسربلهن العار من قمة رؤوسهن الى أخمص أقدامهن لا يفتأن فى أن يندن بما فى عشق الذكور من فساد خلقى شنيع. ولقد كان التجار يستوردون الغلمان ليبيعوهم لمن يدفع فيهم أغلى الأثمان.

ولم تكن اسبارطة أقل استهتارا من أثينة فى هذا الشذوذ الجنسى . وشاهد ذلك أن الكمان حين أراد أن يثنى على بعض الفتيات سماهن أصدقاء الغلمان الاناث وكانت الشرائع الاثينية تحرم من يمارس رذيلة اللواط من الحقوق السياسية . ولكن الرأى العام كان يتغاضى عن هذه العادة ويجيزها وهو هازل فكه . ولم يكن أهل اسبارطة أو كريت ينظرون اليها نظرة الاستنكار وكان أهل طيبة يرون أنها معين لا ينضب للشجاعة وحسن النظام العسكرى . وكان هرمويوس وارسجيتون ، وهما أعظم بطلين تعتز أثينة بذكراهما من قتلة الطغاة وعشاق الغلمان .

واذا تكلم أفلاطون فى الفردوس عن الحب الانسانى ، فانما يتكلم عن الحب الجنسى بين الذكران ، ويتفق المتجادلون فى محاوراته فى نقطة واحدة — هى أن حب الرجل للرجل أنبل وأكثر روحانية من حب الرجل للمرأة . ونرى هذا الشذوذ نفسه بين النساء . . ص ١٠٨ — ١٠٩ .

ترى كيف يفسر الانسان انتشار هذا الشذوذ فى بلاد اليونان ؟

فأما ارسطاطاليس فيفسر بخوفهم أن تزدحم بلادهم بالسكان ص ١٠٩،

الـزواج :

فلم يكن اليونانى يتزوج لأنه يحب ، ولا لأنه يرغب فى الزواج بل ليحافظ على نفسه وعلى الدولة عن طريق زواج جاءته ببائنة مناسبة ،

وأبنــاء يردون عن روحه الشرور التى تصيبها اذا لم تجد من يعنى بها . ولقد كان رغم هذه المغريات كلها يتجنب الزواج ما دام يستطيع تجنبه ص ١١٣ .

وكان فى وسع الرجل أن يتخذ له فضلا عن زوجتــه خليلة يعاشرها معاشرة الأزواج . وتبيح قوانين دراكون التسرى . ولم يكن الزنا يؤدى الى الطلاق الا اذا ارتكبته الزوجة . وكان من السهل على الرجل ان يطلق زوجته .

المــرأة :

وتتفق الصبغة الشرقية التى اصطبغ بها الزواج اليونانى مع نظام العزلة الأتيكية لهذا الزواج بقطع الصلة بين العروس واقاربها . فتذهب لتعيش عيشة لا تكاد تختلف عن عيشة الخدم فى بيت غير بيتها . تعبد فيه آلهــة غير آلهتها ، ولم يكن فى مقدورها أن تتعاقد على شىء أو أن تستدين أكثر من مبلغ تافه أو أن ترفع قضايا أمام المحاكم . ومن شرائع صولون أن العمل الذى يقوم به انسان تحت تأثير المرأة عمل باطل قانونا . واذا مات الزوج لم ترث زوجته شيئا من ماله .. ص ١١٨ .

المنــزل :

كانت الأسرة اليونانية تتكون من الأب والأم والزوجة الثانية أحيانا ، ومن بناتهما غير المتزوجات وأبنائهما وعبيدهما وزوجات أبنائهما وأطفالهم ، وعبيدهم وكان للأب فى اتكا سلطان واسع فى أسرته ، لقد كان فى وسعه أن يعرض الطفل الحديث الولادة للموت ويبيع عمل أبنــائه القاصرين وبناته غير المتزوجات ، ويزوج بناته لمن يشاء ، ويختار زوجا آخر لأرملته بعد وفاته فى بعض الظروف المعينة ص ١٢١ .

الكتاب الرابع : محمد قطب ، جاهلية القرن العشرين ، دار الشروق

صــفحة من التــاريخ :

أوربا اليوم هى الغالبة على كل الأرض . ان لم يكن بذاتها (وأمريكا مجرد امتداد لها) فبحضارتها ومفاهيمها وتصوراتها وعقائدها .

وتاريخ أوربا كله تاريخ جاهلية متصلة الحلقات .
منذ القدم كانت الجاهلية اليونانية والجاهلية الرومانية . .
ثم كانت جاهلية العقيدة المحرفة فى العصور الوسطى .

وأخيرا كانت الجاهلية الحديثة ، التى هى — فى جانب منها — ارتداد الى الجاهلية اليونانية الرومانية ، وفى جانب آخر « تطور » فى الجاهلية استحدثته الداروينية واستغلته عبقرية التدمير من جانب اليهود . .

واذا كان موضوعنا الرئيسى فى هذا الكتاب هو الجاهلية الحديثة . فاننا سنمر مجرد مرور على جاهلية العصور القديمة وجاهليـة العصور الوسطى ، بمقدار ما يلقى ذلك من الأضواء على الجاهلية الحديثة ، التى لم تنبت فجأة وانما كانت لها جذورها العميقة فى التربة الأوربية وفى أعماق التاريخ !

* * *

الجاهليـة اليونانية والجاهليـة الرومانية هما الأسـاس الحقيقى « للحضارة » الأوربية المعاصرة ، وذلك ماتعترف به المصادر الأوربيـة ذاتها ، وان كانت بطبيعة الحال لا تسميها جاهلية ، وانما تسميها حضارة .

ولقد أفادت « النهضة » الأوربية الحديثة كثيرا — بل كثيرا جدا — من الحضارة الاسلامية ، كما تقول المصادر الأوربية ذاتها ، ولكنها — كما سنبين ذلك فى موضعه من هذا الفصل — لم تسر على الخط الاسـلامى ولا الخط الربانى عامة بما أفادته من الحضارة الاسلامية ، بل صبغت ذلك بالصبغة اليونانية الرومانية . وعادت الى وثنيتها الأولى يغشيها غشـاء رقيق من المسيحية — كما صورتها الكنيسة الأوربية — غشاء ظل يرق رويدا رويدا حتى تمزق نهائيا فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . .

ومن ثم يحسن أن نلم ببعض ملامح الجاهلية اليونانية والرومانية قبل التعرض لجاهلية القرن العشرين .

« كانت الجاهلية اليونانية تحتوى فنونا وفلسفات ونظريات سياسية وتجريدات علمية نظرية . .

وتراثها فى هذه الجوانب تراث كبير . .

وقد عنيت أوربا فى « نهضتها » الحديثة بتتبع التراث اليونانى فى كل جوانبه ودراسته دراسة مستفيضة ، وتفصيصه الى أدق جزئياته . . لأنه المعين الذى تقتات منه أوربا فى عصرها الحديث » .

وانما نريد فقط ــ بغير لوم موجه الى أحد ــ أن نبين جوانب الانحراف فى التراث اليونانى ــ والانحراف سمة دائمة من سمات الجاهلية ــ لأنها تفيدنا فى تبين ملامح الجاهلية الحديثة ، التى تستمد غذاءها من ذلك التراث .

وفى التراث اليونانى أشياء كثيرة نافعة دون شك . . كما فى التراث المصرى القديم والتراث العربى القديم والتراث الفارسى القديم والتراث الهندى والصينى ... الخ . ولكن هناك أمران يستحقان التنبيه فى هذا الشأن :

الأول : ان أوربا ــ فى جاهليتها الحديثة ــ قد بالغت مبالغة شديدة فى تضخيم التراث اليونانى ــ تعصبا منها لأوربا ــ حتى خيلت للناس أنه ــ فى جميع أحواله ــ القمة التى ليس بعدها قمة .. بل القمة التى يقاس اليها الوحى الالهى ذاته فيصدق أو يكذب ــ وهو غالبا يكذب ــ لأنها المحك الصادق الذى لا يوجد أصدق منه فى الوجود ! !

الثانى : ان اعجابنا ببعض جوانب هذا التراث ــ كاعجابنا ببعض التراث المصرى القديم أو الفارسى أو الهندى أو الصينى ــ لا ينبغى أن يكون معناه اعطاء هذا التراث قيمة « مطلقة » فانما يقاس دائما الى وقته . ولا ينبغى أن يكون معناه كذلك استيحاء هذا التراث فى انحرافاته

الجاهلية لأنه لا عذر لنا نحن فى استيحائها واتباعها ، بعد اذ خرجنا ــ أو ينبغى أن نكون قد خرجنا ــ من الجاهلية الى النور .

وعلى هذا الأساس نعرض انحرافات التراث اليونانى . . أو الجاهلية اليونانية هذه الجاهلية التى أوحت ــ ورسخت ــ فكرة الصراع بين البشر وبين الله ! أو « الآلهة » .

وبصرف النظر عن الاعتقاد بتعدد الآلهة ــ وهو سمة كل جاهلية ، قديمة أو حديثة ، سواء كانت الآلهة مادية محسوسة أو معنوية ، وسواء أكان هذا الاعتقاد مباشرا وواضحا أم ضمنيا وخافيا ــ بصرف النظر عن التعدد فى ذاته ، فقد أضافت الجاهلية اليونانية اليه فكرة العداوة الضارية بين البشر وأولئك الآلهة المزعومين . .

وخير مثال لذلك أسطورة بروميثيوس ، سارق النار المقدسة .

« فبروميثيوس » كائن اسطورى كان الاله « زيوس » يستخدمه فى خلق الناس من الماء والطين . وقد أحس بالعطف نحو البشر ، فسرق لهم النار المقدسة من السماء وأعطاها لهم فعاقبه « زيوس » على ذلك بأن قيده بالسلاسل فى جبال القوقاز حيث وكل به نسر يرعى كبده طول النهار وتتجدد الكبد فى أثناء الليل ليتجدد عذابه فى النهار . ولكى ينتقم « زيوس » من وجود النار المقدسة بين أيدى البشر أرسل اليهم «باندورا» أول كائن أنثى على وجه الأرض ــ ومعها صندوق يشتمل على كافة أنواع الشرور ليدمر الجنس البشرى !! فلما تزوجها « أيبميثيوس » ــ أخو « بروميثيوس » ــ وتقبل منها هدية « الآله » فتح الصندوق فانتشرت الشرور وملأت وجه الأرض !!

« تلك طبيعة العلاقة بين البشر والله ، النار المقدسة ، نار « المعرفة » قد استولى عليها البشر سرقة واغتصابا من الآلهة ، ليعرفوا أسرار الكون والحياة ويصبحوا آلهة ، والآلهة تنتقم منهم فى وحشية وعنف ، لتنفرد وحدها بالقوة وتنفرد دونهم بالسلطان » .

وقد قالت أوربا — فى جاهليتها الحديثة — كلاما كثيرا جدا عن الأساطير اليونانية المختلفة ، وعن هذه الأسطورة بالذات . . قالت انه صراع الانسان لاثبات ذاته ، اثبات وجوده ! اثبات فاعليته فى الحياة ! اثبات ايجابته ! وان العصيان — عصيان الله — هو برهان الايجابية والفاعلية واثبات الذات !

ولسنا هنا نناقش الجاهلية الحديثة .. وانما نحن هنا نعرض فقط ألوانا من الجاهلية اليونانية ليتضح لنا كيف أثرت فى الفكر الاوربى فيما بعد .

انه انحراف بشع تكاد تنفرد به — فيما أعلم — تلك الجاهلية ، فالجاهليات الأخرى — فيما أعلم كذلك — قد توهمت وجود آلهة متعددة . وجعلت من بعض هؤلاء الآلهة آلهة شريرين صناعتهم الشر والانتقام والايقاع بالانسان بلا غاية سوى التدمير والاهلاك . . ولكن الجاهلية اليونانيه وحدها هى التى اختصت بتصوير هذا الصراع المنفر بين البشر والآلهة ، من أجل اثبات فاعلية الانسان وايجابيته ، فكتبت اللعنة على الانسان : انه لا يثبت ذاته الا على حساب عقيدته وان ضميره لا يصطلح مع الله ، فلا يقوم الوئام داخل نفسه بين رغبته الفطرية فى اثبات ذاته ، ورغبته الفطرية فى الايمان بالله !

* * *

والجاهلية اليونانية هى التى قدست « العقل » على حساب الروح .

انها ، وهى تحاول — فيما تزعم لها الجاهلية الأوربية الحديثة — ان تبرز كيان الانسان وقداسته ، وايجابيته ، وعلو قدره ، ورفعة جوهره ، وارتفاع قيمته فى الحياة قد أهدرت أرفع جوانبه وأعظمها — جانب الروح — فلم تلتفت اليه كثيرا كما التفتت الى العقل وجعلته سيد الانسان .

والعقل طاقة بشرية ضخمة تؤدى دورها الكامل فى اثبات وجود الانسان وفاعليته وايجابيته فى هذا الكون ما فى ذلك شك . ولكن الايمان به

وحده .. أو الايمان به على حساب الروح .. هو انحراف جاهلى يصغر من قيمة هذا الانسان فى النهاية ، حين يجعله حيوانا عاقلا فحسب ، كما عرفته الفلسفة اليونانية ، وهو فى حقيقته « انسان » .. كائن آخر غير الحيوان ، انسان رفيع بكيانه كله لا بعقله وحده .. ورفيع بشموله وتكامله وترابطه . بصورة فريدة لا تتحقق الا فى الانسان .

ومن جراء هذا التقديس للعقل على حساب الروح ، أو على حساب الجانب الملهم من الانسان ، حدثت جملة انحرافات فى الجاهلية اليونانية .. فما لا يستطيع العقل ادراكه يصبح شيئا ساقطا من الحساب . وكل الوجود يتناول من جانبه العقلى وحده .. بما فى ذلك الوجود الالهى ذاته .. فالله سبحانه ــ موجود بمقدار ما يستطيع العقل ان يدركه ... ولا وجود له الا فى داخل ذلك الاطار ، أما الادراك « الروحى » لله فضعيف الأثر جــدا فى الانتاج اليونانى كله (وفى الجاهلية الحديثة من بعد) .

كذلك حدثت التجريدات الذهنية التى ملأت الفلسفة اليونانية ــ وهى نتيجة طبيعية للمبالغة فى الاهتمام بالعقل ــ والتى ظلت تستنفد طاقة أوربا فى جاهليتها الوسطى حتى نبذتها فى عصرها الأخير بتأثير المذهب التجريبى الذى أخذته عن المسلمين ، كما سنبين فيما بعد .

وكذلك صارت « الأخلاق » قضايا ذهنية أكثر مما هى واقع عملى حى . وحقيقة ان « الديمقراطية » اليونانية كانت تربى أفرادها على فضائل اجتماعية معينة ، ولكنها ــ بعقلها ــ لم تهتد مثلا الى الحاسة الخلقية فى أمر الفوضى الجنسية .. فتركتها بلا ضابط ، وأدى بها ذلك الى الدمار ..

* * *

تلك « بعض » انحرافات الجاهلية اليونانية ، نمر بها سريعا لأنهــا ــ كما قلنا ــ ليست نقطة الارتكاز فى هذا البحث . ولكنا نود أن نخرج منها بمجموعة من الحقائق تنفعنا فى متابعة النظر فى أمر الجاهلية الحديثة وكل جاهلية فى التاريخ .

أولا : ان وجود بعض الفضائل أو المزايا أو الانتاج الرفيع فى أية جاهلية ولا تخلو أية جاهلية من مثل ذلك ــ لا يعنى انها كانت تحيا حياة سليمة ، ولا انها صالحة للاتباع والاقتباس .

ثانيا : ان وجود هذه الفضائل والمزايا والانتاج الرفيع فى أية جاهلية لا يرفع عنها وصمة الجاهلية ، فانها مصابة حتما بانحرافات تشوه هذه المزايا كلها وتفسد حصيلتها فى النهاية .

ثالثا : ان السبب الرئيسى فى هذه الانحرافات ان الجاهلية تحكم بأهوائها ــ وبمعرفتها البشرية القاصرة .. سيان ! ــ لأنها لا تعرف هدى الله ، أو تعرفه وتنحرف عنه لتتبع سواه !

الكتاب الخامس : السيد أبى الحسن على الحسينيى الندوى

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ــ الطبعة السادسة بيروت (١٣٨٥)

« ليست الحضارة الغربية فى القرن العشرين المسيحى وليدة هذه القرون المتأخرة التى تلت القرون المظلمة فى أوربا أو حديثة كما يتوهم الكثير من الناس ، بل يرجع تاريخها الى آلاف من السنين ، فهى سليلة الحضارة اليونانية والحضارة الرومية قد خلفتهما فى تراثهما السياسى والعقلى والمدنى ، وورثت عنهما كل ما خلفتا من ممتلكات ونظام سياسى وفلسفة اجتماعية ، وتراث عقلى وعلمى ، وانطبعت فيها ميولهما ونزعاتهما وخصائصهما ، بل انحدرت اليهما فى الدم ، فقد كانت الحضارة اليونانية أول مظهر رائع ــ حفظه لنا التاريخ ــ للعقلية الأوربية . وأول حضارة ــ سجلها التاريخ ــ قامت على أساس الفلسفة الأوربية تجلت فيها النفسية الأوربية ، وعلى أنقاضها قام صرح الحضارة الرومية تحمل روحا واحدة هى الروح الأوربية ، وظلت الشعوب الأوربية طيلة قرون محتفظة بخصائصها وطبيعتها ، وارثة لفلسفتها وعلومها وآدابها وأفكارها ، حتى برزت بها فى القرن التاسع عشر فى ثوب براق يوهمك ــ بطلاوته وزهو ألوانه ــ انه جديد النسج ولكن لحمته وسداه من نسج اليونان والرومان .

اذا يحسن بنا أن نتعرف بالحضارة اليونانية والرومية أولا وأن نعرف طبائعهما وروحهما ، حتى تكون على بصيرة فى انتقاد الحضـــارة الغربية والحكم عليها فى القرن العشرين .

خصـــائص الحضـــارة الاغريقية :

اليونان أمة موهوبة ، من أنجب أمم العالم وأذكاها وأكثرها استعدادا للعلم والأدب ، ومن أخصبها اذهانا وعقولا ، وقد مثلت فى العالم دورا خالدا بفلسفتها وأدبها ووفرة من نبغ فيه من العلماء والحكماء والعبقريين تزهو بآثارهم مكتبات العالم .

والذى يعنينا الآن هو ان نعرف طبيعة الحضارة التى أنشأوها ، فاذا نظرنا فيها نظرة تحليل وانتقاد وصرفنا النظر عما تشترك فيه مع الحضارات من مظاهر وظواهر وبحثنا عن طبيعتها وخصائصها وجدنا من المزايا التى تمتاز بها عن المدنيات الأخرى خصوصا المدنيات الشرقية ـــ ما يلى :

١ — الايمان بالمحسوس وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس .

٢ — قلة الدين والخشوع .

٣ — شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها .

٤ — النزعة الوطنية .

ويمكن ان نحصر هذه المظاهر المتشتتة فى كلمة مفردة وهى « المادية» فكانت الحضارة اليونانية شعارها « المادية » وهى التى يتم بها كل ما يتصل باليونان من ثقافة وعلم وفلسفة وشعر ودين ، فلم يستطيعوا أن يتصوروا صفات الله وقدرته الا فى شكل آلهة شتى نحتوا لها تماثيل وبنوا لها معابد وهياكل ، فللرزق اله ، وللرحمة اله ، وللقهر اله ، ثم نسبوا اليها كل ما يختص بالجسم المادى ونسجوا حولها نسائج من أساطير وخرافات ، وصوروا المعانى المجردة وتصوروها فى أجسام وأشـــكال ، فللحب اله وللجمال اله ، وليس نظام العقول العشرة والأفـــلاك التسعة فى فلسفة

ارسطاطاليس الا رشحة من رشحات هذه المادة التى لا تتخلى عنها الطبيعة اليونانية .

وقد سلم العلماء الأوربيون بغلبة المادية فى الحضارة اليونانية ، ونوهوا بها فى كتبهم وبحوثهم العلمية ، وقد ألقى العالم الألمانى الدكتور « هاس » ثلاث محاضرات فى جنيف عنوانها « ما هى المدنية الأوربية ؟ » وهو من العلماء الذين يرون ان المدنية الغربية لم تتاثر بالشرق ، وانها مدنية مفردة ممتازة ونلخص هنا كلامه فيما نحن بصدده :

« المدنية اليونانية هى مركز المدنية الغربية الحاضرة ، وكان المهم عند رجالها نشوء قوى الانسان نشوءا متناسبا ، وكان المثل الكامل عندهم الجسم الجميل المتناسب ، وليس هذا الا اعتدادا بالمحسوسات اعتدادا كبيرا ، وكان آكبر عنايتهم بالرياضة البدنية والألعاب الرياضية والرقص وغيره ، وكان التثقيف الذهنى الذى يحتوى على الشعر والغناء والتمثيل والفلسفة وعلوم الطبيعة لا يتجاوز حدا خاصا حتى لا يكون ارتقاء الذهن على حساب الجسم ، وكان الدين خلوا من الروحانيةالمعنوية لم يكن فيه علم الدين ولا طبقة رجال الدين . اما اللون الروحى الذى فى تقاليد « أزفس » وغيرها فانما هو مستعار من الشرق ولا يصح ان ينسب الى المدنية اليونانية .

ولاحظ كثير من العلماء الأوربيين رقة الدين فى اليونان وقلة الخشوع والجد فى أعمالهموكثرة اللهو والترف فى حياتهم . يقول ليكى فى كتابه « تاريخ أخلاق أوربا » ان الحركة اليونانية كانت عقلية وذهنية محضة ، وكانت الحركة المصرية بالعكس من الأولى ، روحية باطنية . وينقل « أبوليس » المؤلف الرومى قوله : « ان المصريين كانوا يعظمون آلهتهم بالتضرع والبكاء ، وكان اليونانيون يعظمون آلهتهم بالرقص والغناء ، ويعلق عليه بقوله : « لا ريب ان التاريخ اليونانى يصدق ذلك ويؤيده فلا نعلم دينا من الأديان يزاحم دين اليونان وتقاليده فى كثرة الأفراح

والأعياد والألعاب وفى قلبه الخشية والخشوع ، فلم يكن اليونان يعظمون الله تعالى الا كما يعظمون شيوخهم وعظماءهم ، وكانوا يكتفون فى تعظيمه وتمجيده برسوم عادية وتقاليد جارية » .

وكان لليونان فلسفة الهية وعقائد يستغرب معها الخشوع لله وعبادته وللتضرع له والالتجاء اليه والاطراح على عتبته ، فان من ينفى الصفات عن الله تعالى ويعطله وينفى عنه الاختيار والأفعال والخلق والأمر فى هذا الكون، ويربط هذا العالم بما يسمونه « العقل الفعال وحركات الافلاك » فانه بطبيعة هذه العقيدة لا يقصد الله فى حياته العملية الا تقليدا ولا يرجوه ولا يهابه ولا يحبه ولا يخر لعظمته ، ولا يستغيث به فى شدته ولا يسبح بحمده ويعيش كأنه لا اله ولا رب ، فاذا سمعنا ان اليونان لم يكونوا خاشعين لله وكانت عباداتهم وأعمالهم الدينية أجسادا بغير أرواح ، وأنهم كانوا يعظمون الله كما كانوا يعظمون شيوخهم وكبارهم لم نستغربه البته ، وانما نتعجب اذا سمعنا عكس ذلك ، وقد أثرت شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والمبالغة فى قيمتها وكذلك الولوع بالتماثيل والصور والغناء والموسيقى التى يسميها اليونان الفنون الجميلة ولهج الأدباء والمؤلفين بالحرية الشخصية التى لا تعرف قيدا ولا تقف عند حد تاثيرا سيئا فى أخلاق اليونان ومجتمعها ،فانتشرت الفوضى فى الأخلاق وحدثت ثورة على كل نظام ، وأصبح شعار الرجل الجمهورى (وهو كناية عن الحر والمتنور) الجرى وراء الشهوات العاجلة وانتهاب المسرات ، والتهام الحياة التهام الجائع النهم يصف ، سقراط ـ كما ينقل عنه أفلاطون فى كتابه «المملكة» ـ الرجل الجمهورى فكأنما يصف ناقد من نقاد هذا القرن فتى القرن العشرين فى احدى عواصم المدنية الغربية .

« اذا قيل له : ان بعض المسرات من الرغبات التى هى طيبة وتستحق الاحترام وبعضها من الشهوات التى هى قبيحة ، وان الأولى ينبغى أن يعمل بمقتضاها وتحترم ، والأخرى مما ينبغى أن يمنع عنها ويقام عليها الحجر ،

لم يقبل هذا الرجل هذا القانون الصحيح ولا يسمح بسماعه ، فاذا عرضت عليه هذه الحقائق انغض اليك رأسه مستهزئا وأكد ان جميع الشهوات سواء وتستحق الاحترام بغير فرق بينهـا ، وهكذا يعيش ويقضى أيامه مرضيا شهواته التى تعتريه أحيانا ، ذات يوم تراه سكران ثملا مصغيا الى الغناء ، وفى يوم آخر تراه صائما يجتزىء بالماء ، وتارة يدخل فى التربية والتمرين ، وأخرى تراه كسلانا عاطلا يهمل كل شىء ، ومرة تراه يعيش عيش فيلسوف ، وأحيانا يدخل فى السياسة وينهض ويخطب بمقتضى الوقت ، ربما يمدح بعض رجال الحرب والجندية ويميل اليهم أو يشرع فى التجارة لأنه يغبط التاجر الرابح ، ليس لحياته نظام ولا ضبط ولكنه يعد هذه الحياة هنيئة ناعمة سارة ويواصلها الى النهاية » .

أما الوطنية فهى من اللوازم الطبيعية الأوربية ، وهى أظهر وأقوى فى أوربا منها فى آسيا ، وقد اغرى بذلك الطبيعـة الجغرافية واوحته ، لأن المناطق الطبيعية فى آسيا واسعة جدا وتشمل على مناخات وعلى أجيـال وأنواع كثيرة للبشر ، وهى غنية مخصبة فى وسائل المعيشة ، فالمملكة فى القارة الآسيوية تجنح بحكم الطبيعة الى السـعة والعموم ، وظهرت فى أرضها وازدهرت أوسع ممالك عرفها التاريخ ، أما فى أوربا فالتنازع على البقاء فيها شـديد والكفاح للحياة دائم مستمر ، لتزاحم العمران وضيق المناطق وقلة وسائل المعيشة ، وقد حصرت الجبـال والأنهار الأجنـاس الأوربية فى نطاق ضيق طبعى دائم ، والأخص الجزء الأوسط الغربى والجزء الجنوبى من أوربا ، لا يسمح لممالك واسعة عظيمة ، وقد شاءت طبيعـة هذه القارة أن تكون منشأ للممالك ضيقة صغيرة ، لذلك كان التصـور السياسى فى أوربا فى القديم لا يكاد يجاوز ممالك بلدية لا تزيد منطقتها على أميال مستقلة استقلالا تاما ، وأكبر مظهر لهذا التصور أرض يونان حيث وجدت من فجر التاريخ عشرات من مدن صغيرةمستقلة .

فلا عجب، اذا كان اليونانيون يدينون بالوطنية وينتحلونها ، وقد سلم « ليكى » أن الفكرة الوطنية هى الفكرة السائدة فى اليونان ، وكانت الفكرة العالمية التى قد نطق بها بعض حكمائهم كسقراط وانكساغورس شاذة لم تنل أنصار أو انتصارا فى اليونان فكان نظام ارسطاطاليس الأخلاقى مبنيا على التمييز بين اليونانى وغير اليونانى ، وكان حب الوطن يتقدم فضائل الأخلاق التى أجمع عليها حكماء اليونان ، وأن أرسطاطاليس لم يكتف بحب وطنه والولاء له فحسب ، بل قال : ان اليونانيين ينبغى لهم أن يعاملوا الأجانب بما يعاملون به البهائم ، وقد راجت هذه الفكرة الوطنية الضيقة فى الأوساط اليونانية وتغلغلت فى الأحشاء ، حتى لما قال فيلسوف أنه لا يخص مواطنيه بمواساته بل سيكون بره عاما لجميع اليونانيين استشرفه الناس عجبا ونظروا اليه شزرا .

التحليل والتقييم فى ضوء التصور الاسلامى

هل كان المجتمع اليونانى مجتمعا ضالا أم مجتمعا مهتديا ؟

خلق الله سبحانه وتعالى ــ هذا الكون العريض وخلق الانسان واستخلفه فيه بعد أن أخذ عليه العهد : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » (الأعراف : ۱۷۲ ــ ۱۷۳) .

ومن كرم الله ورحمته انه سبحانه وتعالى لم يترك الانسان على مدار تاريخه الطويل نهبا للحيرة والقلق ، بل تعهده بالرسل ليعيدوه لربه الحق ويرسمون له طريق الهداية : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (النحل : ٣٦) .

وتاريخ البشر كله فى الأرض لا يخرج عن أحد هذين الوضعين : الهدى أو الضلال ــ الاسلام أو الجاهلية .

وهنا نقف لنتساءل : الى أى الوضعين كان ينتمى المجتمع اليونانى بعد كل ما قرأنا وسمعنا ؟ هل كان مجتمعا مهتديا أم مجتمعا ضالا ؟

ان المجتمع اليونانى كان مجتمعا ضالا (١) .. جاهليا لأنه كان لا يؤمن بالله الايمان الحق ولا يعبده حق العبادة التى تتمثل فى التحاكم اليه وحده فى امر الحياة كلها واسلام الوجه له فى كل شىء ، يستوى فى ذلك العقيدة والشريعه .. كما كان يتبع هواه ويتميز كذلك بوجود طواغيت تصرف الناس عن عبادة الله الواحد والحكم بشريعته ليتحولوا الى عبادتهم والحكم بشريعتهم اى بأهوائهم وذلك بالاضافه الى الانحراف فى تيار الشهوات .

ولالقاء مزيد من الضوء على هـــده الحقيقة نود ان نطرح الاسئلة التالية :

ما هى الأهداف النبيلة وراء ما خاضه اليونان من الصراعات والحروب؟

هل جرى شىء منها لاعلاء كلمة حق .. ؟ أو لنصرة مظلوم .. ؟ أو لاقرار العداله فى حياة الناس .. ؟ أو لازاحه طواغيت الأرض والتخلية بين الناس وربهم الحق .. ؟ أو لاقامة منهج سماوى يحقق الراحه والطمأنينة فى حياة البشريه التائهة .. ؟

هل أحس أحد حكام اليونان أنه بشر قبل كل شىء .. وانه واحد من الناس وانه لا يفضلهم الا بمقدار ما حواه قلبه من تقوى الله .. وان لا يجب عليه ان يحكم اهواءه فى مصالح المجتمع والناس .. ولا أن ينجرف فى تيار الشهوات ؟

---

(١) طبقا للمنهج كان من الواجب علينا أيضا أن نتحدث عن سمات المجتمع المهتدى لكى يتأكد لنا أن المجتمع اليونانى لم يكن يحمل هذه السمات . ولكن ضيق الوقت والمكان لم يسمح لنا بذلك ــ وقد قصدنا الى تسجيل هذه الملاحظة للاستفادة بها فى المنهج الاسلامى ، لكتابة ودراسة التاريخ باذن الله .

هل شاهدنا حاكما يونانيا يعتقد أنه لا سلطان له على أرواح النـــاس ومواردهم وانه من حق الشعب أن يقومه اذا أخطأ ويعينه ان هو اصاب ؟

هل تعرفنا على شعب حاول أن يزيح عن عينيـــه وقلبه وسمعه ركام الجاهليات التي رانت عليها ليعرف ربه ونفسه ؟

والاجابة على هــذه الأسئلة يمكنكم أن تستخرجوها بأنفسكم دون مشقة أو عناء اذا ما أعدتم تصفح هذه المذكرات . انه لم يتحقق شيء من ذلك كله أو بعضه سواء في حيـــاة الانسان اليوناني أو الشـعوب التي استعمرها على مدار تاريخه القديم الذي ألممنا بطرف منه بقدر توفيق الله لنا ثم بقدر ما وسعنا من جهد ، وسمح الوقت لنا .

لقد ظل الشعب اليوناني يعـــاني من ظلم الحكام اليونان وجشعهم وسطوتهم وجبروتهم .. لقد استمرت البشرية تعاني من ركام الجاهليات التي تحيط بها .. لقد كانت البشرية تعاني خواءا روحيا لعدم انصـــياعها لعقيدة تعرفها بالهها الواحد ثم بهذا الوجود الذي تعيش فيه وعلاقاتها به ، وغاية وجودها الانساني ومكانها في هذا الكون ووظيفتها .

لقد كانت الانسانية بحاجة الى من يقدم لها تصورا لحقيقة الانســـان وحقوقه وواجباته وتكاليفه والقيم التي توزن بها حياته ونشاطه ومكانته والتي تقوم عليها علاقاته بربه ، وعلاقاته بأهله وعلاقاته بأبناء جنسه وعلاقاته بالكون والأحياء والأشياء .

لقد كانت أيضا بحاجة الى من يعرفها بموقفها من الحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأنظمة والأوضاع والروابط التي تنظم هذه الحقوق والواجبات ، لقد كانت بحاجة الى عقيدة تملؤها بالثقة واليقين في يوم مريح وغد مشرق بالأمل والطمأنينة .. لقد كان الانسان بحاجة الى ذلك كله ، لكنه لم يجد في النظام السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي اليوناني ما يحقق له ذلك . لماذا ؟ .. لأن الحاكم اليوناني كان يدعي الحاكمية المطلقة التي ينشأ عنها حق التشريع للعباد وحق وضـــع

المناهج لحياتهم .. وحق وضع القيم التى تقوم عليها هـذه الحياة تلك المناهج لم تحقق كرامة الانسان ولم تمنحه الحرية الحقيقية ولم تطلقه من العبودية لأن المجتمع اليونانى كان مؤسسا على اعتبـار الدماء المتفاضلة للشعب اليونانى .

تلك المناهج اليونانية الوضـعية لم تكن مبرأة من نتـائج الهوى الانسانى والضعف الانسانى والرغبة الانسانية فى النفع الذاتى وفى تحقيق ذلك عن طريق التشريع لشخص المشرع أو لأسرته أو طبقته او لحزبه .

لقد عانى الناس فى ظل الاستعمار اليونانى من الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب عانى الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ الجنسى والمرض والجنون .

ان المنهج اليونانى قد عبد الناس آلهة كانوا يتصورونها غاية الوجود الانسانى اله المال ، واله اللذة ، واله الشهرة ، ومن ثم لم يجدوا أنفسهم لأنهم لم يجدوا غاية وجودهم الانسانى .

تلك المناهج الوضعية تعكس لنـا نتائج الجهل الانسانى والقصـور الانسانى ، انها تعكس لنا عدم القدرة على التفسير الشامل للوجود ولمكان الانسـان كما هى الحقيقية لا كما يرسمها الجهـل والضعف والهوى البشرى ،.. أى ان نظام المجتمع اليونانى لم يقم على جذوره الطبيعية أى انه كان نظاما مصطنعا . ولذلك لم يعش طويلا ــ فقد انهار فى فترة وجيزة.

ولكن كيف تسنى لنا ولاخوتنا فى الاسلام أن نصـدر ذلك الحكم السالف الذكر بأن المجتمع اليونانى كان مجتمعا ضالا ؟

الحقيقة أن اصدار ذلك الحكم جاء نتيجة لدراسـة واقع المجتمع اليونانى حينذاك ، ومقارنته بالمجتمعات الغير مهتدية التى حدثنا عنهـا القرآن الكريم والسنة المطهرة :

ومثال ذلك :

مجتمع بنى اسرائيل :

كان أكثر أصحابها مشركين ، كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .. كانوا يسفكون الدماء ويخرجون الناس من ديارهم .. كانوا يقتلون النبيين بغير الحق .. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه .. كانوا ينقضون المواثيق وأولها ميثاقهم مع الله عز وجل . كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل ويدلوا بها الى الحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم .. كانوا يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون .. كانوا يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت .. الخ .. وفى ذلك يقول رب العباد :

« أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (البقرة) .

« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنت معرضون . واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » (البقرة : ٨٣ ــ ٨٦) .
« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (البقرة : ٨٧) .

« قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين » (البقرة : ٩١) .
« ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » (البقرة : ١٠٨).
« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (المائدة : ٧٨ ــ ٧٩) .

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (البقرة : ١٨٨) .

« ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » (البقرة : ٤٢) .

« وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون » (المائدة : ٦٢) .

مثال ثان :

مجتمع الفراعنة :

كان الفراعنة يدعون الربوبية فكذبوا الرسل وعصوا رب العباد .. وكانوا طغاة فى البلاد فأكثروا فيها الفساد .. كانوا يسومون الناس سوء العذاب ويذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم .. الخ .

« اذهب الى فرعون انه طغى . فقل هل لك الى أن تزكى . واهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى » (النازعات : ١٧ ــ ٢٥) .

« وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة . فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية » (الحاقة : ١٠ ــ ١٢) .

« وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك لبالمرصاد » (الفجر : ١٠ ــ ١٢).

« واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » (البقرة : ٤٩).

« كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين » .

مثال ثالث :

مجتمع قوم لوط :

رفضوا تسيير حياتهم وفق منهج الله واتبعوا شهواتهم ، فكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء .

قال سبحانه وتعالى :

« ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون . أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون . فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون . فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين ، وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين » (النمل : ٥٣ ــ ٥٨) .

« وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (العنكبوت : ٤٠) .

« وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » (الحجر : ٦٦) .

مثال رابع :

مجتمع أهل مدين :

رفض أهل مدين العقيدة والشريعة ، فكفروا بالله ومنهج الاسلام وكانوا لا يوفون الكيل أو الميزان وكانوا يبخسون الناس أشياءهم وكانوا يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . وفى ذلك يحدثنا القرآن الكريم :

« والى مدين أخاهم شعيبا قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ؛ وقد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها . ذلكم خير لكم ان

كنتم مؤمنين . ولا تقعدوا بكل صراط توعدون . وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم . وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين » (الأعراف : ٨٥ ـــ ٨٦) .

« فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين . الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين » (الأعراف : ٩١ ـــ ٩٢) .

وغير هـــذه الأمثلة حدثنا الله فى القرآن الكريم عن صـــور مماثلة لمجتمعات ضالة غير مهتدية ..

فتلك المجتمعات الضالة عاشت ما شاء الله لها أن تعيش ، ولكنها فى النهاية انهارت وسقطت ودمرت لأنها استكملت الملامح التى تؤهلها لغضب الله وانتقامه :

« فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم » (ابراهيم : ١٣) .

« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار .. وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال » (الحجر : ٤٤ ـــ ٤٥) .

« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون . وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم » (الحجر : ٣ ـــ ٤) .

« قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القـــواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » (النحل : ٢٠) .

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا » (الاسراء : ١٦) .

« وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون » (الأنعام : ١٢٣) .

« وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » (الأنعام : ١٢٩) .

« ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون » (الأنعام : ١٣٠) .

« وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون . فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين . فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين » (الأعراف : ٢ ـ ٦) .

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون » (النحل : ١١٣) .

« وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا » (الكهف : ٥٩) .

الديانة والحضارة الاسلامية ليستا امتدادا للمعتقدات والحضارة الأوربية القديمة ممثلة فى التراثين اليونانى والرومانى :

لاحظنا أن حضارة اليونان ومدنياتهم التى ورثوا الجانب الأعظم منها عن أمم الشرق الأدنى . كانت ولا زالت عاجزة عن ضمان سعادة وطمأنينة الانسان اليونانى وغيره . بل على العكس سببت الشقاء الذى تقلب فيه الشعب وسار على أشواكه واصطلى بناره .

والحضارة اليونانية وقفت فى وجه الفطرة الانسانية ففصلت الدين عن الدولة . فالدين فى المعابد والدولة تحكم كما تشاء وبما تشاء . ولا تقيم للناحية الروحية وزنا فى الحياة العامة ، وتحصر الحياة بالمنافع المادية فقط لذلك لم ينتج الا شقاء وقلقا دائمين .. فما دامت المنفعة هى الأساس

فالتنازع عليها طبيعى ، والنضال فى سبيلها طبيعى والاعتماد على القوة فى اقامة الصلات بين البشر طبيعى ، ولذلك يبقى الاستعمار قائما فى طبيعة هذه الحضارة وأهلها ما دامت المنفعة وحدها هى الأساس .

وبقى هذا التطور ، وما لازمه من مفاهيم وعقائد قائما فى كثير من فجاج الأرض بعد انهيار هذه الحضارة الأوربية القديمة سياسيا الى أن تسلم الاسلام قيادة البشرية مرة أخرى على عهد بعثته محمد صلى الله عليه وسلم ومن بعده أصحابه الكرام .

وحينما تسلم الاسلام القيادة وأزال الركام الجاهلى الذى كان يرين على النفس البشرية ، عرف الناس الههم الواحد الذى بيده الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

هنالك تحت ظل هذه الدوحة العظيمة تنسمت البشرية العقيدة الاسلامية الصحيحة والشريعة الاسلامية العريقة .. هناك أحس الناس أنهم جميعا بشر من خلق الله ، فلا مقياس ولا مفاضلة بينهم الا على أساس التقوى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » (الحجرات : ١٣) .

« أيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى .» (حديث شريف) .

« يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا . يا عباس بن عبد المطلب ، ما أغنى عنك من الله شيئا .. يا فاطمة بنت محمد ، سلينى ما شئت فى مالى لا أغنى عنك من الله شيئا « (حديث شريف) .

وأمام هذه المفاهيم الاسلامية سقطت آصرة الدماء المتفاضلة وسقطت آصرة النسب وسقطت آصرة المطالح والمنافع القريبة التى اكتوى المجتمع الانسانى بنارها .

وهنا تحت دوحة الاسلام العظيمة ، الضاربة فى أعماق الأرض ، عرف الناس الزكاة والقرض الحسن والتعاون والتكافل .

« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا : انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون . واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . » (البقرة : ٢٧٤ ــ ٢٨١) .

وحينئذ أحست البشرية بالراحة والطمأنينة بعد أن طحنها النظام الربوى الذى كان عماد حياتها الاقتصادى الأساسي ووصل بها الى مرتبة الرقيق الذى لا يملك من أمر نفسه شيئا .

وهنالك تحت الظل الوارف تأكد للانسان أن الاسلام عقيدة وشريعة ، وانه ليس من حق بشر أمثالهم أن يشرعوا لهم أو يحكموا أهواءهم فى حياتهم أو حياة غيرهم .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » هناك كما صور لنا سيد قطب :

« جمع الاسلام الناس على آصرة العقيدة وجعلها هى قاعدة المجتمع أو قاعدة التفرقة لم يجعل الاكراه على العقيدة قاعدة الحركة فيه ولا قاعدة التعامل . ولم يجعل شريعة الغاب والناس هى التى تحكم علاقاته بالآخرين الذين لا يعتنقون عقيدته ولا يتجمعون على آصرته .

لقد فرض الله الجهاد على المؤمنين ، لا ليكره هو الناس على اعتناق الاسلام ولكن ليقيموا فى الأرض نظامه الشامخ العادل القويم . على أن يختار الناس عقيدتهم التى يحبون ، فى ظل النظام الذى يشمل المسلم وغير المسلم ، فى عدل تام .

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ».
واعتبر الأرض التى يسيطر عليها النظام الاسلامى وتحكمها الشريعة الاسلامية هى « دار الاسلام » سواء كان سكانها من معتنقى عقيدته كلهم أو كان بعضهم من معتنقى الديانات الأخرى ، واعتبر الأرض التى لا يسيطر عليها النظام الاسلامى ولا تحكمها الشريعة الاسلامية هى « دار الحرب » أيا كان سكانها .

ولم يترك الأمر لشريعة الغاب . والغاب فى العلاقات بين دار الحرب ودار الاسلام بل نظم هذه العلاقات تنظيما دقيقا ، يحكمه الخلق والنظافة والاستقامة ..

فدار الاسلام اما أن تكون على عهد وميثاق مع دار الحرب ، فهو العهد المرعى والميثاق المحفوظ ، لا غدر فيه ولا خيانة ولا مباغتة ولا مفاجأة ، الا أن ينقضى الأجل أو ينقض العهد من دار الحرب .

واما أن تكون هناك موادعة – بلا معاهدة مؤقتة – فهى الموادعة الا أن يتغير الى أهل دار الحرب – عند خوف الخيانة – ويعلنوا بانقضاء فترة الموادعة .

واما أن تكون هى الحرب .. وللحرب قيود وضمانات . فان جنحوا للسلم مؤثرين المعاهدة والجزية والرضى بالنظام الاسلامى مع حريتهم فى اختيار العقيدة ، فلهم ذلك على المسلمين (١) .

فاذا كانت الحرب فهى الحرب التى لا تهتك فيها حرمة ولا يقتل فيها صبى ولا شيخ ولا امرأة ، ولا يحرق فيها زرع ، ولا يتلف فيها ضرع . ولا يمثل فيها بانسان ولا تصيب الا المقاتلين الذين يحملون السلاح فى وجه المسلمين .. وهذه وصية أبى بكر لجيش أسامة .
وهو ذاهب لمقاتلة الروم :

« لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا الا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .. اندفعوا باسم الله » ..

وفى ظل هذه القمة السامقة عاش اليهود والمسيحيون وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى فى طمأنينة وسلام لم ولن يعرفوا لها مثيلا الا فى ظل الاسلام .

وفى الاسلام وجدت الشعوب – التى كانت تعيش تحت سطوة الاستعمار اليونانى والفارسى وغيرهما – بغيتها وضالتها المنشودة .. عرفت ربها الحق ، ودينها الحق وحقيقة دورها فى هذا الوجود .

---

(١) أنظر سورة الانفال (٥٥ – ٦١) والنحل (٩١ – ٩٢) .

وفى ظل الاسلام (١) أحس الناس بالراحة والطمأنينة والعدالة التى تحققها تشريعات الله فى حياتهم .. وهناك عرف الناس : لا تعاون على الاثم والعدوان ولكن تعاون على البر والتقوى .. وعرفوا كذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وباختصار عرف الانسان انه ولد من جديد حنيفا مسلما ، عبدا لله ، لا سلطان عليه الا سلطان العقيدة ، وانه فى سبيل الله فقط يهون كل شيء ، الأهل ، والمال ، والولد .

وفى خلال ربع قرن أو يقل كان ذلك النمط الفريد أمة مسلمة قوامها القائد المؤمن محمد صلى الله عليه وسلم ، وشعب صالح تربى على مائدة القرآن والسنة .

وفى خلال ربع قرن آخر أو يزيد .. انتشر الاسلام شرقا وغربا بتلك السرعة العجيبة التى لم يعرف لها التاريخ نظيرا ، ودخل النـــاس فى دين الله أفواجا .

وأمام جحافل الأمة المسلمة انحسر طاغوت المد الاستعمارى اليونانى الفكرى والعسكرى لتحل محله دولة واحـــدة عاشت ما يقرب من ألف عام ، صاحبة الدور الأول فى حياة البشرية .

ومن هنا نخلص أن تصورات الأمة الاسلامية ومفاهيمها ومعتقداتها لم تكن مأخوذة من اليونان أو غيرهم ولكنها نبعت أصـــلا من كتاب الله الكريم وسنة رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم فكانت لهـــا الريادة فى حيـــاة البشرية وذلك يؤكد حقيقـــة أخرى أن مقومات البعث الاســـلامى كامنة فى عقيدة وشريعة الدين الاســـلامى وليست فى مناهج مستوردة من شرق أو غرب لأن الأخيرة عجزت عن تحقيق أى من القيم الايمانية فى حياة البشرية .

---

(١) يحتم علينا المنهج الاسلامى عند مقارنة بين النظم السياسية والاجتماعية التى سادت المجتمع اليونانى والتى أقام الاسلام بدلا منها أنظمة تقوم على قيم انسانية لم تعرف الحضـــارة او الانسانية لها مثيلا . ولكن ضيق الوقت لا يسمح لنا بذلك .

خاتمــــة

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعهـا ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » .

نخلص من عرضنا السابق لتاريخ وحضارة اليونان الى الحقائق التالية:

أولا : ان آوروبا لم تكن فى يوم ما ، صاحبة الدور الاول فى تاريخ البشرية ، وانها ليست جديرة بأن تكون المحور الذى يجب ان يتحرك من حوله العالم ، لأن تراثها الفكرى اليونانى لا يمثل أعظم ميرات ورثتـه البشرية ، بل على العكس من ذلك يمثل نكسة وارتكاسه فى تاريخهـا الطويل ، لعدم التزامه بالهدى الالهى كما عرفنا .

ثانيا : ان الاستعمار فى طبيعة وأهداف الأوربيين منذ أن مكن الله لهم فى الأرض ، وان محاولتهم فى احيـاء التراث اليونانى ، والقول بانه هو الأصل الذى أخذ عنه الدين الاسلامى والحضارة الاسلاميه ، ما هى الا تمهيد للاستعمار الاقتصـادى لبلاد المسلمين بعـد تشكيكهم فى دينهم وتراثهم ، فيتركون مصدر قوتهم وعزتهم .

ثالثا : استعراض الصورة التى انتهت اليها تجارب الانسانيه فى المجتمع اليونانى من ناحية العقائد الدينية وسائر ما يتعلق بها من افكار وفلسفات ونظريات . ومن ناحية الأوضاع الاجتماعية وما يتعلق بها من نظم الحكم وسياسة المـال وعلاقات المجتمع والأخلاق والعبـادات والافكار ، ومن استعراضها يمكن أن نصل الى النتيجة التالية :

ان التراث الأوروبى ــ ممثلا فى التراثين اليونانى والرومانى ــ ليس المصدر الذى انبثقت عنه الحضارة أو الديانة الاسلامية ، لأن الأول ــ (التراث اليونانى) ــ يشكل كما شاهدنا تراث أمة شاردة عن الهدى الالهى ، بينما الديانة الاسلامية هى النظام والشرع الذى ارتضاه الله للبشرية منذ ان خلق آدم الى آن يرث الله الارض ومن عليها ، وان الحضارة الاسلامية قد انبثقت عن هذا الدين السماوى والتزمت به ، وشتان بين ما ارتضاه رب الناس للناس ، وبين تصورات الناس وأفكارهم .

رابعا : ان القول بوجود خالق لهذا الكون التى قال بها فلاسفة اليونان ، وما اثر عنهم من حكم يسيطر عليها روح الاسلام ، ليست فكرا بشريا اعتمادا على العقل فقط ، بل هى نتاج التعرف على عقيدة التوحيد التى جاء بها رسل الله الكرام ، والتى تعرف عليها علماء وفلاسفة اليونان أثناء تعلمهم وتجوالهم فى مصر وبلاد الشام والعراق وتخوم شبه الجزيرة العربيه ، ونتيجة كذلك للرسل الذين أرسلوا اليهم ، والدين يقال ان من بينهم ادريس عليه السلام ، ويؤكد ذلك ما أورده اليعقوبى فى كتابه التاريخ (جـ ١ ، ص ١٦٦ ــ ١٧١) :

« وكانت ملوك اليونانيين ومن ملك بعدهم من الروم مختلفة ، فطائفة منهم على دين الصائبة ، وكانوا يسمون الحنفاء ، وهم الدين يقرون ويعترفون بخالق ويزعمون أن لهم نبيا ، يقال انه ادريس النبى » .

خامسا : ان المجتمع الأوروبى الحديث الشارد عن الهدى الالهى ، ما هو الا صورة للمجتمع اليونانى منذ أقدم العصور ، شرك بالله .. وتنحية لشريعة الله عن حياته ، .. وانحراف فى السلوك .

سادسا : ان أى أمة غير مهتدية بهدى الاسلام ، لابد وأن تعانى الحيرة والشقاء والقلق ، والآلام والحروب التى تمزقها وتؤدى بها الى الانهيار ، كما كان الحال بالنسبة للدولة اليونانية .

سابعا : ان دول العالم التى لا ترتضى الاسلام دينا ، وكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله عقيدة وشريعة تعيش فى حالة من الشقاء النفسى وعدم الاستقرار الاقتصادى ، كما أن مجتمعاتها قد امتلأت بالموبقات والمفاسد التى كان يكفى احداها لنزول غضب الله بمقترفيها وذلك يعنى أن تلك المجتمعات فى طريق الانهيار والدمار كما حدث للمجتمع اليونانى .. اذ لم يسرع أصحابها بتصحيح مسارهم والعودة بحياتهم كلها الى الله يصرفها كما يشاء .

ثامنا : اليقين بأن الأمة المسلمة ، المعترفة لخالقها بالألوهية والربوبية، والمستمسكة باسلامها ، هى خير أمة أخرجت للناس ، وهى بدين الله .. نظامه وشرعه ، .. قادرة على أن تخرج بالبشرية من عثرتها وحيرتها وشقائها وتحقيق سعادتها فى الدنيا والآخرة .

مصـادر تاريخ اليـــونان

— القرآن الكريم وحديث رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

— اليعقوبى (٢٨٤ هـ /٨٩٧ م) ، التاريخ ، جـ ١ (طبعة هوتسما) .

— الفرد زيمرن A. Zimmern (تعريب د. عبد المحسن الخشاب) ، الحياة العامة اليونانية السـياسية والاقتصادية فى آثينـا فى القرن الخامس ، القاهرة ١٩٥٨ .

— أرنولد توينبى A. Toynbee (تعريب د. رمزى جرجس) ، تاريخ الحضارة الهيللينية ، القاهرة ١٩٦٣ .

— ول.ديورانت (تعريب محمد بدران) قصة الحضارة ، الجزء الثانى من المجلد الثانى ، حياة اليونان .

— د. محمد كامل عياد . تاريخ اليونان ، دمشق ، ١٩٦٩ .

— تشارلز روبنصن (تعريب د. أنيس فريحة) آثينا فى عهد بركليس ، بيروت ١٩٦٦ .

— د. عبد اللطيف أحمد على ، التاريخ اليونانى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣ .

— أحمد محمد عبد الله ، آثار الجاهلية الأولى فى معقل الأوثان . الذين لم يقرأوا القرآن لم يعرفوا تاريخ الحياة . مجلة المجتمع الكويتية العدد ٣٠١ لعام ١٣٩٦ ، ٢٠ — ٢١ .

— محمد قطب . جاهلية القرن العشرين .

— سيد قطب ، هذا الدين .

— نفس المؤلف ، فى التاريخ فكرة ومنهاج .

— السيد أبى الحسن على الحسينى الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . الطبعة السادسة ، بيروت .

— و.و.تارن W.W. Tarn (تعريب زكى على) الاسكندر الأكبر ، القاهرة ١٩٦٣ .

J. Hatzfeld, History of Ancient Greece, C.W.C. Oman, History of Greece.

N.G.L. Hammond, A .History of Greece, oxford.

فهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة